كتاب سراج الملوك والخلفا ومنهاج الولاة والوزرا

عربي ٣٢

آيا صوفيه

A.

٢٨٨١

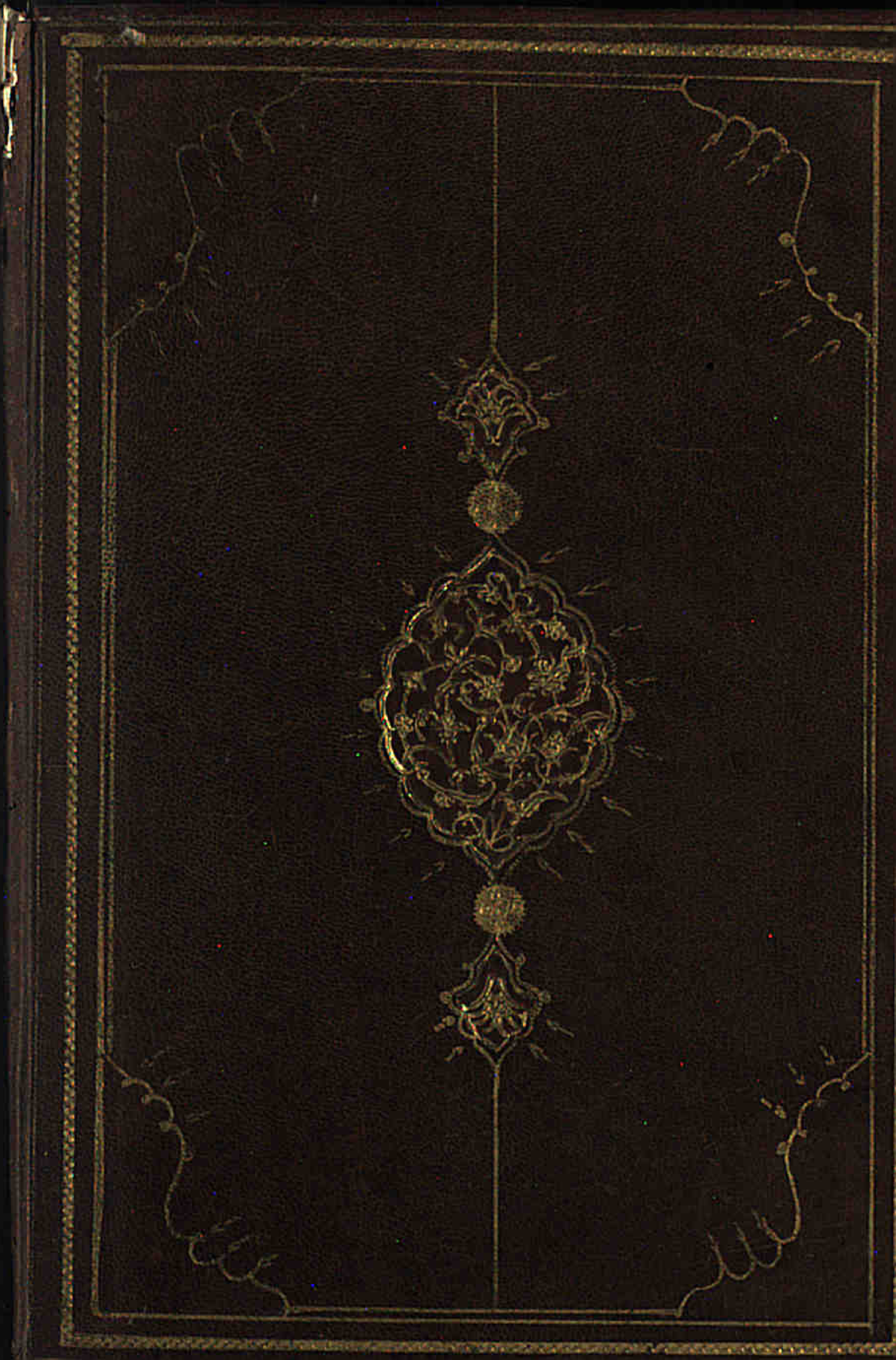

١

كتاب سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والأمراء

في تدبير الملك والدول مقتضب من كتاب الله العزيز وأخبار الأنبياء عليهم السلام وسياسات ملوك العرب والعجم والروم والفرس والسند والهند ومستحسن أخبارهم وأخلاقهم ونوادر حكاياتهم وتواقيعهم ووصاياهم

تأليف الشيخ الإمام الزاهد أبي بكر محمد بن الوليد ... الطرطوشي رضي الله عنه

٢٨٨١

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع ودرس ... حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

Mikro Film Arşivi 5023

بسم الله الرحمن الرحيم • من بيده الكون استمد العون وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والآثار ومكور النهار على الليل والليل على
النهار العالم بالخفيات وبما تنطوي عليه الارض والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل
وسارب بالنهار الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته واحكمهم بعلمه وخصهم بمشيئته ودبرهم
بحكمته لم يكن له في خلقه معين ولا في تدبيرهم مشير وظهير ولم يستعن من لم يزل بمن لم يكن ولا يستظهر من تقدس
عن ادراك من دخل تحت ذل التكوين ثم كلفهم معرفته وجعل علم العالمين الاولين والآخرين بالعجز عن ادراكه ادراكا شكر
ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكرا لهم كما كان الاقرار المقترن بوقوف عقولهم عن الاحاطة بحقيقته ايمانا لهم
لم يلزمه لم ولا يجاوزه اين ولا يلاصقه حيث ولا يحله ما ولا يعده كم ولا يحصره متى ولا يحيط به كيف ولا يناله اي
لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يجده امام ولا يظهره قبل ولا يلحقه بعد ولا يجمعه
كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وكونه لا امد له ولا تخالطه الاشكال والصور ولا تغيره
الايام والغير ولا تجوز عليه المماسة والمقارنة وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق
العلل ذاته ومن كان معلولا كان له غيره علة تساوقه في الوجود وهو قبل جميع الاغيار بل لا علة لافعاله فقدرة
الله في الاشياء بلا امتزاج وصنعه فيها بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه فان قلت اين هو فقد سبق المكان
وجوده فمن ابن الاين لم يفتقر وجوده الى اين هو بعد خلق المكان غني بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يحل فيما منه بدا
ويعود اليه ما هو انشا وان قلت ما هو فلا ماهية له وما موضوعه لسمو العز والجبر والقدم تعالى لا جنس له
وان قلت كم هو فهو واحد في ذاته منفرد بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق الوقت ذاته وان قلت كيف هو فمن
كيف الكيف لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التغيير وان قلت هو فالهاء والواو خلقه بل الزم الكل
الحدث حتى قال بعض الاشياخ لان القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالاداة اجتماعه فقواها
تمسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذي الوهم يظفر به فالتصوير
يرتقي اليه ومن ادركه محل ادركه اين ومن كان له جنس طالبه كيف وجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه
من خلقه فما تصور في الاوهام فهو بخلافه لا تماثله العيون ولا تخالطه الظنون ولا تتصوره الاوهام ولا
تحيط به الافهام ولا تحده ولا تقدره الانام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا يحصيه امد ولا يشفعه ولد ولا يجمعه
عدد قريب كلاءته وبعيد اهانته علو من غير ترتيل ومجيئه من غير تنقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن القريب
البعيد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من
الاسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الاولى له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وادين به وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون واشهد ان محمدا عبده المصطفى وامينه المرتضى ارسله الى
كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطاهرين واصحابه
المنتخبين **اما بعد** فاني لما نظرت في سير الامم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات
في تدبير الدول والتزموه من القوانين في حفظ النحل وجدت ذلك نوعين احكاما وسياسات فاما الاحكام المشتملة
على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبيوع والانكحة والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها
والحدود القائمة على من يخالف شيئا منها فامر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شيء منها برهان ولا انزل الله به من
سلطان ولا اخذوه عن تدبير ولا اتبعوا به رسولا واعتمدوا صادرة عن خزنة النيران وسدنة بيوت الهياكل
وعبدة الانداد والاوثان وليس يجوز لاحد من خلق الله ان يضع من تلقاء نفسه امثالها واشباهها واما السياسات

التي وضعوها في التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان بها وخالفها
فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبه تلك
الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الحرم والاعراض وكل ذلك تجد سيرهم وافية بسيرة
جميلة لا تنافر العقول لشيء منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم لحفظ تلك الاصول
الفاسدة كمن زخرف كنيفا او بنى على بيت قصرا منيفا **كما قال الشاعر**

ولو لبس الحمار ثياب خز ، لقال الناس يا لك من حمار

فجمعت محاسن ما انطوت عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول فوجدت ذلك في ستة
من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند والصين **فاما ملوك الصين** وحكماؤها فلم يبلغ
الى ارض العرب من سياستهم كبير شيء لبعد الشقة وطول المسافة واما من عداهم فلم يكونوا اهل حكم بارعة
وقرائح فائقة واذهان ثاقبة وانما صدر عنهم الشيء اليسير من الحكمة فنظمت ما الفيت في كتبهم من الحكم البالغة
والسير المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل والاثر النبيل الى ما رويته وجمعته
من سير الانبياء صلى الله وسلم عليهم ومن آثار الاولياء وبراعة العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء وما انطوى
عليه القرآن العظيم الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكمة ومعادن السياسات ومغاص الجواهر المكنونات ان
اختصر فلمحة دالة واشارة خفية وان طال فالفاظ بارعة وآيات معجزة وهو الهادي من الضلالة والحاوي لخير سن
الدنيا وفضائل الآخرة ورتبته ترتيبا انيقا وترجمته تراجما بارعة حاوية لمقاصدها ناطقة بحكمها ويمجه
يلج الاذن من غير اذن وتنوع المأثور من غير استبعاد من غير استنبار الفاظه فوائد معانيه لبس الفاظه الى السمع
باسرع من معانيه الى القلب **انتظم الكتاب** بحمد الله وعونه واحسانه غاية في بابه غريبا في فنونه
واسابه خفيف المحمل كثير الفائدة لم تسبق الى مثله اقلام العلماء ولا جالت في نظمه افكار العقلاء ولا حوته خزائن
الملوك والرؤساء فلا يسع به مليك الا استكثره ولا وزير الا استصحبه ولا رئيس الا استحسنه واسترشده
عصمة لمن عمل به من الملوك واهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من اولي الامر والسياسة وجمالا لمن تحلى به من اهل الادب
والمحاضرة وعنوانا لمن فاوض به من اهل المجالسة والمذاكرة **وسميته سراج الملوك** يستغني الحكيم بدرسه سنه
عن مباحثة الحكماء والملوك عن مشاورة الوزراء **واعلموا** وفقكم الله ان الحق من امده بنايته الحكم واوصلت
اليه الصنائع وحملت اليه العلوم من آتاه الله سلطانا فنفذ في الخلق حكمه وجاز عليهم قوله **ولما رايت**
الاجل نظام الدين ادام الله اعزاز الدين نصره وانفذ في العالمين بالحق امره واوزع كل لسان
شكره وكفاهم فيه محذوره وضره ممن تفضل الله به على المسلمين فبسط فيهم يده ونشر في مصالح احوالهم كلمته
وعرف الخاص والعام يمنه وبركته وتقلد امر الرعية فسار فيهم على احسن القضية متحريا للصواب واقفا للثواب
طالبا سبل العدل ومناهج الانصاف والفضل رغبت ان اخصه بهذا الكتاب رجاء لطف الله تعالى يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وليكن ذكرنا باقيا ومحاسنه
ما بقي الدهر

كما قيل

الناس يهدون على قدرهم ، لكنني اهدي على قدري ، يهدون ما يفنى واهدي الذي ، يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك والامراء ومعقل للسلاطين والوزراء لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم
عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حقهم ان يعرفوا حقه ويكرموا حملته ويستبطنوا اهله **وهذه**
ابواب الكتاب وجملتها اربعة وستون بابا فافهم ذلك وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول
في مواعظ الملوك

الباب الثاني
في مقامات العلما والصالحين عند الامرا والسلاطين

الباب الثالث
فيما جا في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر وغير ذلك من المواعظ

الباب الرابع
في معرفة ملك سليمن بن داود ووجه طلبه الملك وسواله ان لا يوتاه احد من بعده

الباب الخامس
في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا

الباب السادس
في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح

الباب السابع
في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض

الباب الثامن
في منافع السلطان ومضاره

الباب التاسع
في معرفة منزلة السلطان من الرعية

الباب العاشر
في معرفة خصال وردا الشرع بها فانها نظام الملك والدول

الباب الحادي عشر
في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان واساس الدول

الباب الثاني عشر
في معرفة الخصال التي زعم الملوك انها ازالت دولتهم وهدمت سلطانهم

الباب الثالث عشر
في معرفة الصفات التي زعم الحكما انها لا تدوم معها المملكة

الباب الرابع عشر
في الخصال المحمودة في السلطان

الباب الخامس عشر
في معرفة الخصال التي تعز بها السلطان

الباب السادس عشر
في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان

الباب السابع عشر
في معرفة خير السلطان وشره

الباب الثامن عشر
في معرفة منزلة السلطان من القران

الباب التاسع عشر
في معرفة خصال جامعة لامر السلطان

الباب العشرون
في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان

الباب الحادي والعشرون
في بيان حاجة السلطان الى العلم

الباب الثاني والعشرون
في وصية امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

الباب الثالث والعشرون
في معرفة العقل والدها والخبث والمكر

الباب الرابع والعشرون
في الوزرا وصفاتهم والجلسا وادابهم

الباب الخامس والعشرون
في الجلسا وادابهم

الباب السادس والعشرون
في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان

الباب السابع والعشرون
في المشاورة والنصيحة

الباب الثامن والعشرون
في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه

الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن به الغضب

الباب الثلاثون
في الجود والسخا

الباب الحادي والثلاثون
في معرفة الشح والبخل وما يتعلق بهما

الباب الثاني والثلاثون
في معرفة الصبر وجميل عواقبه

الباب الثالث والثلاثون
في كتمان السر ومحاسنه

الباب الرابع والثلاثون
في بيان الخصلة التي تجمع لهم سائر الخصال وتزعم بالمزيد من النعما والالاء من ذي الجلال وهي الشكر

الباب الخامس والثلاثون
في معرفة الخصلة التي بها غاية كمال السلطان محبة الخلق اجمعين

الباب السادس والثلاثون
في بيان الخصلة التي يصلح عليها الامير والمامور وتشمل الخلايق اجمعين

الباب السابع والثلاثون
في معرفة الخصلة التي فيها ملجا السلاطين عند الشدائد ومعقل الملوك وشفا الصدور وراحة القلوب وطيبة

الباب الثامن والثلاثون
في بيان الخصلة الموجبة لذم الرعية عند اضطراب الممالك

الباب التاسع والثلاثون
في مثل السلطان العادل والجائر

الباب الاربعون
فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان

الباب الحادي والاربعون
في كما تكونوا يولى عليكم

الباب الثاني والاربعون
في بيان الخصلة التي فيها نصح الرعية

الباب الثالث والاربعون
فيما يملك السلطان من رعيته

الباب الرابع والاربعون
في التحذير من صحبة السلطان

الباب الخامس والاربعون
في صحبة السلطان

الباب السادس والاربعون
في سيرة السلطان مع الجند

الباب السابع والاربعون
في سيرة السلطان في استجبا الخراج

الباب الثامن والاربعون
في سيرة السلطان في بيت المال

الباب التاسع والاربعون
في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وما يجب في ذلك

الباب الخمسون
في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال

الباب الحادي والخمسون
في احكام اهل الذمة

الباب الثاني والخمسون
في بيان الصفة المعتبرة في الولاة

الباب الثالث والخمسون
في بيان الشروط والعهود التي توخذ على العمال

الباب الرابع والخمسون
في هدايا العمال والرشا على الشفاعات

الباب الخامس والخمسون
في معرفة حسن الخلق

الباب السادس والخمسون
في الظلم وشومه وسو عاقبته

الباب السابع والخمسون
في السعاية والنميمة وقبحها

الباب الثامن والخمسون
في القصاص وحكمته

الباب التاسع والخمسون
في الفرج بعد الشدة

الباب الستون
في الشجاعة وثمراتها

الباب الحادي والستون في الحروب وتدبيرها
الباب الثاني والستون في القضاء والقدر واحكامهما
الباب الثالث والستون في الجامع
الباب الرابع والستون يشتمل على حكم منثورة وهو اخر الكتاب وبالله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم، رب مُدّ الكون استمد العون، وبه نستعين وعليه نتوكل

الباب الاول في مواعظ الملوك

قد خاب وخسر من كان حظه من الله الدنيا اعلم ايها الرجل وكلنا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا الا انها مستغرقة بكثرة الاشغال فتستدعي من المواعظ ما يتوج على تلك الافكار ويتغلغل في مكامن تلك الاسرار فترفع تلك الاستار وتفك تلك الاكنة والاقفال وتصقل صدا الصدر والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله جميع الدنيا بانه قليل وانت تعلم ما اوتيت من ذلك القليل الا من ذلك القليل تمتعت به ولم تعص الله فيه لهو ولعب ولهو وزينة قال الله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم قال وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبتغ ايها العاقل لعبا قليلا لا يفني بحياة الابد حياة لا تفنى وشباب لا يبلى كما قال الفضيل رحمة الله عليه لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والاخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تامل بعقلك هل اتى الله احدا من الدنيا مثل ما اوتي سليمن بن داود عليهما السلام حيث اتاه ملك جميع الدنيا والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم زاده الله تعالى ما هو اعظم منه فقال تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليبلوني أاشكر ام اكفر وهذا افضل الخطاب لمن تدبره ان يقول له ربه في معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ثم خاف سليمن عليه السلام ان يكون استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك ولسائر اهل الدنيا فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ثم قال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين تامل بعقلك الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء والق سمعك الى ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد ان الله يقول لك عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به فانظر الى ما اشتملت عليه هذه الكلمات من ذكر الموت وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم يرد من السماء غيرها لكانت كافية انظر بفهمك الى ما رواه الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بمزبلة قوم قد رحلوا عنه واذا طلا مطروح فقال الا ترون هذا هان على اهله فقالوا من هوانه عليهم القوه فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذا على اهله فجعل الدنيا اهون على الله من الجيفة المطروحة وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى قال فاخذ بيدي واتى بي الى واد من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتامل املكم ثم هي اليوم تساقط الجلد عن العظم ثم هي صائرة رمادا رمدا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها وقذفوها في بطونهم

فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم ولباسهم ثم اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وقال ابن عمر اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال يا عبد الله كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى **يا ايها الرجل** ان كنت لا تدري متى يفجؤك الاجل فلا تغتر بالامل فانه يقسي القلب ويفسد العمل وقد عيّر الله تعالى اقواما مدّ لهم في الاجل فقست منهم القلوب وطال منهم الامل فقال الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون **انشد بعضهم**

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر

يا ايها الرجل الق الي سمعك وارعني لبك فان كنت لا تدري متى الموت فاعلم بانك لا تبقى الى اخر الدهر **اين ادم** ابو الاولين والاخرين **اين نوح** شيخ المرسلين **اين ادريس** رفيع رب العالمين **اين ابرهيم** خليل الرحمن الرحيم **اين موسى** الكليم من بين سائر النبيين والمرسلين **اين عيسى** روح الله وكلمته راس الزاهدين وامام السائحين **اين محمد** خاتم النبيين **اين اصحابه** الابرار المنتجبون **اين الملوك** السالفة **اين القرون** الخالية اين الذين نصبت على مفارقهم التيجان الحالية اين الذين اعتزوا بالاجناد والسلطان اين اصحاب السطوة والولايات اين الذين خفقت على روسهم الالوية والرايات اين الذين قادوا الجيوش والعساكر اين الذين عمروا القصور والدساكر اين الذين اعطوا النصر في مواطن الحروب والمواكب اين الذين دانت لهم المشارق والمغارب اين الذين تمتعوا في اللذات والمآرب اين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا اين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا اين الذين استلانوا الملابس اثاثا ورئيا اين الذين ملكوا ما بين الخافقين فخرا وعزا اين الذين فرشوا القصور خزا وقزا اين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا اين الذين استذلوا العباد قهرا ولن اهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا افناهم والله مفني الامم وابادهم مبيد الرمم واخرجهم من سعة القصور واسكنهم في ضنك القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم فعاثت الدود في اجسامهم واتخذت مقيلا في ابدانهم فسالت العيون على الخدود وامتلات تلك الافواه بالدود وتساقطت الاعضاء وتمزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت البطون فلم ينفعهم ما جمعوا ولا اغنى عنهم ما كسبوا اسلمتهم الاحبة والاولياء وهجرتهم الاخوان والاصفياء ونسيهم البعداء والقرباء فاسمت ولو نطقت **لانشدت** قولنا عن سكان الثرى ورهائن الموت والبلاء

مقيم بالحجون رهين رمس • واهلي بالحجون بكل وادي
كاني لم اكن لهم حبيبا • ولا كانوا الاحبة في السواد
فعوجوا بالسلام فان ابيتم • فاوموا بالسلام على بعاد
فان طال الثوى وصفى خليل • سوانا فاذكروا صفو الوداد
وان اقل ما للميت حبيب • واخر الى يوم التناد
كلوانا بموقفكم وقفنا • سقينا الترب بهم الفؤاد

وقال بكر بن يوسف العابد اوحى الله تعالى الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان قل للدارسين والحصون ذ ويلهم عني حرفين لا تاكلوا الا طيبا ولا تتكلموا الا بالحق **ولما دخل** يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز قال عظني يا يزيد قال يا امير المؤمنين اعلم انك اول خليفة تموت فبكى عمر وقال زدني يا يزيد فقال

يا امير المومنين لتن منك وبين دمًا لاات مبت فبكا وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المومنين ابين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه يا ايها الرجل لا تغفل عن تذكر ما تتيقنه من وجوب الفنا وتنفي المسا وذهاب اللذات وانقضا الشهوات وبقا التبعات وانقلابها حسرات وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا فقه له وعليها يحسد من لا علم له من صح فيها سقم ومن صح بها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من ساعدها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن نظر اليها اعمته ومن نظر بها بصرته لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا تبقى لمخلوق بقا يا ايها الرجل لا تخدع عن نفسك كما خدع من قبلك فان الذي اصبحت فيه من النعم انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل للآخر يا ايها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت عليك بخلافها والقت اليك مقاليدها فاقلاد دبرها ثم كنت طريد الموت ما كان ذلك ان تهنا بعيش لا تفخر فيها بزوال ولا غنى فيها لا يبقى وهل الدنيا كلها الا كما قال الاول تدرك قليلا وكثيرا بملا قال الشاعر

	ولقد سالت الدار عن اخبارهم • فتبسمت عجبا ولم تبدي	
	حتى مررت على الكثيب فقال لي • اموالهم ونوالهم عندي	

ولقد اصاب ابن السماك لما قال له الرشيد يا ابن السماك عظني وبيده شربة من ماء فقال يا امير المومنين ارايت لو حبست عنك هذه الشربة ما كنت تفديها بملكك قال نعم قال يا امير المومنين فلو حبس عنك خروجها كنت تفديها بملكك قال نعم قال فاي خير في ملك لا يساوي شربة ولا بوله يا ايها الرجل لا تغتر بشبابك فان اكثر من يموت الشبان والدليل عليه ان اقل الناس الشيوخ يا ايها الشاب كم من جاهل التوى وابوه يرعى وكم طفل في التراب وجده يحيى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاسقف قد اسلم عظني قال يا امير المومنين ان كان الله عليك فمن ترجوا قال احسنت زدني قال ان كان الله معك فمن تخاف قال احسنت فزدني قال الحسب ان الله قد غفر ذنب المذنبين اليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبي حسبي ثم بكا علي اربعين صباحا وقال الحسن قدم الحسن يعني عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي حسبي لا ابالي ان لا اسمع اية غيرها وقال سليمن بن عبد الملك لحميد الطويل عظني فقال ان كنت اذا عصيت ظننت انه يراك فلقد اجترات على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب كريم وكتب علي بن ابي طالب رضوان الله وسلامه عليه الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها ويقتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه ٥ وقال ابو العتاهيه

	هي الدار دار الاذى والقذى • ودار الفناء ودار الغير	
	ولو نلتها بحذافيرها • لمت ولم تقض منها الوطر	
	ايا من يومل طول الحياة • وطول الحياة عليه ضرر	
	اذا ما كبرت وبان الشباب • فلا خير في العيش بعد الكبر	

ولما بلغ مردك من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه ورقّتا اليه همته رفضها ونبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هالك وغنا لولا انه فنا وجسيم لولا انه ذميم

وجود

وجود لولا انه مفقود • وغنا لولا انه عنا • وارتفاع لولا انه اتضاع • وعلا لولا انه بلا • وحسن لولا انه حزن • وهو يوم لو وثق له بغد يا ايها الرجل لا تكن كالمنخل يرسل طيب ما فيه ويمسك الحثالة لو اعلم ان من قسا قلبه لا يقبل الحق وان كثرت دلايله قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ودل ان كثرة الذنوب مانعة من قبول الحق للقلوب وولوج المواعظ فيها قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غطاها وغشيها فلا تقبل خيرا ولا تنفع الموعظة جا في التفسير اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سودا ثم اذا اذنب نكتت في قلبه نكتة سودا حتى يسود القلب وقال حذيفة القلب كالكف فاذا اذنب العبد انقبض وقبض اصبعا ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعا ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعا اخرى ثم كذلك الرابع والخامس حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع الله عليه فذلك هو الرين وقال بكر بن عبد الله اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخز الابرة ثم كلما اذنب صار في قلبه كوخز الابرة ثم كلما اذنب صار في قلبه كوخز الابرة حتى يعود القلب كالمنخل وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يرين القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قيل

	ولا ارى اثر الذكر في جسدي • والحبل في الصخر الصم له اثر	
	اذا قسى القلب لم تنفعه موعظة • كالارض ان سبخت لم ينفع المطر	
	ان ابا العتاهية مر بدكان الوراق فاذا كاتب فيه بيت من الشعر ٥	ويروى
	لن ترجع الانفس عن غيها • ما لم يكن منها لها زاجر ٥	

قال الاصمعي ان النعمن بن امري القيس الاكبر الذي بنى الخورنق اشرف على الخورنق يوما فاعجبه ما اوتي من الملك والنعمة ونفوذ الامر واقبال الوجوه نحوه فقال لاصحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيت فقال له حكيم من حكماء اصحابه اصلا ادري اوتيت شيء لم يزل ولا يزول ام شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شيء كان لمن قبلي زال عنه وسيزول عني قال اسرت بشيء تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فاين المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس امساحا والحق بجبل تعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى ياتيك اجلك قال فاذا فعلت ذلك فما لي قال حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال فاي خير فيما يفنى والله لاطلبن عيشا لا يزول ابدا فانخلع من ملكه ولبس الامساح وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعلا يسيحان ويعبدان الله حتى ماتا وفيه يقول

	تبين رب الخورنق اذ اصبح يوما وللهدى تفكير •	عدي بن زيد
	سره ماله وكثرة ما • يملك والبحر معرضا والسدير	
	فارعوى قلبه وقال وما • غبطة حي الى الممات يصير	
	اين كسرى كسرى الملوك انو • شروان ام اين قبله سابور	
	وبنو الاصفر الكرام ملوك • الروم لم يبق منهم مذكور	
	لم يهبه ريب المنون فباد • الملك عنه فبابه مهجور	
	وفيهم يقول الاسود بن يعفور	
	ولقد علمت سوى الذي نبانني • ان السبيل سبيل ذي الاعواد	
	ماذا اومل بعد ال محرق • تركوا منازلهم وبعد اياد	

ارض الخورنق والسدير وبارق • والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة تسيل عليهم • ما الفرات تجي من اطواد
ارض تخيرها لطيب مقيلها • كعب بن مامة وبن ام دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم • فكانما كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل ما يلهى به • يوما يصير الى بلا ونفاد

وقال وهب بن منبه اصيب على غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن ما رص صنعا اليمن وكان من الملوك حلة لا مكتوبا بالقلم المسند فترجم بالعربية فاذا هي ابيات جليلة وموعظة عظيمة

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم • غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من اعالي عز معقلهم • فاسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا • اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة • من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سائلهم • تلك الوجوه عليها الدود تنتقل
قد طال ما اكلوا دهرا وما نعموا • فاصبحوا بعد ذا الاكل قد اكلوا

قُرِيَ على القاضي ابي الوليد الباجي وانا اسمع لبعض الشعرا والحكما

ويحك يا اسما ما شابني • اظللتني والله ما شانني
الموت حق فاعلي نازل • فيشترى لحدي واكفانني
قد كنت ذا مال فلا والذي • اعطاني العيش واغنانني
ما فرت العين به ساعة • الا تذكرت فابكانني
على باني صاير للبلا • وفاقدا اهلي وجيرانني
وتارك مالي على حاله • لهنا الشيطان من شيطانني
لامراة ابني ولزوج ابنتي • بالله من غمي وخسرانني
يسعد في مالي واشقى به • قوم على غل وشنانني
ان احسنوا كان لهم اجره • وخفت من ذلك ميزانني

وممن انتبضر من ابنا الملوك فراى عيب الدنيا وفناها وتغضيها وزوالها **ابرهيم بن ادهم** من بلخ لخراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد في ثمانين سريرا **قال** ابرهيم بن بشار سالت ابرهيم بن ادهم لم كان بدو امرك حتى صرت الى هذا قال غير هذا اولى بك قلت يرحمك الله لعل الله يرحمني به يوما ثم سالته ثانية فقال ويحك اشتغل بالله ثم سالته ثالثة فقلت ارايت يرحمك الله ان تخبرني لعل الله ينفعني به فقال كان ابي من بلد خراسان وكان من المياسير وكان قد حبب الي الصيد فبينا انا راكب فرسا وكلبي معي فاثرت ارنبا او ثعلبا فحركت فرسي فسمعت نداء من وراي ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت انظر يمنة ويسرة فلم ار احدا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء اقوى من الاول يا ابرهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت متشعرا انظر يمنة ويسرة فلم ار شيئا فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسي فسمعت من قربوس سرجي يا ابرهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت وقلت هيهات جاني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا فتوجهت الى اهلي وخليت

فرسي

فرسي وجئت الى بعض رعاة ابي فاخذت جبته وكساه والقيت اليه ثيابي فلم تزل ارض تقلني وارض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها اياما فلم يصف لي شي من الحلال فسالت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى مدينة يقال لها المنصورة وهي المصيصة فعملت بها اياما فلم يصف لي شي من الحلال فسالت بعض المشايخ فقال ان اردت الحلال فعليك بطرطوس فان المباحات بها والعمل كثير قال فبينا انا قاعد على باب البحر اذ جاني رجل فاكتراني انظر له بستانا فتوجهت معه فكنت في البستان اياما كثيرة فاذا بخادم قد اقبل ومعه اصحاب له ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب وائتنا باخير رمان تقدر عليه واطيبه فاتيته برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا انت منذ كذا وكذا في بستاننا تاكل من فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما اكلت من فاكهتكم شيئا وما اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال الا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابرهيم بن ادهم ما زاد على هذا فلما كان الغد حدث الناس في المسجد حدث الناس بالصفة فجا الناس عنق الى البستان فلما رايت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان ابرهيم بن ادهم ياكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما امرني به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط فطاطا راسه وقال اضرب راسا طال ما عصى الله فاعجز الرجل ومضى وقال سهل بن ابرهيم صحبت ابرهيم بن ادهم فمرضت فانفق على نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره وانفق علي فلما تماثلت قلت يا ابرهيم اين الحمار قال بعناه قلت فعلى ما اركب قال يا اخي على عنقي قال فحملني ثلاث منازل رحمه الله

وانشدوا

ايها المرء ان دنياك بحر • طافح موجه فلا تامننها
وسبيل النجاة فيها مبين • وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وبلغني ان بالهند يوما تخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد بشر من طفل ولا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض ماية سنة من يوم مثله فاذا اجتمع الخلايق في صعيد واحد نادى مناد الملك لا يصعد هذا الحجر حجر هناك منصوب الا من حضر في الجمع الاول الذي قد خلا من ماية سنة فربما جا الشيخ الهرم الذي قد ذهبت قوته وعمي بصره وفني شبابه وتحني العجوز ترجف لم يبق منهم الا رسمهم وقد اخذ على ايديهم فيصعدان الى الحجر الذي هناك وربما لم يجي احد ويكون قد فني القرن باسره ويقول الشيخ حضرت الجمع الاول منذ ماية سنة وانا طفل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش الخالية والامم الماضية وكيف طحنهم البلا وصاروا اطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم صرعة الموت وحسرة الفوت فيبكي القوم ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون عن التبعات ويصلحون على ذلك مدة **وقال** وهب بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق تاج كل خير فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك تاج كل خير قال كيف اعرف ذلك قال كان جدي رجلا من الحكما قد شبه الدنيا بسبعة اشيا فشبهها بالماء الملح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ولا ينفع بل يخذل وبزهر الربيع ينضر ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النايم يرى الرويا في منامه فاذا استيقظ لم يكن في يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف

السبعة سبعين سنة ثم زدت حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت جدي في المنام فقال يا بني اشهد انك مني وانا منك هي والله كالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها قلت فباي شي يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها منا فلا اراك خلقي لا تجرد ابتغاء ورتول وكان ذلك اخر العهد به **قلت** وقد وصف الله تعالى الدنيا واهلها بصفة اعم من هذه الصفة فقال سبحانه وتعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد فالكفار هاهنا الزراع وكان الزرع يكون في اول نباته خضرا ناعما اهتزت الارض به بعد يبسها فجاءت في العيون كاصلح ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا اي يكبر ويستوي فيجف ويحترق ويتكسر اعلاه ويستقل سنبله ثم يداس فيكون حطاما اي تبنا مكسرا منقطعا وهذا مثل ضربه الله تعالى لابن ادم اذ كانوا اطفالا اولا لولادة وفي حال الطفولية يحبون الاباء ويفتنون ذوي الارحام والنهي ثم يكبرون فيصيرون شيوخا منكسة روسهم منقوسة ظهورهم قد ذهب حسنهم وجمالهم وذوت عضاريهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم والكبر ثم يموتون فيصيرون عظاما في القبور كالتبن في الجرن هذا بعدما وصفها بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتكاثر وتفاخر وكان الصدر الاول يسمي الدنيا خنزيرة ولو وجدوا اسما اقبح لسموها به وكانوا يسمونها ام دفر والدفر النتن **وقال** مالك بن دينار بلغني ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي عظيم فتشرف له الناس ينظرون اليه افواجا حتى مر برجل يعمل شيئا مكبا عليه لا يلتفت اليه ولا رفع راسه اليه فوقف الملك عليه وقال كل الناس ينظرون الي الا انت فقال الرجل اني رايت ملكا مثلك وكان على هذه القرية مات هو ومسكين فدفنا جنبه في يوم واحد كنا نعرفهما في الدنيا باجسادهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما ثم كشفت عنهما فاختلطت عظامهما فلم اعرف الملك من المسكين فلذلك اقبلت على عملي وتركت النظر اليك **وروي** ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذ اوى الى غار فنظر فاذا فيه رجل خلق عظيم من بني ادم واذا عند راسه حجر مكتوب بكتاب مختوم فيه انا داود سيم الملك ملكت الف عام وفتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وافرعت الف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما تري فصار التراب فراشي والحجارة وسادي فمن راني فلا تغره الدنيا كما غرتني **وقال** وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من اصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد امكن من الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله اليه ان ياذن لهم في قوتهم فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون وياكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وارضي ورثته عن ابائي باذن من تاكلون يا هولاء قال فدعا عيسى عليه السلام ربه فبعث الله جميع من ملك تلك الارض من لدن ادم الى ساعته فاذا عند كل سنبلة او ما شاء الله رجل وامراة ينادون زرعي وارضي ورثته عن ابي ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هولاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها وبهم لاحق ويحك ليس لك ارض ولا مال **وقال ابو العتاهية**

وعظتك اجداث صمت •	ونعتك ازمنة خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى •	وعن صور سكت
فارتك قبرك في القبور •	وانت حي لم تمت

باشاما

ياشامتا بمنيتي •	ان المنيه لم تفت
ولربما انقلب الزمان •	فحل بالقوم الشمت

وروي عن علي بن ابي طالب رضوان الله وسلامه عليه لما راى فاطمة رضوان الله وسلامه عليها مسجاة بثوبها بكى حتى رثى له ثم **قال هذه الابيات**

وله

لكل اجتماع من خليلين فرقة •	وان الذي دون الممات قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد •	دليل على ان لا يدوم خليل
الا ايها الموت الذي ليس تاركي •	ارحني فقد افنيت كل خليل
اراك بصيرا بالذين احبهم •	كانك تنحو نحوهم بدليل

ولما نفض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بني ضبه

اقول وقد فاضت دموعي حسرة •	ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب
اخلاي لو غير الحمام اصابكم •	عتبت ولكن ما على الموت معتب

وقال العتابي

قلت للفرقدين والليل ملق •	سود اكنافه على الافاق
ابقيا ما بقيتما فسيرمي •	بين شخصيكما بسهم الفراق
غر من ظن ان يفوت المنايا •	وعراها قلائد الاعناق
ثم صفيين متعا باجتماع •	ثم صلا لفرقة وافتراق
لا يدوم البقا للخلق لكن •	دام طول البقاء للخلاق

انشدني بعضهم

اسعداني يا نخلتي حلوان •	وارثيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما ان بقيتما ان نحسا •	سوف ياتيكما فتفترقان
فلعمري لو ذقتما طول البعد •	كان ابكاكما الذي ابكاني

ولما سار الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حر اصابه فقال له الطبيب لا يبرئك الا الجمار وكان نزوله قريبا من هاتين النخلتين فامر بقطع جمار احدى النخلتين فتمثل بين يديه بعض الجلساء هذه الابيات لبعض الشعرا في هاتين النخلتين فقال الرشيد لو سمعتها ما امرت بقطعها **ولما** مات الاسكندر قال ارسطاطاليس ايها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس

نظمه ابو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني •	نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات •	فانت اليوم اوعظ منك حيا

ووجد مكتوبا على قبر فقرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الاجال في كل ساعة •	وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه •	اذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبا •	فكيف به والشيب في الراس شاعل

ترحل عن الدنيا بزاد من التقى • فعمرك ايام تعد قلائل

ولما دخل ابو الدرداء الشام قال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ لكم ناصح فاجتمعوا اليه فقال ما لي اراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا وروي الجاحظ قال وجد مكتوبا في حجر يا ابن ادم لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجوا من املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وتبرا منك القريب وانصرف عنك الحبيب ولا انت في عملك زايد ولا الى اهلك عايد وقال مالك بن انس بلغني ان امراتين اتتا عيسى عليه السلام فقالتا يا روح الله ادع الله لنا ان يخرج ابانا فانه هلك ونحن غايبتان عنه قال تعرفان قبره قالتا نعم فذهب معهما فاتتا قبرا فقالتا هذا هو فدعا الله فاخرج له فاذا هو ليس به فدعا فرده ثم دلتاه على قبر اخر فدعا ان يخرج فخرج فاذا هو فسلمتا عليه ولزمتاه ثم قالتا يا نبي الله يا معلم الخير ادع الله ان يبقيه معنا فقال وكيف ادعو له ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف

واشد لبعض الادباء

وا اسفا من فراق قوم • هم المصابيح والحصون
والمزن والمدن والرواسي • والخير والامن والسكون
لم تتغير بنا الليالي • حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب • وكل ماء لنا عيون

وروي ان النعمن بن المنذر خرج يوما متصيدا ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرة فقال عدي بن زيد ايها الملك اتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول

من رانا فليحدث نفسه • انه موف على قرب زوال
وصروف الدهر لا تبقي لها • ولما تاتي به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا • يشربون الخمر بالماء الزلال
عمروا الدهر بعيش حسن • امنى دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا • وكذاك الدهر حالا بعد حال

قال ثم جاوزوا الشجرة فقال عدي ايها الملك اتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا قال تقول

ايها الركب المخبون • على الارض المجدون
كما انتم كذا كنا • وكما نحن تكونون

فقال النعمن قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وعلمت انك انما اردت عظتي فجزاك الله عني خيرا فما السبيل التي تدرك بها النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال وفي هذا النجاة قال نعم قال فترك عبادة الاوثان وتنصر يومئذ واخذ في العبادة والاجتهاد وقال عبد الله المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالرويثة نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة له منظر وهيئة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القربة فاخذها فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلات اثوابه طينا فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال الكم غير هذا فقلت لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله تعالى وشكر ثم اعتزل وقعد ياكله اكل جايع فادركتني عليه الرقة فقمت اليه بطعام طيب كثير فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص

بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال عند ذلك انما هي فورة جوع فما ابالي باي شيء رددتها فرجعت عنه فقال لي رجال الى جنبي اتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد الملك كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له اثر ولا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم تجمعت معه وانسته وقلت له هل لك ان تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان معدا ثم انس الي فجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ واني امرت خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعلت اني لنائم اذا بقمع وردة قد اغفله الخادم فقمت اليه فاوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني ات في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال لي افق من غشيتك ابصر من حيرتك ثم انشا يقول

يا خد انك ان توسد لينا • وسدت بعد الموت صم الجندل
فاعمل لنفسك صالحا تسعد به • فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي هاربا الى ربي وقال عبد الواحد بن زيد ذكر لي ان في جانب الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر عليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت الي قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها بي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك قلت جئت لتعظيني فقالت واعجباه لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فيظل والها حيرانا فان كان له نصيب عند الله عاتبه وحيا في سره وقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي فملت الى عرض من اعراض الدنيا فاورثتك الوحشة بعد الانس والفقر بعد الغنى والذل بعد العز عبدي ارجع الى ما كنت عليه ارجع الى ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني وانصرفت وبقلبي حسرة منها

وانشدوا

انك في دار لها مدة • يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها • يقطع فيها امل الامل
تعجل الذنب بما تشتهي • وتامل التوبة من قابل
والموت ياتي بعد ذا غفلة • ماذا بفعل الحازم العاقل

ولما نزل سعد بن ابي وقاص الحيرة قيل له ها هنا عجوز من بنات الملوك الحرقة بنت النعمان بن المنذر وكانت من اجل عقايل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها الف قطيفة خز وديباج ومعها الف وصيفة ووصيف فارسل اليها سعد فجاءت كالشن البالي فقالت يا سعد كنا ملوك هذا القصر قبلك يجبى الينا خراجه ويطيعنا اهله مدة من المدد حتى صاح بنا صايح الدهر فشتت ملانا والدهر ذو نوايب وصروف لو رايتنا في ايامنا لارعدت فرايصك فرقا منا قال لها سعد ما انعم ما نعمتم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الامر اذا دعونا

ثم انشات تقول

وبينا نسوس الناس والامر امرنا • اذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها • تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت بحبرة الا والدهر يعقبهم عبرة حتى ياتي امر الله على الفريقين فاكرمها سعد وامر بردها فلما ارادت القيام قالت يا سعد لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى لئيم

ولا نال العز كريم نعمة ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا جعلت سبيلاً الى ردها **ولبعضهم** ن

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات تبهجه * يوم القيامة او نار ستنضجه
وكل شيء سوى التقوى به سمج * وما اقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

وروي ان عيسى بن مريم عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان فاصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة ارغفة فابطا عليه انصراف عيسى فاكل رغيفاً فانصرف عيسى فقال اين الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين قال فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء فدعا عيسى عليه السلام ظبياً منها فذكوه فاكلوا منه ثم قال عيسى عليه السلام قم باذن الله فاذا هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث قال ما كانا الا اثنين قال فمرا على وجوههما فمرا بنهر عجاج عظيم فاخذ بيده عيسى عليه السلام فمشى به على الماء حتى جاوزا الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث قال ما كانا الا اثنين فخرجا حتى اتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها لبن ثلاثة من ذهب فقال للرجل هذا مال واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل انا صاحب الرغيف فقال عيسى عليه السلام هي لك كلها ففارقه فاقام عليها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فاخذوا اللبن فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فاتنا بطعام فذهب فقال احد الباقيين للآخر تعال نقتل هذا اذا جاء ونقتسم هذا بيننا قال الآخر نعم وقال الذي ذهب اجعل في الطعام سماً فاقتلهما واخذ اللبن فقعل فلما جاء قتلاه واكلا من الطعام الذي جاء به فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها مصرعين فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها **وقال** عبد الملك بن عمير رايت في هذا القصر عجباً رايت راس الحسين رضي الله عنه بين يدي زياد على ترس مصبوغين ثم رايت راس زياد بين يدي المختار ثم رايت راس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ثم رايت راس مصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان **وقال** الاصمعي لما زخرف الرشيد مجالسه وتخرم فيها فرشه وصنع فيها طعاماً كثيراً ارسل الى ابي العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا **فقال**

عش ما بدا لك آمناً * في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت * لدى الرواح وفي البكور
واذا النفوس تقعقعت * في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً * ما كنت الا في غرور

فبكى هرون الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال هرون دعه فانه رآنا في ضلالة وعمى فكره ان يزيدنا **ويروى** ان سليمن بن عبد الملك لبس الخز ثيابه وقال انا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجارية له بعد ما رآنته

فقالت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير انك فاني

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فلم يزل صوته ينقص حتى ما يسمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في صحن الدار قالت

خارج

خارج قالت ما رايتك ولا قلت لك شيئاً واني لي بالخروج الى صحن الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت الى نفسي ثم عهد عهده واوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الاخرى الا وهو في قبره ن **ووجد**

على قبر سيف بن ذي يزن مكتوب

من كان لا يطا التراب برجله * وطي التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه * شبران كان بغاية البعد
لو بعثرت للناس اطباق الثرى * لم يعرف المولى من العبد

وقال الهيثم بن عدي **وجد** غار في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك فيه رجل مسجى على سرير من ذهب وعند راسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية انا سبا بن نواس بن سبا خدمت عيصو بن اسحق بن ابرهيم خليل الرب الديان الاكبر وعشت بعده عمراً طويلاً ورايت عجباً كثيراً ولم ار فيما رايت اعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع ابائه وقبور احبائه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة سيتزلون عن سريري ويبدلون لونه وذلك حين يتغير الزمان وتتامر الصبيان ويكثر الحدثان فمن ادرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلاً ن **ويروي** ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها املاك وبادوا فقال هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة احد قالوا رجل يكون في المقابر فدعا به وقال ما حملك على لزوم المقابر قال اردت ان اعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك ان تتبعني فاحيي بك شرف ابائك ان كانت لك همة قال ان همتي لعظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم معه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يغيره مكروه قال ما اقدر على ذلك قال فامض لشانك وخلني اطلب بغيتي ممن هي عنده قال الاسكندر هذا احكم من رايت **وروي** في الاخبار ان عيسى عليه السلام بينما هو في سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فامرها ان تتكلم فقالت يا روح الله انا بلوام بن حفص ملك اليمن عشت الف سنة وولد لي الف ولد ذكر وافتضضت الف بكر وهزمت الف عسكر وقتلت الف جبار وافتتحت الف مدينة فمن راني فلا يغتر بالدنيا فما كانت الا كحلم النائم فبكى عيسى عليه السلام

ووجد مكتوباً على قصر لبعض الملوك قد باد اهله واقفرت ساحته

هذي منازل اقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الحلم والكرم

وقال عبد الله بن ابي سرح نزل حي من العرب شعباً من شعاب اليمن فتناخوا فيه فجلعوا واستعدوا للقتال فاذا صائح يصيح يا هؤلاء على رسلكم على ما القتال فوالله لقد ملكني سبعون اعور كلهم اسمه عمرو **فصل** **يا ايها الرجل** اعتبر بمن مضى من الملوك والاقيال وخلا من الامم والاجيال وكيف بسطت لهم الدنيا وانسئت لهم الاجال وافسح لهم في المنى والامال واهدوا بالآلات والعدد والاموال كيف طحنهم بكلكله المنون ولم تخدعهم بزخرفها الدهر الخؤن واسكنوا من بعد سعة القصور بين الجنادل والصخور وعاد العين اثراً والمال خبراً فانا اليوم فقد ذهب صفو الزمان وبقي كدره فالموت اليوم تحفة لكل مسلم كان الخير اصبح خاملاً والشر اصبح ناظراً وكان الغي اصبح ضاحكاً وادبر الرشد باكياً وكان العدل اصبح غائراً واصبح الجور غالباً وكان العمل اصبح مدفوناً والجهل منشوراً وكان اللؤم اصبح باسقاً والكرم خاوياً مطوياً وكان الود اصبح مقطوعاً والبغض موصولة وكان الكرامة قد سلبت من الصالحين وتوجه بها الاشرار وكان الجبن اصبح مستيقظاً والوفا نائماً وكان الكذب اصبح مثمراً والصدق ماحلاً وكان الاشرار اصبحوا يسامون السما واصبح الاخيار يردون بطون الارض

اما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول لخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك ولا تنافس اهل الدنيا في خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم **قال الشاعر**

رب معروس لعاش خبه • عدمته عين عرسه
وكذاك الدهر مانمه • اقربا لاشيا من عرسه

وقال التهامي

تنافس في الدنيا غرورا وانما • قصارا غناها ان يصير الى فقر
وانا لفي الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يجري

وقال بعض الشعرا

تروح لك الدنيا بغير الذي غدت • ويحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة • وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره • فذاك محال لا يدوم سرور
عمر الله عمر صبر الهم واحدا • وايقن ان الدائرات تدور

وقال وهب بن منبه قرأت في بعض كتب الانبيا عليهم السلام ان المسيح عليه السلام اجاز بجمجمة بالية عظيمة نخرة فقال له اصحابه يا روح الله لو سالت الله تعالى ان يستنطق هذه الجمجمة لعلها تخبرنا بما رأته من العجايب ففعل فانطقها الله تعالى فقالت يا روح الله اني عشت الف سنة واستولدت الف ذكر وافتتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وقتلت الف جبار وصحبت الدهر واستخبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم ار شيا اشد من طالع بلى ارض صالح ولم ار اجمل لهذا الدهر شيا انفع من الصبر ومسالمة اهله ولم ار هلاك اهله الا في الحرص والطمع ووجدت العز في الرضى بالقسم **وقال محمد بن ابي العتاهية**

آخر شعر قاله في مرضه الذي توفي فيه

الهي لا تعذبني فاني • مقر بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الا رجائي • وعفوك ان عفوت وحسن ظني
اذا فكرت في قدمي عليها • عضضت انامل وقرعت سني
وكم من زلة لي في الخطايا • وانت علي ذو فضل ومن
تغر بزهرة الدنيا جنونا • واقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي مقامات عظيم • كاني قد دعيت له كاني
ولو اني صدقت الله فيه • فلت لاهلها ظهر المجن

وقال بن عباس لما وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال لست انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس ويقول يا ايها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم فعوا فاذا وعيتم فقولوا فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكلما هو آت آت ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس قسما بالله لا كذب فيه ولا اثم لئن كان في الارض رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من

هذا الذي انتم عليه ما لي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا ايكم يروي شعره **فانشدوا**

في الذاهبين الاولين • من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا • للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها • تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الباقي اليك • ولا من الباقين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا • ان الموت هي المقابر
ايقنت اني لا محالة • حيث صار القوم صائر

ثم قال رجل لقد رأيت منه عجبا اقحمت واديا فاذا انا بعين خراره وروضة مدهامة وشجرة عالية واذا انا بقس بن ساعدة قاعدا في اصل شجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصا وقال تنح حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رايت ذلك ذعرت منه ذعرا شديدا فالتفت الي وقال لا تخف فالتفت فاذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان القبران فقال هما قبرا اخواي كانا يعبدان الله تعالى معي في هذا الموضع وانا اعبد الله بينهما حتى الحق بهما فقلت له افلا تلحق بقومك فتكون في خيرهم فقال ثكلتك امك اوما علمت ان ولد اسمعيل تركت دين ابيها واتبعت الاضداد وعظمت الانداد ثم تركني واقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طال ما قد رقدتما • اجدكما لا تقضيان كراكما
ارى النوم بين الجلد والعظم منكما • كان الذي يسقي المنون سقاكما
الم تعلما اني بسمعان مفرد • وما لي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحا • طوال الليالي او يجيب صداكما
ابكيكما طول الحياة وما الذي • يرد على ذي لوعة ان بكاكما
كانكما والموت اقرب غاية • بروحي في قبريكما قد اتاكما
سلام وتسليم وروح ورحمة • ومغفرة المولى على ساكنيكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية • لجدت بنفسي ان تكون فداكما

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان قس بن ساعدة يبعث امة وحده يعني ان كل امة امتي تبعث وحدها لا يخالطها غيرها ويبعث قس ايضا وحده ليس معه احد **وروى** ان المهدي نام يوما

فانشد في منامه

كاني بهذا القصر قد باد اهله • واوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق الا ذكره وحديثه • تنادي بليل معولات ثواكله

فما آتت عليه عاشرة عشر حتى مات **وانشدني** القاضي ابو العباس الجرجاني بالبصرة رضي الله عنه **هذه الابيات**

بالله ربك كم قصر مررت به • قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا في جوانبه • فصار من بعده بالويل والحرب

وانشدني ايضا

ايها الرافع البنا رويدا • لن تذود المنون رفع المباني

ان هذا البنا يبقى ويفنى * كل شئ ابقاه الانسان

وقال الحكيم بن عمر قال ابو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم اني ارتكبت الامور العظام جراءة مني عليك فقد اطعتك في احب الاشيا عليك شهادة ان لا اله الا الله منّا منك لا منّا عليك وكان سبب امراضه من الحضرا انه كان يوما نايما فاتاه ات في منامه فقال

كاني بهذا القصر قد باد اهله * واوحش منه ركنه ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة * الى تربة تسفي عليه جنادله

فاستيقظ مرعوبا ثم نام فانشده

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وامر الله لا شك واقع
فهل كاهن اعددته او منجم * ابا جعفر عنك المنية دافع

فقال يا ربيع اريد الحج ايتني بطهوري فنام واغتسل ولبس وتحرم ثم قال يا ربيع القني في حرم الله تعالى

وانشدني القاضي ابو العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون
رام الامور فاعطته مقادتها * وبخ الناس بالتشديد واللين
حتى اذا ظن ان لا شي غالبه * ومكنت قدماه اي تمكين
راحت عليه المنايا روحة تركت * ذا الملك والعز تحت الماء والطين

وانشدني ابو محمد التميمي ببغداد

لمن ابني لمن اسم المطايا * لمن استانف الشيء الجديدا
اذا ما صار اخواني رفاتا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا
اعانق معشرا لم يشكلوا * واشكل قد اعتنقوا اللحودا

ومن زهد في الدنيا وابصر عيوبها من ابنا الملوك ابو عقال غلبون بن الحسن من بني الاغلب وهم من ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله فتوة ظاهرة فتاب الى ربه ورجع عن ذلك رجوعا فارق نظراوه فرفض المال والاهل وهجر البنا والوطن وبلغ من العبادة مبلغا اربى فيه على المجتهدين وعرف باجابة الدعوة وكان عالما اديبا قد صحب عدة من مشايخ سحنون وسمع منهم ثم انقطع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى ابا هرون الاندلسي منقطعا متبتلا لله تعالى فلم ير منه كبير اجتهاد في العمل فجعل ابو عقال يجتهد في بعض الليالي وابو هرون نايم اذ غالبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر ينام الليل كله وانا اسهر الليل كله فلو ارحت نفسي فوضع جنبه فراى في منامه شخصا فتلى عليه ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الى اخر الاية فاستيقظ فزعا وعلم انه المراد فايقظ ابا هرون وقال له سالتك بالله هل اتيت كبيرة قط قال لا يا ابن اخي ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله فقال ابو عقال ولهذا تنام انت ولا يصلح لمثلي الا الكد والاجتهاد ثم رحل الى مكة ولزم بيت الله تعالى وحج مرارا واربى على عباد المشرق وكان يجل بالقرية على طهرة لقوته ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفرض في المسجد الحرام سنة سبع وتسعين ومايتين وقال له رجل كان يصحبه يوما الي اليك حاجة قال مقضية بعد الجهد به قال ان كانت لك شهوة اخبرني بها قال نعم اشتهي ان اكل راسا فاشتريت له راسين في لفقتهما في رقاق وجئته بهما ثم سالته بعدما ايام هل طاب لك الراسان قال لا اما هو الا ان فتحتهما فاذا هما محشوان

دودًا اليس فيهما البتة لحم الا الدود فاتيت الرواس فاخبرته فاطرق متعجبا ثم قال ما ظننت ان احدا يجيء عن الحرام هذه الحماية تلك الرووس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم اعطاني راسين من غير تلك الغنم فاتيت ابا عقال فاكلهما فاخبرته بما قال الرواس فبكى ثم قال يا رب ما كان يستحق عبدك ابو عقال مثل هذه الحماية ولكنه يا رب فضلك وكرمك فلك علي يا رب ان لا اكل طعاما بشهوة اشتهيه حتى القاك ان شا الله وكانت له اخت متعبدة فلما مات لحقت قبره باكية ورثت عليه هذه الابيات

ليت شعري ما الذي عاينته * بعد دوم الصوم مع نفي الوسن
مع عزوف النفس عن اوطانها * والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقيقا ليس في وجدي به * علة تمنعني من ان اجن
هكذا يبلى وجوه في الثرى * فلهذا يبلى عليهن الحزن

وروي ان رجلين تنازعا في ارض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقال اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا الف سنة ثم مت وصرت رميما الف سنة فاخذني خزاف واتخذني خزفا ثم اخذني وضربني لبنة وانا في هذا الجدار منذ كذا وكذا سنة فلم تتنازعان في هذه الارض ولبعضهم

الا من لجسم الحبيب المعانيا * لبس البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة * تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
حنتك الليالي بعدما انشأنه * سوى العصا لو تستقين باكيا

وكان في بلاد الروم مما يلي ارض الاندلس رجلا نصرانيا قد بلغ من التخلي عن الدنيا مبلغا عظيما فاعتزل الخلق ولزم قلل الجبال والسياحة في الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الامر فاكرمه ابن هود وبجله ثم جعل يعرض عليه ذخاير امواله وخزاين ملكه وما حوته من البيض والحمر والاحجار من الياقوت والجواهر وامتعة ونفايس الاعلاق والجواري والحشم والاجناد والكراع والسلاح فاقاموا في ذلك اياما فلما انقضى قال له كيف ترى ملكي قال لقد رايت ملكا ولكنه يعوزك فيه خصلة ان انت قدرت عليها تم انتظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك شبيه لا شيء قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع غطا عظيما حصينا قويا ويكون مساحته قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله او تقدر البشر على هذا فقال العلج يا هذا او تفتخر بامر تتركه غدا ومثل لا يفتخر بما يفنى كمن يفتخر بما يراه في النوم ومن العجب ما روي في الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك زهدت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها فتفقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان هناك دير للمتعبدين فيهم شاب متعبد فابصروا منه من الاجتهاد والعمل في العمل وملازمة الاوراد ومواصلة الاعمال ما فاق به جميع من في الدير واقام على ذلك ما شا الله الى ان انقضت ايامه ووافاه حمامه فقضى الفتى نحبه فحزن عليه اهل الدير من الزهاد والعباد والمنقطعين فاذ دروا عليه الدموع ثم اخذوا في غسله وجهازه فاذا هو امراة ففحصوا عن امرها فاذا هي بنت الملك فزادهم ذلك عجبا بها وتعظيما لها وتشاوروا في امرها ماذا يجب لها من الكرامة ثم اجمعوا امرهم ان لا يدفنوه تحت الثرى وان يجعلوه فوق كرسيهم فغسلوه وكفنوه وجهزوه وصلوا عليه ثم اقبلوا يحملونه على الاكف والسواعد كلما ضجر واحد جاء واحد يحمل وكل من انقطع في الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان بلي وتقطعت اوصاله مع طول الزمان فدفن حينئذ رحمه الله وروي ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظروا من عاب منه شيئا فاصلحوه واعطوه درهمين فاتاه رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال يموت الملك ويخرب

العصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا ومن عجايب اخبار الخضر عليه السلام قال سُئِل
الخضر عليه السلام عن اعجب شي رايته في الدنيا في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعك القفار والفلوات
فقال اعجب ما رايته اني مررت على مدينة لم ار على وجه الارض احسن منها فسالت بعضهم متى بنيت هذه المدينة
فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا متى بنيت وما زالت هكذا من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحوا من
خمس ماية عام وعبرت عليها بعد ذلك فاذا هي خاوية على عروشها ولم ار احدا اسايله واذا رعاة غنم فدنوت منهم
فقلت اين المدينة التي كانت ههنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انه قط كانت ههنا مدينة
فغبت عنها نحوا من خمس ماية عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه
الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا
الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمس ماية عام ثم انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد
غاض ماوه واذا مكانه غيضة ملتفة بالقصب والبردي والسباع واذا صيادون يصيدون السمك
في زوارق صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انه
كان ههنا بحر قط فغبت عنها نحوا من خمس ماية عام ثم اتيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينة على حالته الاولى والحصون
والقصور والاسواق قايمة فقلت لبعضهم اين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله
ما يذكر اجدادنا الا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمس ماية عام ثم انتهيت
اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم ار احدا اساله ثم رايت راعيا فسالته اين المدينة التي كانت
ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ
كان فهذا اعجب شي رايته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومحيي البلاد ووارث الارض ومن عليها

وقالت الشاعرة

قف بالديار فهذه اثارهم • تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسايل مخبرا • عن اهلها او ناطقا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها • فارقت من تهوى فعز الملتقا
فاجبتها والدمع يجري مقلتي • بعد الاحبة لا خلوت من الشقا

وسمعت بالعراق منشدا ينشد هذه الابيات

ايها الربع الذي قد دثرا • كان عينا ثم امسى اثرا
اين سكانك ماذا فعلوا • خبرا عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى مناد بهم • رحلوا واستودعوني عبرا

ومن الشعر المستحسن في هذا الباب قول القايل

رب ورقاء هتوف في الضحى • ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا • فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكاي ربما ارقها • وبكاها ربما ارقني
فاذا اسعد لي اسعدها • واذا اسعدها تسعدني
ولقد تشكو فما افهمها • ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها • وهي ايضا بالجوى تعرفني

ونظر

ونظر رجل من العباد الى باب ملك من الملوك وقد شيده وانقه وزوقه فقال باب جديد وموت عتيد
وسفر بعيد ونزع شديد ولما ثقل عبد الملك بن مروان راى غسالا يلوي بيده ثوبا فقال وددت
اني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكتسبه يوما بيوم فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت
يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه وقال الرسول عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع
ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يتوقع احدكم من الدنيا الا غنا مطغيا او فقرا منسيا او
مرضا مفسدا او هرما مفندا او الدجال فالدجال شر غايب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى
وامر وقال عيسى بن مريم عليه السلام اوحى الله تعالى الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه
يا دنيا مري على اوليايي لا تحلولي لهم فتفتنيهم وقال مورق العجلي يا ابن ادم في كل يوم تؤتى رزقك
وانت تحزن وعمرك ينقص وانت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير
تشبع وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ايها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان
في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي
ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات وقال بعض الحكما الدنيا كالما الملح
كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكاس من العسل في اسفله السم وللذايق منه حلاوة عاجلة
وله في اسفله الموت الذعاف وكاحلام النايم التي تفرحه في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح
وكالبرق الذي يضي قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه في الظلام مقيما وكدود الابريسم التي لا يزداد
الابريسم على نفسها لفا الا ازدادت من الخروج بعدا وفيه قال القايل

كدود كدود القز ينسج دايما • ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ومثال من يستعجل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الاخرة مثال رجلين لهما من الارض حبتي عنب فاما
احدهما فجعل يبيع الحبة التي اخذها ثم يبلعها واما الاخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا فاذا الذي
زرع الحبة قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وفكر الاخر في صنعه بالحبة فوجدها قد صارت عنده زبيبا ليس
عنده منها شي الا الحسرة على تفريطه والغبطة بصاحبه وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى
نبي من انبياء بني اسرايل ان اردت ان تسكن معي في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدا مهموما
وحشيا بمنزلة الطير الوحداني الذي يظل في الارض الفلاة وياكل من رووس الشجر ويشرب من ما العيون
فاذا كان الليل اوى وحده ولم ياو مع الطير استيناسا بربه ولبعضهم

ثم للحوادث من صروف عجايب • ونوايب موصولة بنوايب
ولقد تقطع من شبابك ما مضى • ما لست احسبه اليك بايب
تبغي من الدنيا الكثير وانما • يكفيك منها مثل زاد الراكب

قال مالك بن انس رضي الله عنه بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وجفت
انهارها وتشعث شجرها فنادى اين اهلك فلم يجبه احد ثم نادى يا خرب اين اهلك فلم يجبه احد ثم
نادى يا خرب اين اهلك فنودي عيسى بن مريم بادوا وتضمنتهم الارض وعادت اعمالهم قلايد في رقابهم
الى يوم القيمة عيسى بن مريم فجد قال مالك سالت امراة من بقية قوم عاد فقيل لها هي
اي عذاب الله رايت اشد قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحمته على ليلة لا ريح فيها ولقد
رايت الريح تحمل العير بين السما والارض وقال مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا العشب وانه كان ليبكي

من خشية الله تعالى ما لو كان لقار على عينيه لحرقه ولقد كان الدمع اخذ يجري في وجهه **ومر بعض**
الملوك بسقراط الحكيم وهو نايم فركضه برجله وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال
له الملك الا تعرفني قال لا ولكني ارى فيك طبع الدواب لمن يركض برجله فغضب وقال اتقول لي هذا
وانت عبدي فقال له سقراط بل انت عبد عبدي قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وانا
قد ملكت شهوتي قال فانا الملك بن الاملاك السادة املك من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا
فقال اراك تفخر على ما ليس بنفسك وانما سبيلك ان تفخر بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا
ونرمي في هذا النهر ونتكلم فحينئذ يتبين الفاضل من المفضول فانصرف الملك خجلا **وها ناوه**
لك امر اصابني طيش عقلي وبلبل حزني وقطع نياط قلبي فلا يزال مراه لي حتى يواريني التراب **وذلك**
اني كنت يوما بالعراق وانا اشرب ماء فقال لي صاحب لي كان له عقل يا فلان لعل هذا الكوز الذي تشرب
فيه الماء قد كان انسانا يوما من الدهر فمات فصار ترابا فاتفق للفخاري ان اخذ تراب القبر فصيره خزفا
وشواه بالنار فانظم كوزا كما ترى وصار انية تمتهن وتستخدم بعد ما كان بشرا سويا ياكل ويشرب
وينعم ويلتذ ويطرب فاذا الذي قاله من الجايزات فان الانسان اذا مات صار ترابا كما كان في النشاة الاولى
ثم قد تشفق بعض نحوه وبحزنا لما ترابه فيتخذ منه انية تمتهن في البيوت او لبنة تبنى في الجدار او يطين
سقف البيت او يفرش في الدار فيوطا بالاقدام او يجعل طينا على الجدار وقد يجوز ان يغرس عنده
شجرة فيستحيل تراب الانسان شجرة وورقا وثمرة وترعى البهايم اوراقها وياكل الانسان ثمرها فينبت
منه لحمه وينشز منه عظمه او ياكل ترابها لتمش الحشرات والبهايم فبينما كان نعمات صار قوتا وبينما كان
ياكل صار ماكولا ثم يعود في بطن الارض رجيعا يقذف في بيت الراحة او بعرا ينبذ بالعرا ويجوز اذا
حفر قبره ان تسفي ارياح ترابه فتتفرق اجزاوه في بطون الاودية والتلول والوهاد الیس في هذا
ما اذهب العقول وطيش الحلوم ومنع اللذات وهان عنده مفارقة الاهلين والاموال والحقوق بعلل
الجبال والانس بالوحوش حتى يأتي امر الله اليس في هذا ما صغر الدنيا وما فيها اليس في هذا ما حقر الممالك
عند من جمعه اليس في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات **وقال** مسعر رحم من مستقبل يوما
لا يستكمله ومنتظر غدا لا يدركه انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره لبغضتم الامل وغروره
ولما بنى المامون بن ذي يزن بن ذي النون وكان من ملوك الاندلس قصره وانفق فيه الاموال الجمة
عمل بها بنيانا في الارض وكان من عجايبه ان صنع فيه بركة ماء كانها بحيرة وبنى في وسطها قبة وسيق الماء
من تحت الارض حتى علا على راس القبة على تدبير قد احكمه المهندسون وكان الماء ينزل من اعلى القبة
حواليها فيحيط بها متصلا بعضه ببعض وكانت القبة في علوها من الماء لا تفتر والمامون قاعد فيها فروي
عنه انه بينما هو نايم اذ سمع منشدا ينشد هذه الابيات

أتبنى بناء الخالدين وانما • بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية • لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبه **ووجد** مكتوبا على قصر قد باد اهله واقفرت منازله

هذي منازل اقوام عهدتهم • في خفض عيش نفيس ما له خطر
صاحت بهم نايبات الدهر فانقلبوا • الى القبور فلا عين ولا اثر

وللصاحب ايضا

ولقد

ولقد مررت على ربوع ديارهم • وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب • نضوي وصاح بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت • عنها الطلول تلفت القلب

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما تعدت هذه الابيات

ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض • على الماء خانته فروج الاصابع

وروي ان الحجاج قال في خطبته ايها الناس انما بقي من الدنيا اشبه مما مضى من الدنيا بما مضى هذه ما قبلته
فكيف اسى على ما بقي منها **وروي** ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا للدنيا ولابن ادم عند الموت
كمثل رجل له ثلاثة اخلاء فلما حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لي خلا مكرما موثرا وقد حضرني من
امر الله تعالى ما ترى فماذا عندك فيقول هذا امر الله غلبني عليك لا استطيع ان انفس كربتك ولكن ها
بين يديك فخذ مني زادا ينفعك ثم يقول للثاني قد كنت عندي اثر الثلاثة وقد نزل بي من امر الله ما ترى
فما عندك قال هذا امر الله تعالى غلبني عليك ولا استطيع ان انفس عنك كربتك ولكن سأقوم عليك في
مرضك فاذا مت انقيت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي
من امر الله تعالى ما ترى وكنت اهون الثلاثة علي فما عندك قال اني قرينك وحليفك وخليطك في الدنيا
والاخرة ادخل معك قبرك حين تدخله واخرج منه حين تخرج ولا افارقك ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الاول ماله والثاني اهله والثالث عمله **ولقي ميمون** بن مهران الحسن البصري قال له قد كنت احب
لقاك فعظني فقرا الحسن افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
فقال عليك السلام ابا سعيد فقد وعظت احسن موعظة **واعجبا كل العجب** للمكذب بالنشاة الاخرى
وهو يرى الاولى **واعجبا كل العجب** للشاك في قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه **واعجبا كل العجب**
للمكذب بالنشور وهو يموت كل يوم وليلة ويحيى **واعجبا كل العجب** للمصدق بدار الخلود وهو
يسعى لدار الغرور **واعجبا كل العجب** للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك
لا يدري ما يفعل به **وروي** ان الله تعالى اوحى الى ادم عليه السلام جماع الخير كله في اربعة اشياء
واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس فاما التي لي فان تعبدني ولا تشرك
بي شيئا واما التي لك فاعمل ما شئت فاني اجزيك به واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة
واما التي بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب ان يكونوا لك **وقال** سليمان بن داود عليهما السلام اوتينا
مما اوتي الناس ومما لم يوتوا وعلمنا مما يعلم الناس ومما لم يعلموا فلم نجد شيئا افضل من خشية الله تعالى
في الغيب والشهادة وكلمة حق في الرضى والغضب والقصد في الغنا والفقر **وكتب** معاوية الى عايشة
رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا اوصيني فيه ولا تكثري **فكتبت** اليه عايشة سلام عليك **اما بعد**
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس
والسلام **ولما ضرب** بن ملجم علي عليه السلام ادخل منزله فاعترته غشية ثم افاق ودعا الحسن
والحسين فقال اوصيكما بتقوى الله والرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شيء فاتكما
منها اعملا الخير كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا وقال اما سمعت ما اوصيت به اخويك
قال بلى قال فاني اوصيك به وعليك ببر اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما
ثم اقبل عليهما وقال اوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن ابيكما وانتما تعلمان ان اباه كان يحبه فاحباه

كذا

ثم قال يا بني اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر والعدل
على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضى عن الله في الشدة والرخا يا بني ما شر بعده الجنة بشر
ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية يا بني من ابصر عيب نفسه شغل عن
عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه المؤمن بيرا وقع
ومن هتك حجاب اخيه انكشفت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن اعجب برايه ضل
ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن
خالط العلما وقر ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن كثر كلامه كثر خطاه ومن كثر خطاوه قل حياوه
ومن قل حياوه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب خير ميراث وحسن
الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة اجزا تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء
يا بني زينة الفقير الصبر وزينة الغني الشكر يا بني لا شرف اعلا من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا معقل
احرز من الورع ولا شفيع انجح من التوبة ولا لباس اجمل من العافية الحرص مفتاح المقت ومطية النصب التدبير
قبل العمل يومنك الندم بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد طوبى لمن اخلص لله عمله وعلمه وحبه وبغضه
واخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله **وروي** ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن دعا بلبن فشربه
فخرج من طعنته فقال الله اكبر فجعل جلساوه يثنون عليه فقال وددت اني اخرج منها كفافا كما دخلت فيها
لو ان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع قال عمرو ولما حضرته الوفاة غشي
عليه فاخذت راسه فوضعته في حجري فقال ضع راسي بالارض لعل الله يرحمني فمسح خديه بالتراب وبكى
وقال ويل لامه ان لم يغفر له فقلت وهل حجري والارض الا سوا يا ابتاه فقال ضع راسي بالارض لا ام لك
فاذا قضيت فاسرعوا بي الى حفرتي فانما هو خير تقدموني اليه او شر تضعونه عن رقابكم ثم بكا فقيل له
ما يبكيك فقال اخبر انما لا ادري اينطلق بي الى الجنة ام الى النار **ولما حضرت** عمر بن عبد العزيز الوفاة
قال اللهم انك امرتني فقصرت ونهيتني فضيعت وانعمت علي فافضلت فان عفوت فقد مننت وان عاقبت
فما ظلمت الا اني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله
ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى اهله يبكون حوله فقال جاد هشام لكم بالدنيا وجدتم
عليه بالبكا وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر له **ودخل**
على المامون في مرضه الذي مات فيه فاذا هو قد امر ان يفرش جل الدابة ويبسط عليه الرماد وهو
راقد عليه وهو يتضرع وهو يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه **وروي** ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه مر على طاير واقع على شجرة فقال طوبى لك يا طاير تطير على الشجر وتاكل من الثمر وليس عليك
حساب ولا عقاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت اني شجرة الى جانب الطريق مر علي بعير فاخذني فلا
كني ثم ازدردني ثم اخرجني بعرا ولم اك بشرا **وقال** عاصم بن عبد الله اخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبنة
من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وقال ابن مسعود رضي الله عنه
وددت اني طاير في منكبي ريش وسمع رجلا يقول يا ليتني كنت من اصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني اذا مت لم
ابعث **وقال** عمران بن الحصين لوددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف **وقال** ابو الدرداء
رضي الله عنه يا ليتني كنت شجرة تعضد ويوكل ثمري ولم اك بشرا **وروي** ان علي بن ابي طالب رضوان الله
عليه لما رجع من صفين فدخل اوايل الكوفة فاذا هو بقبر فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه

وقال رحم الله خبابا اسلم راغبا وهاجر طايعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه اجرا الا ولن يضيع الله اجر من
احسن عملا ثم مضى فاذا القبور فجا حتى وقف عليها فقال السلام عليكم اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة انتم
لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل
للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا اهل القبور اما الازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت
واما الاموال فقد قسمت وهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى اصحابه فقال اما انهم لو تكلموا لقالوا
وجدنا خير الزاد التقوى

الباب الثاني
في مقامات الصالحين عند الامرا والسلاطين

دخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته عينه فاز
درى به وقال يا امير المومنين اهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع من المحول واتصال من الجدب
فالمكثر منهم قد اطرق والمقل يبلغ به المخنق فان راى امير المومنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير
ويصفح عن المحول ويداوي المجهول ويامر بالعطا ليكشف البلاء ويزيل اللاوا فان السيد من يعم ولا يخص
ويدعو الجفلا ولا يدعو النقرا ان احسن اليه شكر وان اسي اليه غفر ثم يكون من ورآء ذلك لرعيته عمادا يدفع
عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية ههنا يا ابا بحر ثم قرا وتعرف فيهم في لحن القول **وقال** سفين
الثوري رضي الله عنه لما حج المهدي قال لا بد لي من سفين فوضعوا لي الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثلت بين
يديه ادناني ثم قال لاي شي لا تاتينا فنستشيرك في امورنا فما امرتنا من شي صرنا اليه وما نهيتنا عن شي
انتهينا عنه فقلت له كم انفقت في سفرك هذا قال لا ادري لي وكلا وامنا قلت فما عذرك غدا اذا وقفت
بين يدي الله تعالى فسالك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه كم انفقنا في سفرنا هذه
قال يا امير المومنين ثمانية عشر دينارا فقال ويحك اجحفنا ببيت مال المسلمين **وقال** الزهري ما سمعت
باحسن من كلام تكلم به عمر عند سليمن بن عبد الملك فقال يا امير المومنين اسمع مني اربع كلمات فيهن صلاح دينك و
آخرتك ودنياك قال وما هن قال لا تعد احدا عدة وانت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتقا سهلا اذا كان
المنحدر وعرا واعلم ان للاعمال جزا فاحذر العواقب وللدهر تارات فكن على حذر **ولما دخل** ابن السماك على
هرون قال له عظني يا امير المومنين ان الله لم يرض بخلافته في عباده غيرك فلا ترض من نفسك الا بما رضي به عنك
فانك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بذلك يا امير المومنين من طلب فكاك رقبته من جهنم في اجله
كان خليقا ان يعتق نفسه يا امير المومنين من ذوقته الدنيا حلاوتها بركونه اليها اذاقته الاخرة مرارة تجافيه
عنها يا امير المومنين اشرتك الله ان تقدم على جنة عرضها السموات والارض وقد عبتو لم يكن لك فيها نصيب يا امير
المومنين الموت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تعدم الاعلى دار مشغول ولا تخلف الاحمقونا مغرور
وانك واياناي دار صغير وجيران ظعن **ولما حج** سليمن بن عبد الملك استحضر ابا حازم فقال له تكلم يا ابا حازم
قال لم اتكلم قال فما المخرج من هذا الامر قال يسير ان انت فعلته قال وما ذاك قال لا تاخذ الاشيا الا من حلها
ولا تضعها الا في محلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله في الامر ما قلدك قال عظني يا ابا حازم قال يا امير المومنين
ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك ثم قال يا امير المومنين نزه
ربك في عظمته عن ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك يا امير المومنين انما انت سوق فما نفق عندك
حمل اليك من خير او شر فاختر لنفسك ايهما شئت قال فما لك لا تاتينا قال وما اصنع باتيانك ان ادنيتني فتنتني

وان افضيتني احرمتني وليس عندي ما اخافك عليه ولا عندك ما ارجوك له قال فارفع الى حوائجك قال قد رفعتها
الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت يقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا فمن ذا الذي يستطيع ان ينقص من كثير ما قسم الله او يزيد في قليل ما قسم الله قال فبكا سليمن بكاء شديدا ٥
فقال رجل من جلسايه اسات الى امير المومنين قال ابو حازم اسكت فان الله تعالى اخذ ميثاق العلما ليبيننه للناس ولا
يكتمونه ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فرده وقال للرسول قل له يا امير المومنين والله ما ارضاه
لك فكيف ارضاه لنفسي **وقال** الفضيل بن الربيع حج هرون الرشيد فبينا انا نايم ليلة اذ سمعت قرع الباب
فقلت من هذا فقال اجب امير المومنين فخرجت مسرعا فاذا انا بامير المومنين فقلت يا امير المومنين لو ارسلت الي
اتيتك فقال ويحك قد جال في نفسي شي لا يخرجه الا عالم انظر لي رجلا اساله عنه قلت ههنا سفين بن عيينة ٥
قال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قال فقلت اجب امير المومنين فخرج مسرعا فقال يا امير
المومنين لو ارسلت الي اتيتك فقال خذ لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم
انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيا فانظر لي رجلا اساله قلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه
نساله فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلنا اجب امير المومنين فخرج مسرعا فقال يا امير المومنين لو
ارسلت الي اتيتك فقال خذ لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال اعليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا
ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيا فانظر لي رجلا اساله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فاتيناه
فاذا هو قايم يصلي في غرفته يتلوا اية من كتاب الله وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب
امير المومنين فقال ما لي ولامير المومنين فقلت سبحان الله اما عليك طاعة او ليس قد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ليس للمومن ان يذل نفسه فنزل ففتح الباب ثم ارتقا الغرفة فاطفا السراج ثم ارتقا الى زاوية من
زوايا البيت فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفي فقال اوه من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب
الله قال فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال خذ لما جيناك له يرحمك الله قال وفيم جيت ٥
حطبت على نفسك وجميع من معك حطبوا عليك حتى لو سالتهم يوم غدا ان يتحملوا عنك وعنهم ان يتحملوا منك
شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان اشدهم حبا لك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة
دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجا بن حيوة فقال لهم قد ابتليت بهذا البلا فاشيروا علي فعد الخلافة
بلاء وعددتها انت واصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن
افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك ابا واوسطهم
لك اخا واصغرهم ولدا فبر اباك وارحم اخاك وتحنن على ولدك وقال له رجا بن حيوة ان اردت النجاة من عذاب
الله غدا فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت متى شيت واني لاقول لك هذا واني
لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل فيه الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هولاء القوم من يامرك بمثل هذا
فبكا هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق بامير المومنين فقال يا ابن ام الربيع قتلته انت واصحابك
وارفق به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المومنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا اليه فكتب اليه
عمر يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخلود الابد فان ذلك يطرد بك الى ربك نايما ويقظانا واياك
ان تزل قدمك عن هذه السبيل فيكون اخر العهد بك وينقطع الرجا منك فلما قرا الكتاب طوى البلاد حتى قدم
عليه فقال له عمر ما اقدمك قال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية ابدا حتى القى الله فبكا هرون
بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المومنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء فقال يا رسول الله

امرني

امرني على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة
حسرة يوم القيمة فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكا هرون بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله قال
يا حسن الوجه انت الذي يسالك الله عن هذا الخلق يوم القيمة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل
واياك ان تصبح وتمسي وانت غاش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رايحة الجنة
فبكا هرون بكاء شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان
لم يلهمني حجتي قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يامرني بهذا انما امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة
المتين فقال له هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك
على النجاة وتكافيني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دللتني
على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم **وروي** ان امراة من نسايه دخلت عليه فقالت يا هذا
قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير ياكلون
من كسبه فلما كبر نحروه واكلوا لحمه موتوا يا اهلي جوعا ولا تنحروا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى
يقبل المال فلما دخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج وجلس على التراب فجعل الرشيد يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك
اذ خرجت جارية سودا فقالت يا هذا قد اذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحمك الله فانصرفنا **ووعظ**
شبيب بن شيبة المنصور فقال يا امير المومنين ان الله تعالى لم يجعل فوقك احدا فلا تجعل فوق شكرك شكرا
ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقرا والفجر وليال عشر والشفع والوتر حتى بلغ الى قوله ان ربك
لبالمرصاد لمن فعل مثل افعالهم فاتق الله يا امير المومنين فان ببابك نيرانا تتاجج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وانت مسول عما اجترحوا وليسوا مسولين عما اجترحت فلا تفسد دنياهم بفساد اخرتك
اما والله لو علموا انه لا يرضيك منهم الا العدل ليتقرب به اليك من لا يريده فقال له سليمن بن مجالد اسكت
فقد غممت امير المومنين فقال عمرو ويلك يا ابن ام مجالد اما كفاك انك خزنت نصيحتك عن امير المومنين حتى اردت
ان تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا امير المومنين فان هولاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فانت كالماسك
بالقرون وغيرك يحلب فان هولاء لن يغنوا عنك من الله شيا **وقال** الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه
يا امير المومنين اما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها
المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملا قلوبهم رعبا
فكيف بمن سفك دما المسلمين وشقق ابشارهم وانتهب اموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
دعا الى القصاص من نفسه لخدشة خدشها اعرابيا من غير عمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا
تكسر قرون رعيتك يا امير المومنين لو ان ثوبا من ثياب النار صب على ما في الارض لاحرقه فكيف بمن يتقمصه ولو
ان ذنوبا من النار صب على ما في الارض لاحرقته فكيف بمن يتجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على
الجبال لذابت فكيف بمن يسلكها ويرد فضلها على عاتقه **ودخل** بعض العقلاء على سلطان فقال ان احق الناس بالاجلال
من اجله الله تعالى واولاهم بالانصاف من بسطت يداه بالقدرة فاستدم ما اوتيت من النعم بتاديتك ما عليك من الحق
وروي ان اعرابيا كان بين يدي هشام بن عبد الملك فقال له يا امير المومنين اتت على الناس سنون ثلاث اما الاولى فاكلت اللحم
واما الثانية فاذابت الشحم واما الثالثة فهاضت العظم وعندك فضول اموال فان كانت لله فاقسمها بين عباده
وان كانت لهم فلم تحبسها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فامر هشام بمال ففرق ...

وامر للاعرابي بمايه فقال اكل المسلمين له مثل هذا المال قال لا فقوم يديك بيت المال قال لا حاجة لي فيما يبعث
لابنة الناس على امير المومنين **وقال** رجل لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين اذكر بمقامي هذا مقاما لا يشغل
الله عنه كثرة من تخاصم من الخلايق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من ذنب فبكى عمر بكاء شديدا ثم استرده
الكلام فجعل يردده وعمر يبكي وينتحب ثم قال ما حاجتك قال عاملك باذربيجان اخذ مني اثني عشر الف درهم
قال اكتبوا له حتى يرد عليه **ولما دخل** زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد الا ترى ما ابتليت به من امر
امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد يا امير المومنين والله لو ان كل شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما
انت عليه فاعمل لنفسك في الخروج مما انت فيه يا امير المومنين كيف حال رجل له خصم الد قال اسوء الحال
قال فان كان له خصمان الدان قال اسوء لحاله قال فان كانوا ثلاثة قال لا تهنيه عيشة قال فوالله ما احد من امة
محمد الا وهو خصمك فبكى حتى تمنيت ان لا اكون قلت له ذلك **وقال** محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا امير
المومنين انما الدنيا سوق من الاسواق فمنها خرج الناس بما ينفعهم لاخرتهم وخرجوا بما يضرهم فكم من قوم
غرهم مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين لم ياخذوا من الدنيا للاخرة فاقتسم
ما لهم من لم يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب ان يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه
وانظر الى الذي تكره ان يكون معك اذا قدمت فابتغ به البدل حيث يجوز لك البدل ولا تذهبن الى سلعة
قد بارت على غيرك ترجوا جوازها عليك يا امير المومنين افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم
وحضر رجل بين يدي بعض الملوك فاغلظ له السلطان فقال الرجل انما انت كالسما اذا ارعدت وابرقت
فقد قرب خيرها فتمكن غيظه واحسن اليه **ولما احتاج** المنصور بن ابي عامر ملك الاندلس الى اخذ
ارض محبسة ويعاوض عنها خيرا منها استحضر الفقها في قصره فافتوا بانه لا يجوز فغضب السلطان وامر
اليهم حاجب الوزراء مشهورا بالحدة والعجلة فقال لهم يقول لكم امير المومنين يا مشيخة السوء يا مستحلي اموال
الناس يا اكلي اموال اليتامى ظلما يا شهدا الزور واخذي الرشا وملقني الخصوم وملقحي الشرور وملبسي
الامور وملتمسي الروايات لاتباع الشهوات تبا لكم ولارايكم فهو اعزه الله واقف على فسوقكم قديما
وخونكم لامانتكم مغض عما يجري منكم صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة من زواحده في دهركم
فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم وليكشفن ستوركم وليناصحن الاسلام فيكم
والحض عليكم بهذا ونحوه فاجابه شيخ منهم ضعيف البنية فقال نتوب الى الله تعالى مما قاله امير المومنين
ونسال الله التي له فرد عليه زعيم القوم محمد بن ابرهيم بن حيوة وكان جلدا صارما فقال للمتكلم ثم نتوب
يا شيخ السوء نحن براء من مقالتك ثم اقبل على الوزير فقال له يا وزير بيس المبلغ انت وكلما نسبته الينا عن امير
المومنين فهو صفتكم معاشر خدمه فانتم الذين تاكلون اموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم بالاخافة وتجبون
بمعايبهم بالرشا والمصانعة وتبغون في الارض بغير الحق واما نحن فليست هذه صفتنا ولا كرامة لا نقولها
لاميتهم في الامانة نحن اعلام الهدى وسرج الظلمة بنا يتحصن الاسلام ونفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الاحكام
وبنا تقام الفرايض وتثبت الحقوق وتحقن الدما وتستحل الفروج فهلا اذ عتب علينا سيدنا امير المومنين
بشي لا ذنب فيه لنا وقال ما قال بالغيظ بعض ما قاله تانيت لابلاغنا رسالته باهون من الخاشن وبينت
لنا ما نكاره فهمناه منك واجبناك عنه بما يصلح الجواب عنه به فلست ترزن على السلطان ولا تقضي
وتستحيي مما استقبلتنا به فنحن نعلم ان امير المومنين لا يتمادى على هذا الراي فينا ولا يعتقد هذا
المعتقد في صفاتنا وانه سيراجع بصيرته في ايثارنا وتعزيزنا فلو كان عنده على الحالة التي وصفتها عنا

والعياذ بالله من ذلك لبطل كلما صنعه وعهده من اول خلافته الى هذا الوقت فما ثبت لنا كاتب من حرب ولا سلم ولا
شرا ولا بيع ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا منصرفين
لم يكادوا يبلغوا باب القصر الا والرسل تناديهم فادخلوا الى القصر فتلقاهم الوزرا بالاعظام ورفعوا منازلهم
واعتذروا اليهم مما كان من صاحبهم وقالوا لهم امير المومنين يعتذر اليكم عن فرط موجدته ويستجير بالله من الشيطان
رجيم ونزغته التي حملته على الجفا عليكم ويعلمكم انه نادم على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في تعظيمكم وتفضيل
حقوقكم وقد امر لكل واحد منكم بما ترون من صلته وكسوته علامة لرضاه عنكم فقبلوه وقبضوا ما امر لهم
وانصرفوا على البين لم يمسسهم سوء **ولما نظر** ملك بن دينار الى المهلب بن ابي صفرة يجر اذياله ويتبختر في
ذياله خيلاء ناداه ان ارفع من ثيابك فقال له المهلب اما تعرفني قال له ما لا بلى اني اعرفك اولك نطفة مذرة
واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة **ويروى** ان رجلا قال لعبيد الله العمري هذا هرون الرشيد
في الطواف قد اخلي له المسعى فقال لا جزاك الله عني خيرا كلفتني امرا كنت عنه غنيا قال كم ترى هنا من خلق الله تعالى
قال لا يحصيهم عددا الا الله تعالى فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسال عن خاصة نفسه وانت
وحدك تسال عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكا هرون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع
ثم قال له وزيره ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق عليه الحجر فكيف بمن اسرع في مال المسلمين فبلغ ذلك
هرون الرشيد فكان يقول بعد ذلك اني احب ان احج كل عام وما يمنعني من ذلك الا عبيد الله العمري **ويروى**
ان الحسن بن محمد بن الحسين دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال له
عمر ايه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجثى على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل
واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا اقدر لم يتناول ما ليس له **ولما ولي** عمر بن عبد العزيز وفد
عليه الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر
ليتكلم من هو اسن منك فقال الغلام اصلح الله امير المومنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله
العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو ان الامر يا
امير المومنين بالسن لكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك قال عمر صدقت قل ما بدا لك فقال الغلام
اصلح الله امير المومنين نحن وفد تهنية لا وفد مرزية وقد اتيناك لمن الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا
اليك رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتيناك من بلادنا واما الرهبة فقد امنا جورك بعدلك
فقال له عظني يا غلام فقال اصلح الله امير المومنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثناء
الناس عليهم فزلت بهم اقدامهم فهووا في النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك
فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحقك بصالحي هذه الامة ثم سكت فسال عمر عن الغلام
عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سال عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فتمثل
عند ذلك عمر فقال

تعلم فليس المرء يولد عالما ⁂ وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده ⁂ صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يبالي ما لبس فقيل له ما لك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع المرء ادبه
وعقله لا حليته وحلته لحى الله امرا يرضى ان يرفعه هيئته وجماله لا والله حتى يشرفه اصغراه لسانه
وقلبه ويعلو به اكبراه عقله وهمته **ولما دخل** ضمرة بن ضمرة على المنذر بن المنذر وهو الملك وكان
ضمرة ذا راي وعقل احتقرته عينه لدمامته فقال لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال ضمرة ابيت

اللعين ان القوم ليسوا بجزر مجزور وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا انطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجنان
فان الرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان فاعجب المنذر بكلامه **وروي** ان روح بن زنباع كان في طريق
مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلال وقدم لهم الطعام والشراب
المبرد فبينما هم كذلك اذا هم براع فدعاه الى الطعام فابى وقال اني صايم فقال له روح في مثل هذا اليوم
الحار قال افادع ايامي تذهب باطلا فقال روح لقد ظننت بايامك يا راعي اذ جاد بها روح بن زنباع **وروي**
ان اعرابيا قام بين يدي سليمن بن عبد الملك وقال يا امير المومنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته ان
كرهته فان وراه ما تحب ان قبلته فقال هات يا اعرابي فقال اني ساطلق لساني بما خرست به الالسن من حق
الله وحق امانتك انك قد اكتنفك رجال اساوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك
بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فاعظم الناس غبنا يوم القيمة
من باع اخرته بدنيا غيره فقال له سليمان اما انت فقد نصحت فارجوا ان الله سيعين على ما قلدنا وقد جرد
لسانك وهو سيفك قال اجل يا امير المومنين وهو لك لا عليك **وقال** ابن ابي عروبة حج الحجاج فنزل
في بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغدا وقال لحاجبه انظر من يتغدا معي واساله عن بعض الامر
فنظر نحو الجبل فاذا هو براع بين شملتين نايم فضربه برجله وقال ايت الامير فاتاه فقال له الحجاج اغسل يدك
وتغد معي فقال دعاني من هو خير منك فاجبته قال ومن هو قال دعاني الله تعالى الى الصوم فصمت قال في هذا
الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو اشد منه حرا قال فافطر وتصوم غدا قال ان ضمنت لي البقا الى الغد قال
ليس ذلك الي قال فكيف تسالني عاجلا باجل لا تقدر عليه قال لانه طعام طيب قال لم تطيبه انت ولا
الطباخ ولكن طيبته العافية **ولما حج** هرون الرشيد بعث الى مالك بن انس بكيس فيه خمسماية دينار
فلما قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث الى مالك بن انس يقول له ان امير المومنين يحب ان تنتقل
الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يفتن الناس ويحملهم على اكل لحم الخنزير فاتى برجل افضل اهل زمانه
فاعظم الناس مكانه وهالهم امره فراودوه على اكل لحم الخنزير فقال له صاحب شرطة الملك وقال له
انا اتيك بجدي تذبحه مما يحل لك اكله واذا دعا الملك بلحم الخنزير اتيك به ففعل ثم اتاه به الملك
فدعا بلحم الخنزير فاتى صاحب الشرطة بذلك الجدي فامره الملك ان ياكله فابى فجعل صاحب الشرطة
يغمزه ان ياكله فابى ان ياكله فامر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب به قال له ما منعك ان
تاكل وهو اللحم الذي انت ذبحته اظننت اني جيتك بغيره قال لا قد علمت انه هو ولكني خفت ان يفتتن
الناس فان اكرهوا على اكل لحم الخنزير قالوا قد اكله فلان فيفتتن بي فاكون فتنة لهم فقتل رحمه الله
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال اوليس فيكم كتاب الله وسنة
رسوله قال بلى يا كعب ولكن خوفنا قال يا امير المومنين اعمل عمل رجل لو وافى يوم القيمة بعمل سبعين
نبيا لازدرى عمله مما يرى فاطرق عمر واطرق مليا ثم افاق فقال يا كعب خوفنا فقال يا امير المومنين
لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فاطرق عمر
ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المومنين ان جهنم لتزفر يوم القيمة فما يبقى ملك مقرب
ولا نبي مرسل الا خر على ركبتيه حتى ابرهيم خليل الرحمن على ركبتيه يقول يا رب لا اسال الا
نفسي **واستاذن** ابو دهمان على بعض الامرا فحجبه ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي

اليك

اليك قد كان في يدي غيرك فامسوا والله حديثا فان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فتحبب الى عباد الله بحسن
البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم
شهدا الله على خلقه **ولما دخل** محمد بن واسع سيد العباد في زمانه على بلال بن ابي بردة امير البصرة
وكان ثوبه الى نصف ساقه قال له بلال ما هذه الشهرة يا ابن واسع فقال له ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان
لباس من مضى وانما انتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعا وشهرة واما انا فلما دخلت على الافضل
بن امير الجيوش ملك مصر وهو الافضل بن امير الجيوش فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فرد علي
على نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمني اكراما جزيلا فامرني بدخول مجلسه وامرني بالجلوس فيه فقلت
ايها الملك ان الله تعالى قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طايفة
من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترض ان يكون احد اولى بالشكر
وان الله تعالى قد الزمنا لزوم طاعتك فلا يكون احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعل
والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك
بموت من كان قبلك وهو خارج عن يديك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله سا
يلك عن النقير والقطمير والفتيل قال الله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله قد اعطى ملك الدنيا بحذافيرها
سليمن بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والوحوش والطير والبهايم وسخر له الريح تجري بامره رخا
حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها
نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا
فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم اعانك الله
على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وامانا للخايف وزادني راويه بن ياسر عنه ثم اتم المجلس
بان قال لقد دخت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة تزوجت فيها وولد لي فيها غير هذه المملكة

وانشد في المعنى

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا حتى يروا عنده اثار احسان

وكتب حكيم الى حكيم اني سايلك عن ثلاثة اشيا ان اجبتني عنها صرت لك تلميذا اي الناس اولى بالرحمة
وبما تضيع امور الناس وبما يستلقى النعم من الله تعالى **فكتب اليه** انا اولى الناس بالرحمة ثلاثة البر
يكون في سلطان الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر
متعوب مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع امور الناس اذا كان الراي
عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتستلقى النعم من الله تعالى
بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تلميذا له الى ان مات **وقال يحيى بن سعيد**
لما حج سليمن بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما اشرف على عقبة عسفان نظر سليمن الى السرادقات
قد ضربت فقال له يا عمر كيف ترى ما ارى دنيا عريضة تاكل بعضها بعضا وانت المسؤول عنها
المأخوذ بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادق سليمن في منقاره كسرة فصاح فقال سليمن
ما يقول هذا الغراب قال عمر ما ادري ما يقول ولكن ان شيت اخبرتك بعلم قال اخبرني قال هذا غراب
طار من سرادقك في منقاره كسرة انت بها ماخوذ وعنها مسؤول من اين دخلت ومن اين خرجت قال

انك تبكي يا يحيى قال افلا اخبرك باعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف
اطاعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش فقال لقد عيت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار
ويروى ان بلال بن ابي بردة خرج في جنازة وهو امير على البصرة فنظر الى جماعة وقوفا فقال ما هذا
فقالوا مالك بن دينار يذكر الناس ويعظهم فقال لوصيف معه اذهب الى مالك بن دينار فقل له ان تعال الينا
الى القبر فجا الوصيف الى مالك فادى الرسالة فصاح به مالك لا ما لي اليه حاجة فاجيه فيها فان يكن
له حاجة فليجي الى حاجته نفسه فلما دفنوا ميتهم قام بلال يمشي معه الى الحلقة مالك فلما دنوا منها
نزل بلال ونزل من معه ثم جا يمشي الى الحلقة حتى جلس فلما راه مالك بن دينار سكت فاطال السكوت
فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا فقال نسيت شيئا فاذكر له هو قال حدثنا قال ما هذا فنعم قدم علينا
امير من قبلك على البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة ثم اتينا بن يحيى فدفناه الى جانبه فوالله ما ادري
ايهما كان اكرم على الله سبحانه فقال بلال يا ابا يحيى اتدري ما الذي جراك علي وما الذي سكنني عنك لانك
لم تاخذ من دراهمنا شيئا اما والله لو اخذت من دراهمنا شيئا ما اجترات علي هذه الجراة فافادني هذا
الحديث علما الا تقوا دراهمهم ودخل ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث
يحدثنا به اهل الشام قال وما هو يا امير المؤمنين قال يحدثونا ان الله تعالى اذا استرعى عبدا رعية كتب
له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا امير المؤمنين انبي خليفة اقرب الى الله ام خليفة ليس بنبي
قال بل نبي خليفة قال فانا احدثك يا امير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود عليه السلام
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا امير المؤمنين هذا وعيد الله لنبي خليفة
فما ظنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغرونا عن ديننا ولما بعث ابو جعفر الى مالك بن
انس وابن طاوس فدخلا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه جلاوزة قد بسطت وكل
بين يديه جلاوزة بايديهم السيوف يضربون بها الاعناق فاومى اليهما ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا
ثم رفع راسه والتفت الى ابن طاوس فقال حدثني عن ابيك قال نعم سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة رجل اشركه الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه
فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافة ان يملاني دمه فامسك ابو جعفر ساعة ثم اسود
ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة فامسك عنه
ثم قال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني
قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي منك اليوم قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم
وقال احمد بن ابي الحواري سمعت رجلا يحدث عن ابن السماك قال بعث الي هرون فلما انتهينا الى باب
القصر اخذ حرسيان بضبعي فادخلاني في دهليز القصر فلما انتهيت الى الباب القاعة لقيني خصيان
فتسلماني من الحرسيين فادخلاني في قاعة القصر فانتهيت الى البهو الذي هو فيه فتلقاني خصيان
دونهما فادخلاني في البهو فقال لهما هرون ارفقوا بالشيخ فلما وقفت بين يديه قلت له يا امير المؤمنين
ما ترى يوم مثل ودتني امي اتعب من يومي هذا فاتق الله في خلقه واحفظ محمدا في امته وانصح لنفسك
في رعيتك فان لك مقاما بين يدي الله تعالى انت فيه اذل من مقامي هذا بين يديك فاتق الله واعلم
ان من اخذ الله وسطواته على اهل المعصية لبيت وكيت قال فاضطرب على فراشه حتى نزل الى مصلي

بين

بين يدي فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا ذل الصفة فكيف لو رايت ذل المعاينة قال فكادت نفسه
تخرج فقال يحيى للخصيين اخرجوه فقد ابكا امير المؤمنين ثم دخل مرة اخرى فقال له عظني واوجز
قال يا امير المؤمنين ان الذي اكرمك بما اكرمك به يحق عليك ان تحب ما احب وتبغض ما ابغض فقد
لقد احب الله دارا وابغضتها وابغض دارا واحببتها كانما اردت خلاف ربك او اردت سواه ك
واعلم يا امير المؤمنين ان الذي في يديك لو بقي على من كان قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك
كما لم يبق لغيرك فاتق الله في خلافته واحفظ وصية محمد في امته ودخل هرون على بعض النساك
فسلم عليه فقال وعليك السلام ايها الملك ثم قال له ايها الملك تحب الله قال نعم قال فتعصيه قال
نعم قال كذبت والله في حبك اياه انك لو احببته لاطعته ثم انشا يقول

تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرك في المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة * منه وانت لشكر ذاك مضيع

وروي زيد بن اسلم عن ابيه قال قلت لجعفر بن سليمان بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب [illegible]
احذر ان ياتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا اب ولا احد فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه
وسلم منك كما كانت امراة فرعون اولى بنوح ولوط من زوجتيهما وكما كانت زوجة لوط ونوح اولى
بفرعون من زوجته من بطا به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبط به نسبه
وقال بشر بن السري بينما الحجاج جالس في الحجر اذ دخل عليه رجل من اهل اليمن فجعل يطوف
فوكل به بعض من معه وقال اذا خرج من طوافه فاتني به فلما فرغ اتاه به فقال له ممن انت قال من اهل
اليمن قال فكيف علم محمد بن يوسف قال فاخبرني عنه قال العهد تركته ابيض بضا سمينا طويلا عريضا
قال ويلك ليس عن هذا اسالك قال فعم تسالني قال عن سيرته وطعمته قال جائر السيرة واخبث
الطعمة واعدا العدا على الله واحكامه قال فغضب الحجاج وقال ويلك اما علمت انه اخي قال بلى
قال فانت اما علمت ان الله ربي والله لهو امنع لي منك اكثر من لاخيك قال خلوا رسله يا غلام
وقال الاصمعي حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت محمد بن ابرهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينة
وهو ينظر فيما بين رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا بقريش فقالوا الى جعفر اجعل بيننا
وبينهم بن ابي ذيب قال ابو جعفر لابن ابي ذيب ما تقول في بني فلان قال اشرار من اهل بيت اشرار قال
سله يا امير المؤمنين عن الحسن بن زيد وكان عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال ياخذ بالاحن
ويقضي بالهوى فقال الحسن والله لو سالته عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر قال ما تقول
في قال اعفني قال لا بد ان تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية قال فتغير وجه ابي
جعفر فقام ابرهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل فقال طهرني بدمه يا امير المؤمنين قال له ابن ابي ذيب
اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد ان لا اله الا الله طهور ثم تداركه ابن ابي ذيب الكلام فقال
دعنا يا امير المؤمنين مما نحن فيه بلغني انك رزقت ابنا صالحا بالعراق يعني المهدي قال اما ان
قلت ذلك انه لصوام اليوم البعيد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن ابي ذيب فخرج فقال ابو جعفر
اما والله ما هو بمستوثق لعقل ولقد قال بذات نفسه ودخل ابو النضر سالم مولى عبد الله
على عامل الخليفة فقال يا ابا النضر انه لتاتينا كتب من عند الخليفة فيها كيت وكيت وما نجد

بيتا من انفاذها فما ترى قال ابو النضر قد اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فانهما ابتعث كنت من اهله

الباب الثالث
فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديه فيود ان يكون الحق للذي له منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمن بن داود ملكه قال ابن عباس رضي الله عنه كان الذي اصاب سليمان بن داود ان ناسا من اهل امرأته جراده وكانت من اكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب ان يكون الحق لاهل جراده فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ومن ذلك ايضا الملوك التي انزلها الله تعالى في السلاطين لما اقتضت من السياسة العامة التي تجري بها الملك وثبوت الدول قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ثم سمى المنصورين واوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم كما ترى فما تضعضعت قواعدهم او انتقض عليهم من اطراف ممالكهم او ظهر عليهم عدو او باغي فتنة او حاسد نعمة او اضطربت عليهم الامور وراوا اسباب الغير فليلجوا الى الله تعالى وليستقيموا من سوء اقداره باصلاح ما بينهم وبينه سبحانه باقامة الميزان القسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت بها السموات والارض واظهار شرائع الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الحاجة والمستضعفين وليعلموا انهم قد اخلوا بشرط من الشروط الاربع التي شرطت في النصر وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمراة راعية على اهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ناظر في حق غيره راعيا له واللفظ ماخوذ من الرعاية والمراعاة فاذا لم يتقدم لرعاية غيره من يكلاه فهو الهلاك قال الشاعر

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ۞ فكيف اذا الذئاب لها رعاء

وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ يلي امر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يدخل الجنة وروى عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وقال ابو ذر قلت امرني يا رسول الله قال انها امانة وانها خزي وندامة يوم القيامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها وروى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس اشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع

فيه وفي الحديث من ولي من امر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط اهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروي ان عمر بن الخطاب بعث الى عاصم ان يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي فيقذف على جسر جهنم فيامر الله سبحانه الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يامر الله تعالى العظام فترجع الى مكانها ثم يسائله فان كان مطيعا لله تعالى اخذ بيده واعطاه كفلين من رحمته وان كان عاصيا انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم اسمع قال نعم وكان سلمان وابو ذر حاضرين فقال سلمان اي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفا في واد يلتهب التهابا فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من ياخذها بما فيها فقال سلمان من سلب الله انفه والصق خده بالارض وروي ان العباس قال امرني يا رسول الله فاصيب واستبشر فقال له يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها الا احد عن الامارة اولها ملامة واوسطها ندامة واخرها حسرة يوم القيامة وروي ابو داود في السنن ان رجلا قال يا رسول الله ان ابي عريفا على الماء وانه يسألك ان تجعل لي العرافة من بعده فقال صلى الله عليه وسلم العرافة في النار وروى الساجي عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فتقروها على رؤوس الخلائق فان كان عادلا انجاه الله تعالى بعدله وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار كل عضو من اعضائه مسيرة ستين سنة ثم ينخرق به الصراط فما يلقى قعر جهنم الا بحر وجنتيه وروي معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القاضي ليزل في مزلقة ابعد من عدن في جهنم وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين في تمرة وروي الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن اقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا امروا على شيء وكم من متخوض في مال الله ومال رسوله له النار غدا وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من امتي لا تنالهم شفاعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق منه وقال ابو هريرة ما من امير يؤمر على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا لا ينجيه عمله او يهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمن قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي وما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وقال حذيفة بن اليمان من اقتراب الساعة ان يكون امراء جورة وقراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم فجار فهو في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم والمصنفون يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه ابو داود في كتبه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تقدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين وقال ابن سيرين جاء صبيان الى عبيدة السلماني يتخايرون اليه في الواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا اتولى حكما ابدا

وتخاير غلمان الى عمر فجعل ينظر الى كتابتهم وقال هذا حكم ولا بد من النظر فيه **وفي اخبار القضاة**
ان قاضيا قدم الى بلد فجاء رجل له عقل ودين فقال ايها القاضي بلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم من
قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان امور المسلمين ضايعة في بلدنا فجئت تجبرها قال لا
قال فاكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد اني لا اطا لك مجلسا ولا اودي عندك شهادة ابدا
وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله في ماله ورغبه
فيما في يد غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جزل الظاهر حزين الباطن
فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومحي ظله حاسبه فاشتد حسابه واقل غفره **وذكر** السلطان لاعرابي
فقال والله لين عزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الاخرة بالعدل وبقليل فانهم رضوا من كثير باوو وانما
يكون الندم حيث لا ينفع الندم **وقال** ابو بكر بن ابي مريم حج قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا
ماء فنام رجل فقالوا ادلنا على الماء قال الا حلفوني ثلاثة وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا
ولا بريدا وانا ادلكم على الماء فحلفوه ثلاثة وثلاثين يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا اعاونا على غسله قال
احلفوني ثلاثة وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فاعانهم على غسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لا حتى تحلفوني
اربعة وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوه فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا احدا وكانوا يرون انه الخضر عليه
السلام **قال** بن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة رجل قتل نبيا
او قتله نبي وامام ضلالة وممثل من الممثلين **وقال** ابو ذر قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ستة ايام
اعقل يا ابا ذر ما اقول لك ثم لما كان في اليوم السابع قال لي اوصيك بتقوى الله في امر سرك وعلانيتك
واذا اسات فاحسن ولا تسال احدا وان سقط سوطك ولا تؤتمن امانة ولا تولين يتيما ولا تقضين بين
اثنين **وقال** ابو ذر ايضا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر احب لك ما احب لنفسي
واني اراك ضعيفا فلا تامرن على اثنين ولا تلين مال يتيم **وروى** ابو ذر ايضا قلت يا رسول الله الا تستعملني
فضرب بيده على منكبي وقال يا ابا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيمة خزي وندامة الا من
اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها **وروي** علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم
الى اليمن وانا حديث السن فقلت يا رسول الله انك تبعثني الى قوم شيوخ ذوا اسنان ولا علم لي بالقضا
فقال ان الله سبحانه هاد قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الاخر فانك
اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضي **فان قال قايل** كيف نهى ابا ذر عن القضا وامر عليا بالقضا مع ما فيه
من التغرير **وما روي** ان من قدم للقضا فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد من حضرته والتيمن بمشاهدته
وتعلم سنته وشرايع دينه والتخلق باخلاقه وشيمه وايهما افضل المثول بين يديه والكون بحضرته
ومشاهدته والصلاة خلفه او القضا في غيبته مع البعد عنه قلنا انما نهى ابا ذر عن القضا لمعنى فيه
ينصرف به عن رتبة القضا مما كان يمنعه في علمه من استجماع شرايط القضا وقوته عليه الا تراه قال
لابي ذر اني اراك ضعيفا ثم قال في اخره الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها فاستدللنا بذلك على ان
من استجمعت فيه شرايط القضا وكان قويا على انفاذه لم يدخل تحت النهي **ومما بعد** ضعفا عن القضا
طلبه اياه اذا لم يدر عواقبه وقد وصف الله سبحانه المتسرع الى الامانة بالجهل فقال تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا اي ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة امره والدليل على صحة هذا التاويل قوله

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة
ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار
قلت فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضا احدهما بفسقه وظلمه والاخر بجهله وقد عابت جهلة
بني اسرايل طالوت فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال فعابوه
بخصلتين الفقر وانه ليس من بسطا المملكة فقال لهم النبي صلوات الله وسلامه عليه ان الله اصطفاه عليكم
وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولايات والممالك وانها تفتقر الى العلم الذي به يحكم
والى القوة التي لا تستغنى الاحكام دون ما ظنه بنوا اسرايل واما قولك ايهما افضل القضا في غيبته
او الحضور بين يديه والكون في حضرته فالجواب ان اوامره فرض تمضي بين يديه والكون بحضرته مستحب
بعد الهجرة لا يعصي بتركه فعلمنا بهذا انه انما بعث عليا للقضا لانه افضل من سكناه بحضرته لانه
مبلغ عنه الى الخلايق شريعته التي بعثه الله تعالى بها فهو خليفته في ذلك يدل عليه انه اوجب الجنة
لمن قضى بالحق

الباب الرابع

في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهما السلام

و وجه طلبه الملك وسواله ان لا يوتاه احد من بعده ونفي البخل عنه

فان قال لنا قايل ان سليمان بن داود عليهما السلام قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ثم زاد على ذلك
بان لا يوتى مثله احد من بعده وظاهره يوذن بالبخل **والكلام** على هذه الاية من وجوه احدها انه انما
سال هذا بعد ان سلبه الله تعالى ملكه ثم اعاده اليه فخير طلب الملك كان ملكا فكانه قال هذا الملك
الذي جددته لي هبه لي على صفات لا اعصيك فيه فتسلبني وتعاقبني يدل عليه انه بدا بالمغفرة فقال
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي ملكا لا اعصيك فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا
قوله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب فكانه اجاب دعاه فقال انصرف كيف شيت لا حساب
عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعة عليك وهذا تخصيص لسليمن بن داود عليهما السلام
لم يخص بها احد من ولد ادم صلى الله عليه وسلم سواه لان الله تعالى قال للخلايق فوربك لنسالنهم اجمعين عما
كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد من بعدي فقال بعض معناه لا اسلبه حيا بان ياتي غيري فيصير لغيري كما سلبته
فيمضي من عمري وقيل لا تسلط علي فيه شيطانا مثل الذي سلطت علي وقيل انما سال ذلك ليكون علما على المغفرة
وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل ليكون ذلك اية لنبوته وعلما على معجزته وقال
مقاتل كان سليمان بن داود ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير يدل عليه
ما بعده وهو قوله فسخرنا له الريح الى اخر الاية وقيل ان سليمان كان ملكه في خاتمه ولهذا ذهب ملكه
بذهاب خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدي يعني اجعل ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملكه احد غيري
فان ابليس لما اخذ الخاتم تحول ملك سليمن الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى انكرت بنوا اسرايل
احكامه وكان هذا لعن عليه شبهه **وقال عمرو** بن عثمان المكي انما اراد به ملك النفس وقهر
الهوى يدل عليه ما روى سليمان الشعباني [illegible] قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اتم سليمن وما
اتاه الله من ملكه ومع ذلك لم يرفع طرفه الى السما تخشعا لله تعالى حتى قبضه الله تعالى وزاد غيره
انما اراد ملك النفس وقهرها لئلا يغتر بالمملكة ولهذا قدم سوال المغفرة على طلب المملكة

وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى انتقم لادم اي من ابليس وذريته حيث كان سببا في اخراجه وذريته من الجنة وروي البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن جعل يتفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي وان الله تعالى امكنني منه فذعته ولقد هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون اليه كلكم فذكرت قول سليمان عليه السلام هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسيا فان قيل ما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم قلت يستفاد من الاية ان من حصل بين يدي من لا يعرف قدره او امة لا يعرفون فضله وخاف على نفسه او اراد ابراز فضله جاز له ان ينبههم على مكانه وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه واظهارا الفضل فيجعل في مكانه وفيه فايدة اخرى وهو انه اذا راى الامور في يد الخونة واللصوص ومن لا يودي الامانة ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية جاز ان ينبه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلماء من اصحاب الشافعي من كملت فيه الات الاجتهاد وشروط القضا جاز له ان ينبه السلطان على مكانه ويخطب خطبة القضا وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه اذا كان الامر في يدي من لا يقوم

الباب الخامس

في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله اقام السلطان في الارض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوي الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض ولا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان قيام الدين فيلون فضله على الظالم كف يده وفضله على المظلوم امانه وكف يد الظالم عنه وروي ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا ترد دعوتهم الامام العادل والصايم حتى يفطر ودعوة المظلوم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وروي كثير بن مرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في ارضه ياوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر وروي ابو هريرة يرفعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العمل للامام العادل يوما في رعيته افضل من عبادة العابد في اهله مايه سنة او خمسين سنة وقال قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة وقال مسروق لان اقضي يوما بالحق احب الي من ان اغزو غزوة سنة في سبيل الله وروي ان سعد بن ابي ابرهيم وابا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قال لسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضا يوم بالحق افضل عند الله من صلاة عمرك وسيتضح لك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ما قالته الرعية من المصالح بالسلطان واعلم ارشدك الله ان الانسان لا عز جواهر الدنيا واعلاها قدرا واشرفها منزلة

والسلطان

والسلطان لصلاح الانسان اذا فهو من اعز اعلاق الدنيا واعمها بركة لان الله خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الاخرة ثم كان السلطان العادل صلاح الدارين فالخلق يتخص بعموم نفعه العباد والبلاد وتصلح بصلاحه الدنيا والاخرة ان يكون شرفه عند الله عظيما كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما لما ان نفعه للبلاد عميما وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة الا ترى ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اعم خلق الله نفعا ثم اجل خلق الله قدرا لانهم تعاطوا اصلاح الخلايق واخراجهم من الظلمات الى النور وكذلك السلطان ان في الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلق ودعايهم الى قناء الحق واقامة دينهم وتقويم اودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب فاتخذ قدر السلطان عندك حجة الله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا على عاجل من حطام الدنيا يجول بها ويسلب ولكن صيانة لجملتك وحفظ حريمك وحراسة مالك من البغاة اعم نفعا لك ان عقلت وليس لله في الارض سلطان الا وقد اخذ عليه بشرايط العدل ومواثيق الا وشرايع الاحسان كما انه ليس فوق رتبة العادل رتبة فليس تحت رتبة السلطان الشرير الجاير رتبة لان شره يعم كما ان خير العادل يعم وكما ان السلطان العادل تصلح العباد والبلاد وينال الزلفى الى الله تعالى والفوز بجنته كذلك بالجاير تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والاثام وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته واقاموا الوزن بالحق وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارسلت السما غياثها واخرجت الارض بركاتها ونمت تجاراتهم وزكت زروعهم وتناسلت انعامهم فدرت ارزاقهم ورخصت اسعارهم وامتلات اوعيتهم فواسى البخيل وافضل الكريم وقضيت الحقوق واعيرت المواعين وتهادوا فضول الاطعمة والتحف فهان الحطام بكثرته وذل بعد عزته فتماسك على الناس مرواتهم وانحفظت عليهم اديانهم ولهذا يتبين لك ان الوالي الجاير على ما يتعاطاه من اقامة العدل ووجود ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرقت اديانهم واضمحلت مرواتهم وفشت فيهم المعاصي وذهبت اماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا البهرج فرفعت منهم البركة وامسكت السما غياثها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها فقل في ايديهم الحطام فقنطوا وامسكوا الفضل الموجود وتناجزوا على المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواسا المسنونة وقبضوا ايديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجاحدوا القدر الخسيس ففشت فيهم الايمان الكاذبة والحيل في البيع والخداع في المعاملة والمكر والحيلة في القضا والاقتضا ولا يمنعه من السرقة الا العار ومن الزنا الا الحيا فيظل احدهم عاريا من لباس دينه متجردا عن جلباب مروته واكبر همه قوت دنياه واعظم سروره اكله من هذا الحطام وان عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظهرها قال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شي واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولا يعذب الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد بالوالي وتصلح بصلاحه قال سفيان الثوري لابي جعفر المنصور اني لاعلم رجلا ان صلح صلحت الرعية قال ومن هو قال انت وقال ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فتعجب الملك وحدث نفسه باخذها فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلابها نقص ارعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ان ملكنا هم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم

ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا ياخذها فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لا عدل ما بقيت **ومن المشهور** في ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة فيها القصب الحلو وان قصبة منه تعصر قدحا فعزم على اخذها منها ثم اتاها وسالها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها ابن الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد عزم على اخذها مني فارتفعت بركتها فتاب السلطان واخلص لله نيته ان لا ياخذها ابدا ثم امرها فاعتصرت قصبة فجا ملو القدح **وحدثني** بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب تمر لم يكن في الزمان نخلة تحمل عشرة اراديب غيرها فغصبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيئا ولا تمرة واحدة **قال شيخنا** رحمه الله قال لي شيخ من اشياخ الصعيد اعرف هذه النخلة في الغربية تجي عشرة ارادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها في سنين الغلا كل ويبة بدينار **قال الشيخ** رضي الله عنه وشهدت انا بالاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والسمك فيه يعلي به الما كثرة وتصيده الاطفال بالخرق ثم حجره الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحد بعد الواحد الى يومنا هذا وهكذا تسري سرائر الملوك عزائمهم وتكون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر **وروي** اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا اصبحوا في زمن الحجاج فتلاقوا يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع في امثال ذلك **وكان الوليد** صاحب ضياع واتخاذ مصانع وكان الناس يتساءلون في زمنه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار **ولما ولي** سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نكاح وطعام وكان الناس يتحدثون في الاطعمة الرفيعة ويتوسعون في الانكحة والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك **ولما ولي** عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم يحفظ من القران وكم ورد لك في كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم يصوم من الشهر في امثال ذلك

الباب السادس

في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح

اعلموا ارشدكم الله ان السلطان خطره عظيم وبليته عامة وقد تطرقه من الافات وتحتويه من الاخود المهلكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعيذ بالله تعالى من محله ويشفق على ما عصمه لا يهدي فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفوا قلبه ولا يستقر لبه الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم فالرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف العدد والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وانما له صنعته وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع اهل مملكته وكلما رتق فتقا من جوانب مملكته انفتق اخر وكلما رم منها شعثا رث آخر وكلما قمع عدوا ثار عدا اليه سابر ما يعانيه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوماتهم ونصب الولاة والقضاة وبعث الجيوش وسد الثغور واستجبا الاموال ورفع المظالم ثم من العجب العجاب ان له نفسا واحدة وانما يرزا من الدنيا قوتها مثل ما يرزا احاد الرعايا ثم يسال غدا عن جميعهم ولا يسالون عنه فيالله ويا للعجب من رجل رضي ان ينال عنيفا ويحاسب منها على الالف لاف وياكل في معا واحد ويحاسب على الالف الاف معا ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على الالف من الانفس وعلى هذا النمط في جميع احواله ويحمل اثقالهم ويريح اسرارهم ويجاهد عدوهم ويسد ثغورهم ويدافع مناويهم ومناصبهم ويعصي ربه فيهم ويخالط من وركب نهيه من اجلهم ويتحمل جرائمهم على بصيرة فيهم من خيرهم له قالين وعنه غير راضين ولولا ان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه لم يرض عاقل لهذه المنزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكلما ذكرته في هذا الباب احكمه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمة فقال انما لكم ولا اي لكم صفوة امرهم وعليهم كدره ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الاكلة له العنا ولهم الهنا وله

الحار ولهم القار طلبا لقومه الراحة فحصلوا على التعب طلبا لقومه الراحة والنعيم فاخطيوا الصراط المستقيم وعن هذا قال وليسيد القوم اشقاهم **وفي الحديث** سا في القوم اخرهم شربا **وكان** لبعض سلاطين المغرب تيسير وبين يديه الوزعة اذ نظر الى جماعة من التجار فقال لوزيره اتحب ان اريك ثلاث طوايف طايفة لهم الدنيا والاخرة وطايفة لا دنيا ولا اخرة وطايفة دنيا بلا اخرة قال وكيف ذلك ايها الملك فقال اما الذين لهم الدنيا والاخرة فهؤلاء التجار يحسبون اقواتهم ويصلون صلاتهم ولا يبدون لحدا واما الذين لا دنيا ولا اخرة فهؤلاء الشرط واما الذين لهم الدنيا واما الذين لهم الدنيا بلا اخرة فانا وانت وسايرا لسلاطين نحوي على جميع الورى اليدوا والسلطان بالمناصحات ويختوه بالدعوات ويعينوه في سائر المحاورات ويكونوا له اعينا ناظرة وايديا باطشة وجنتا واقية والسنة ناطقة وفوادا نابضة وقوام ثقله وصيانة منه السلامة وانه له بالسلامة **وعن هذا** قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعلموا ان السلطان والجنة لا يجتمعان **وحدثني** رجل له قدر قال ارسل الى السلطان ان طلق زوجتك وكان قد ارادها بعض اصحابه فابيت في ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لي ناصح منهم خذ الامر مثلا ان السلطان لا يخاف في الدنيا عارا ولا في الاخرة نارا ففارقتها **وروي** عن بعض الخلفاء واظنه عبد الملك انه لما ولي الخلافة اخذ المصحف ووضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك **ولما حج** هرون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون فقال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيهم الا الله تعالى فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسال عن خاصة نفسه وانت وحدك تسال عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هرون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال والله ان الرجل ليسرع في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن اسرع في مال المسلمين **ويقال** ان هرون الرشيد كان يقول والله اني لاحب ان احج في كل سنة ما يمنعني الا رجل من ولد عمر يسمعني ما اكره **وقال** مالك بن دينار قرات في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع ولم تاوي الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

الباب السابع

في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض

اعلموا ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لان الله سبحانه جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت في البحر يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر ولم يستقم لهم معاش ولم يتهنوا بالحياة ولهذا قال بعض القدما لو رفع السلطان من الارض ما كان لله في اهل الارض من حاجة **ومن الحكم** التي في اقامة السلطان انه من حجج الله على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده لانه كما لا يمكن استقامة امر العالم واعتداله بغير مدبر يتفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقايق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الاهان للعالم والعالم باسره في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان الارض ولهذا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه امران جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ولا يصلح الاخر الا بالمشاركة وهما الملك والراي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الراي بالانفراد به ومثال السلطان القاهر لرعيته ورعية بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله قيام من الخلق يعالجون صنايعهم فبينما هم كذلك طفي السراج فقبضوا ايديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وخشخش

الهوام الخبيثة فدبت العقرب من مكمنها وفسقت الفارة في جحرها وخرجت الحية من معدنها وجا اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان قاهرا لرعيته وكانت المنفعة به عامة وكذلك الدما في اهبها محقونة والحرم في خدورهن مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الاضعف ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من اهل الفسوق والدعارة خامل واذا اختل امر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم السلطان جورا في كفة ثم جعل فساد الرعية وتظالمهم وهرجهم في ساعة اذا اختل امر السلطان في كفة كان هرج ساعة اعظم وارجح من ظلم السلطان جورا وكيف لا وفي زوال السلطان او ضعف شوكته سوق اهل الشر ومكسبا للاجناد ونفاق اهل الدعارة والسوقة والمناصبة واللصوص قال الفضيل جور ستين سنة خير من هرج سنة ولا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل رعية ان يرغب الى الله تعالى في صلاح السلطان وان يبذل له نصحه ومحبته ويصلح دعا بهم فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساده فساد العباد والبلاد وكان العلما يقولون ان استقامت لكم امور المسلمين فاكثروا حمد الله تعالى وشكره وان جاكم منه ما تكرهونه وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه باثامكم واقيموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط امور المملكة واستيلاف الاعدا وارضا الاوليا وقلة الناصح وكثرة المدلس والطامع وفي كتاب التاج هموم الناس صغار وهمم الملوك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شي والباب السوقة مشغولة بايسر شي فالجاهل منهم يعذر نفسه عندما هو عليه من الرسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت الحكما العجم لا توطن الا بلدا فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قايمة وطبيب عالم ونهر جار

الباب الثامن
في منافع السلطان ومضاره

وقالت حكما العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي هو سقيا الله تعالى وبركات السما وحياة الارض ومن عليها وقد يتاذى به المسافر ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدر سيوله فتهلك الناس والدواب والبحار ويموج له البحر فتشتد بليته على اهله ولا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى اثار رحمة الله في الارض التي احيا والنبات الذي اخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر ان يعظموا نعمه ويشكروها ويلغوا ذكر خواص الاذية التي دخلت على خواص الخلق ومثاله ايضا مثال الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمار وروحا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر افلاكهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم ويخلص الى انفسهم فيشكرها الشاكرون وقد يتاذى بها كثير من الناس ولا يزيلها ذلك عن منافعها من قوام عباده وتمام نعمته ومثاله ايضا مثال الشتا والصيف الذي جعل الله تعالى حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل ونتاجا للحب والثمر يجمعها البرد باذن الله وينضجها الحر باذن الله تعالى فيصبح على اعتدال الى غير ذلك وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسمومهما وزمهريرهما ومع ذلك لا ينسبان الا الى الصلاح والخير وتعم صلاحها اذيتهما ومثاله ايضا مثال الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له اخو السفر ويسارع فيه اهل الدعارة والفساد واللصوص وتعدو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم ولا تنذر اصغير ضرره بكبير

نفعه

نفعه ومثاله ايضا مثال النهار الذي جعله الله تعالى ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد يكون فيه الحروب والغارات والتعب والنصب والشخوص والخصومات فيستريح الخلق الى الليل ثم لم يرفض العباد نعم الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من امور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شي يكون نفعه خاصا فهو بلا عام ولو كانت نعم الدنيا صفوا من غير كدر وميسورها من غير معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها ولا نصب وقال الشاعر

لا ترتج شيا خالصا نفعه ... فالغيث لا يخلو من العيث

الباب التاسع
في معرفة منزلة السلطان من الرعية

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وجرت في جميع اجزا الجسد فامن الجسد من الغير فاستقامت الجوارح والحواس فانتظم امر الجسد وان تكدرت الروح او فسد مزاجها فاض في الجسد فيسري الى الحواس والجوارح كدره فيخرجه عن الاعتدال فاخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فلزمت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجرى الى الفساد ومثال السلطان ايضا مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان منه معتدلا لم يحتج الى النار وما كان منه متاودا احتاج الى النار ليقام اوده ويعدل عوجه فان فرط النار احترق الخشب قبل ان يستقيم اوده وان قصر النار لم تلين الخشب لقبول الاعتدال واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في اطواره وان افرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا ومثاله ايضا مثال عين جارية في الارض الخوارة ان حلا مشربه وعذب طعمه وسلم من الكدر والفساد وصانه تخلخل في الارض فابتلعته ما فيها فاثمر شربه عروق الاشجار فاغتذته كذلك فغلظ سوقها وفرعت اغصانها وامتدت افنانها ثم اخرجت وراقها وابرزت ازهارها ثم تدفقت ثمارها الجات على اتم طبيعتها كبرا وطعما ولونا ورايحة فتفوت بها العباد واكلت حظوظها البهايم والحشرات وسقط عليها الطير فاحرز منها كل قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يرتق عن الانبات والنفع ونحوى عن الزكا والريع او كان فيه من الشجر ما يبرز حمله ويقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه والطلع ما في قواه ولم يغادر ممكنا الا وفاه وان كان في العين كدر او فساد او ملح شربته الاشجار كذلك ففسد مزاجها واضر الجزو الغالب بالطيب فذوت سوقها وخفت اغصانها وتغيرت اوراقها وقلت ازهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجات الثمر وهي نزرة قدرها ردي طعمها كاسف لونها فدخل بذلك النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل في المنافع عليهم في الاولى ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لتموت في جحرها هزلا بذنب ابن ادم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السما غيثها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والحشرات والبهايم

الباب العاشر
في بيان معرفة خصال ورد بها الشرع في نظام الملك

وهي ثلاثة اللين وترك الفظاظة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغبا فيها ولا طالبا لها ولما علم الله تعالى ما فيها من انتظام الملة واستقامة الامر نص عليها الله سبحانه وتعالى

واعلم ان هذه الخصال من اساس المملكة وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلتا من السما وواحدة قالها الرسول
صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وفي الاية اشارتان احداهما ان الفظاظة تنفر الاصحاب والجلسا
وتفرق الجموع والحشم وانما الملك ملك بجلسايه واصحابه وحشمه واتباعه والخلق بجملة تنفر الا ولها ان تطمع
فتمن بكل سلطان رفقه والاحتراز من سوء معشره ولكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه فجا رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المتكي
فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجبتك دل هذا الاثر على انه لم يكن استاثر بمرتبة
المجلس ولا بان بهم بزيه لا متعه وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى ان الرياح لقوة اصواتها فتقتلع
بها الاشجار وتسعطف الاغصان والاغصان من رقتها وفي الفرط تنكسر الاغصان وانما بتلينه في اصولها تخرج بقلعها
من اصلها وان كانت الحية مع صعوبتها وسمها وتغيبها في حجرها ترقى بالكلام حتى تستعطف فتخرج فالانسان احرى
ان يستمال بلين القول وحسن المنطق فاذا اردت من يبيلك فكانه بكل كلمة سو قالها كلمة جميلة وحسن ثناء
عليه والاشارة الثانية انه قال تعالى وشاورهم في الامر فاذا قيل لنا كيف يشاورهم وهو نبيهم واما مهم
وواجب عليهم مشاورته وان لا ينفصلوا امرا دونه قلنا هذا ادب ادب الله سبحانه نبيه عليه السلام به
وجعله مادية لسائر الملوك والامرا والسلاطين لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع الجليس
ومساهمته في الامور فان نفوس الجلسا والنصحا والوزرا تنفتح عليه وتميل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعة
لنبيه عليه السلام ولذوي الامر من اهل ملته صلى الله عليه وسلم الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في
غزوة فامرهم بالنزول فقال له سعد يا رسول الله ان كان هذا بامرك فسمع وطاعة وان يكن غير ذلك فليس
فسمع منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ارتحلوا ومن اقبح ما يوصف به الرجال ملوكا كانوا او سوقة الاستبداد
بالراي وترك المشاورة وسنعقد للمشاورة بابا ان شا الله تعالى والخصلة الثانية ما روى البخاري
ومسلم ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لا نستعمل على عملنا من اراده
والسر فيه ان الولايات امانات وتصرف في رواح الخلايق واموالهم فالتسرع الى الامانة دليل على الخيانة
وانما يخطبها من يسر بها كلها واذا وثمن خاين على موضع الامانات كان كمن استرعى الذيب على الغنم ومن هذه الخصلة
تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اهتضمت حقوقهم واكلت اموالهم فسدت نياتهم واطلقوا السنتهم
بالدعا والتشكي وذكروهم سائر الملوك بالعدل والاحسان وكانوا كالبيت السائر الذي انشدناه اولا

وراعي الشاة يحمي الذيب عنها • فكيف اذا الذياب لها رعاة

واذا خان اهل الامانات وفسد اهل الولايات كان الامر كما قال الاول

بالملح يصلح ما يخشى تغيره • فكيف بالملح اذ حلت به الغير

وقيل ايضا

ذيب تراه مصليا • واذا خلوت به ركع
يدعو وجل دعايه • ما للفريسة ما تقع
عجل بها يا ذا العلى • ان الفواد قد انقطع

ومن اشراط الساعة التصدي للامانة وخطبة الولاية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فحينيذ يدعو عليه الضعيف واهل الصلاح

ويبعد

ويبعد له بالمرصاد الشرير ويجاهر عليه القوي ويقبح ثناوه عند الجماعة ويتمنوا الراحة منه وينتظرون من
يصلح لها بوا ه

الباب الحادي عشر

في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولاساس دولته

فاول الخصال واخصها بالرعاية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدول واس كل مملكة سوا كانت
نبوية او اصطلاحية اعلم ارشدك الله ان الله تعالى امر بالعدل ثم علم سبحانه انه ليس كل النفوس تصلح
على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى فلو
وسع الخلق العدل لما قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل كيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل
والعدل ميزان الله في الارض الذي يوخذ به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان من الرعية فقط
بل بين السلطان والرعية ايضا فمن ازال الميزان الله الذي وضعه بين القيام بالقسط فقد تعرض لسخط الله واعلم
ايها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فراسه انت وقلبه وزيرك ويداه اعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك
وما بقا جسد بلا روح واذا اردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة انفس كبير وصغير ووسط فاجعل
كبيرهم ابا واوسطهم اخا وصغيرهم ولدا فبر اباك واكرم اخاك وارحم ولدك فانك واصل بذلك الى بر الله
ورضوانه ورحمته واعلم ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة
رعيته وفي منثور الحكم سلطان جاير اربعين عاما خير من رعية مهملة ساعة واحدة من النهار واعدل
الملك فيما قرب منه صلح له ما بعد عنه تفاضل الملوك في الاعطا وشرفها في العفو وعزها في العدل
السلطان ثلاثة اشيا مشاورة النصحا وثبات نيات الاعوان واقامة سوق العدل افضل الازمنة ازمنة
ايمة العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم الاحجات به الرسل والانبيا عليهم السلام عن الله تعالى والثانية ما
يشبه العدل وهو السياسة الاصطلاحية التي يحرم عليها الكبير وينشا عليها الصغير وبعيد ان يبقى ملك
ويستقيم رعيته في حال ايمان وكفر بلا عدل قايم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك مما لا يجوز ولا يمكن وقد
ذكرنا في اول الكتاب ان سليمن بن داود عليه السلام سلب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خصومة
سليمن فقال في نفسه وددت ان يكون الحق لصاحبي فاقضي له فسلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على
كرسيه فاجعل العدل راس مالك وسياستك يسقط عنك جميع الافات المفسدة للسياسة ويقوم لك
جميع الشرايط التي لا تقوم المملكة قال علي بن ابي طالب رضوان الله عليه وسلامه امام عادل خير من مطر
وابل واشد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم وقال بن مسعود رضي الله عنه
اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر وان كان جايرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمن
بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحوزان الملك واتفق حكما العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا
الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل فصار العدل اساسا لساير الاساسات
والجند اساسه واذا قوي الاساس دام البنا وان ضعف الاساس خرب البنا فلا سلطان الا بجند
ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل فصار العدل اساسا لساير الا
فاما العدل النبوي فجملة القول فيه ان يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاته وبقاوه
وهم الادلا على الله والقايمون باوامر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد الله وروي ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم فاتخذ ايها الملك العلما شعارا والصالحين دثارا فتدور

امرم

لمملكة من نصائح العلما ودعوات الصلحا واخلوتهم لحكمة تدور بين هاذين الخصلتين ان يقوم عماده وتبطول
وكيف لا وقد قرنهم الله في سلطانه واصطفاهم لكرامة معرفته فقال جل من قايل شهد الله انه لا اله الا
هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط فبدا بنفسه وثنى بملايكته وثلث باولوا العلم وهم ورثة الا
والموقنون عن الله تعالى لان الانبيا عليهم السلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففي تعظيمهم
وتقويتهم امتثالا لامر الله سبحانه وتعظيما لمن اثنى الله عليه فيجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم على
سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وفيه استمالة لقلوب الرعية
وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته وتوقيره فواجب على السلطان ان لا يقطع امرا دونهم ولا يمضي
حكما الا بمشاورتهم لانه في ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف واقل الواجبات على السلطان ان ينزل
نفسه مع الله تعالى منزلة ولاته معه الذين اذا خالفت واليه امره ومارسم له من الاحكام عزله وعاقبه
ولم ياْمن سطوته فاذا امتثل وامره وازدجر عن زواجره حل عنده محلا الرضا توعجبا لمن يغضب على واليه
اذا خالفه ثم لا يخاف سطوة ربه عليه اذا خالفه فهذا طريق اقامة العدل الشرعي والسياسة الاصلاحية
الجامعة لوجوه المصلحة الحربية المستمسكة لازمة التدبير السالمة من العيوب المهمهة لاستقامة الدنيا
والدين وكما ان الملك الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزرا الاخيار فكذلك لا يتم عدله الا باستفتاء
العلما الابرار **وقد وقع** المامون في قصة متظلم في عمرو بن مسعدة يا عمرو اعمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها
وفي ساعة العدل فان فيه قوة القلب وطيب النفس ولزوم النفس وامان من العدو **ولما استاذن** الهرمزان
على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يجد حاجبا ولا بوابا فقيل له هو في المسجد فاتى المسجد فوجده مستلقيا
متوسدا كوما من الحصبا ودرته بين يديه فقال له عدلت فامنت فنمت **وقال** الحسن رايت عثمان بن
عفان رضي الله عنه وقد جمع الحصبا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عند راسه وقد وضع احدى جانبي ردائه
عليه وهو يومئذ امير المومنين ما عنده احد من الناس ودرته بين يديه **وكتب** عامل حمص الى عمر بن عبد
العزيز ان مدينة حمص قد تهدمت فاحتاجت الى الاصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من
من الظلم والسلام **وقالت الحكما** من حرم العدل فلا خير له ولا اثاره في سلطانه **وقال** يحيى بن اكثم
ماشيت المامون في بستان والشمس عن يساري والمامون في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس ايضا علي فقال
تحول مكاني واتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت وانا في الشمس كما وقيتني فان اول العدل ان يعدل
الرجل في بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى فعزم علي فتحولت وكان يقال ليس شي ابعد
من بقاء ملك الغاصب **وقيل** للاسكندر لو اكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ويحيى ذكرك فقال انما يحيى
الذكر الافعال الجميلة والسيرة الحميدة ولا يحسن لمن غلب الرجال ان تغلبه النسا **وقال** الحكيم من اتخذ
العدل سنة كان له احصن جنة ومن استشعر حلة العدل استكمل زينة الفضل **قال** ابو عبيد بن عبد الله
ابن مسعود ان الامام العادل ليسكت الاصوات عن الله تعالى وان الامام الجائر لتكثر منه الشكاة الى الله
تعالى **وقال الحكيم** لا يزال السلطان ممهلا حتى يتخطى الى اركان العمارة ومباني الشريعة فحينيذ يبرح الله
تعالى منه وقالوا لا يظلم الضعفا فانهم من ليام الاقويا **وقالوا** امير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا
ورع كارض بلا نبات وشاب بلا توبة وشجر بلا ثمر وغني بلا سخا كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا
ضوء وامراة بلا حيا كطعام بلا ملح **وقال** كسرى اتفقت ملوك العجم على اربع خصال انا الطعام لا يوكل
الا على شهوة والمراة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل

ولحق

ولحق الناس بجاريهم انفسهم على العدل الملوك الذين بعدلهم يعدل من دونهم والذين اذا قالوا فعلوا كان بانه
غير مردود **وقال الحكما** من ماشيت بالانصاف وانا لك زعيم بالظفر والظلم ادعى شي الى تغيير نعمة
وتعجيل نقمة **وقال الحليم** شر الزاد الى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد
ومتى اراد السلطان بعد الصيت وجميل الذكر فليقم سوق العدل وان احب الزلفى عند الله وشرف المنزلة
عنده فليقم سوق العدل وان احبهما جميعا فليقم سوق العدل والذي يخلد به ذكر الملوك على غابر الدهور
عدل وانح او جور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة **فصل** فاما القسم الثاني
العدل وهو السياسة الاصطلاحية وان كان اصلها على الجور فتقوم بها امر الدنيا وكانها تشاكل مراتب
الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك الطوائف في ايام الفرس وكانوا كفارا يعبدون النيران ويتبعون هوى جند
الشيطان فتواضعوا بينهم سننا واسسوا لهم احكاما واقاموا لهم مراتب في النصفة من الرعايا واستيفا
الخراجات وتوظيف المكوس على التجارات كل ذلك بعقولهم على وجه ما انزل الله بها من سلطان ولا نصب عليها
ادلة ولا برهان بيد انه لما جاءت الشريعة من عند الله تعالى على لسان نبيه صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه
وسلم منها ما اقره في نصابه ومنها ما نسخه وابطل حكمه فعادت الحكمة البالغة الى امر الله والحكمة بما انزل الله
تعالى وبطل ما سواه وكان ملكهم محفوظا برعايتهم للقوانين المالوفة بينهم فانقطع بذلك حبل الهمل وكانوا يوفون
الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وما عليهم وعن هذا يقال ان السلطان الكافر الحافظ لشرائط السياسة
الاصطلاحية ابقى واقوى من السلطان المومن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية والجور
المرتب اقوى من العدل المهمل اذ لا شي اصلح لامر السلطان من ترتيب الامور ولا شي افسد له من اهمالها
واعلم ان ربما يوخذ من الرعية على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا افسد لقلوبهم من غشم توخذ منهم
سياسة على زمام معروف ونظام مالوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر
الا باقامة العدل النبوي او ما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحي **وقال** ابن المقفع الملوك ثلاثة
ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقام لاهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط
فيه بمنزلة الراضي واما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم
القوي واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر **ولقد بلغنا** ان ملكا من ملوك الهند نزل به
صمم فاصبح مسترجعا مهتما بامر المظلومين لانه لا يسمع استغاثتهم فامر مناديه ينادي ان لا يلبس احد
في مملكته ثوبا احمر الا مظلوم وقال لئن منعت سمعي لم امنع بصري لكان كل من تظلم لبس ثوبا احمر
ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته **واخبرني** شيخنا ابو العباس الحجازي وكان ممن دخل الى الصين
ان بالصين عجيبة غريبة لملوكهم في سياستهم وذلك ان البيت الذي يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة
وطرف السلسلة في خارج الطريق وعليها امنا السلطان وحفظه فياتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع
الملك صوت الناقوس فيامر بادخال المظلوم وكل من حرك السلسلة مسكته تلك الحفظة حتى يدخل على
السلطان

الباب الثاني عشر

في التنصيص على الخصال التي تزعم الملوك انها ازالت دولهم وسلطانهم

ايها الملك احرم كل الحرم ان تكون خبيرا بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبه عقوبتك
والمحسن يستبشر بعلمك قبل ان ياتيه ثوابك **وقال ابو جعفر** المنصور ما زال امر بني امية مستقيما

حتى افضى امرهم الى ابنايهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شان الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار
اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وامنا لمكره فسلبهم الله العز
ونقل عنهم النعمة قال عبد الله بن مروان ومروان هذا هو المعروف بمروان الحمار وهو اخر ملوك بني امية
قتل في ارض مصر في اكرة بوصير قال لما زال ملكنا وهربت الى ارض النوبة بمن اتبعني من اصحابي فسمع ملك النوبة
بخبري فجاني فقعد على الارض ولم يقعد على فراش افترشته فقلت لا تقعد على ثيابنا قال لا قلت ولم قال
لان كل ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم
ولم تطون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الحرير والديباج
وهو محرم عليكم فقلت زال عنا ملكنا فقل انصارنا وانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا دينا ولنا عبيد
واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم
استحللتم ما حرم الله عليكم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها
واخاف ان يحل بكم العذاب وانتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثة ايام فتزودوا ما احتجتم
اليه وارحلوا عن بلدي **وسُئِل** بزرجمهر ما بال ملك آل ساسان صار الى ما صار اليه بعد ما كان فيه
من قوة السلطان وثبات الاركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال ومن هذا قالت الحكما
موت الف من العليه اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة **وفي الامثال** زوال الدول باصطناع
السفل **وقال الشافعي** اظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف
وتكبر على ذوي الفضل **وسُئِل** بعض الملوك بعد زوال ملكهم ما الذي سلبك ما كنت فيه قال دفع عمل اليوم
الى غد والتماس عدة بتضييع عدد **وسُئِل ملك** بعد ذهاب ملكه ما الذي سلبك ملكك فقال اعطا
من ابطر والطمع ودفع عمل اليوم لغد **وسُئِل** بعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلب عزكم وهدم
ملككم فقال شغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فاثروا مرافقهم علينا وظلم عمالنا فافسدوا
نياتهم لنا وتمنوا الراحة منا وحمل على اهل خراجنا فقل دخلنا وبطل عطا عبيدنا فزالت الطاعة منهم لنا
وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان اعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا **قالت الحكما** اسرع الخصال
في هدم السلطان واعظمها واسرعها في افساده وتفرقة الجمع عنه المحاباة لقوم دون قوم في الميل الى قبيلة
دون قبيلة فمتى اعلن بحب قبيلة فقد برى من قبايل وقديما قيل المحاباة مفسدة **وقال** مهنود الموبذ
من زوال السلطان تقريب من ينبغي ان يباعد ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحينيذ حان وان الغدر **وقيل**
لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي اذهب ملككم قال ثقتي بدولتي واستبدادي بمعرفتي واغفالي استشا
واعجابي بشدتي واضاعتي الحيلة في وقت حاجتي والتاني عند عجلتي **ولما احيط** بمروان الجعدي وهو
اخر ملوك بني امية قال انا لهفاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه لسيل
وكان من اولاد اشراف الروم من اغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر اصابه مثل هذا
وسُئِل بعض العلما ما الذي اذهب ملوك بني مروان قال تحاسد الاكفا وانقطاع الاخبار وذلك ان يزيد
بن عمر كان يحب ان يضع من نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يورد عليه من اخبار
خراسان فلما راي ذلك نصر بن سيار قال

ارى خلل الرماد وميض نار ❊ فيوشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكى ❊ وان الحرب اولها الكلام

فقلت

فقلت تعجبا يا ليت شعري ❊ أأيقاظ امية ام نيام

وكان العباسيون يوسوسون لدولتهم ولا تصل اخبارهم الى سلطان بني امية حتى استحكم امرهم وضعف
امر بني امية **وسُئِل** مروان بن محمد الجعدي وهو اخر ملوك بني امية ما الذي اضعف ملكك بعد قوة السلطان
وثبات الاركان فقال الاستبداد بالراي لما كثرت علي كتب نصر بن سيار ان امده بالاموال والرجال
قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والرجال مما يظهر من فساد الدولة قبله وجهت
ان ينتقض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان ٥

الباب الثالث عشر
في الصفات الذاتية التي زعم الحكما انه لا تدوم معها مملكة ٥

ومن اعجب العجايب دوام الملك مع الكبر والاعجاب **اعلموا** ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضايل ويكسبان
الرذايل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر
فضله عن استزادة المتادبين وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع
من التالف وكل كبر ذكره الله تعالى في القران مقرون بالشرك فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انهاك
عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يبغضهما **وقال** ازدشير بن بابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صاحبه
اين يذهب به فصرفه الى الكبر **وقال** الاحنف بن قيس ما تكبر احد الا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكما
تتحامى الكبر وتانف منه ٥ **قال الشاعر** ٥

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ❊ ولكن كبرا ان يقال له كبر ن

ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب فقال وددت اني مثلك في ظنك وان اعدائي مثلك في الحقيقة
قالت الحكما وقديم دوام الملك مع معظم النقايص فرب فقير ساد قومه ورب احمق ساد قبيلته منهم الاقرع
بن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحمق المطاع قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك
من رذيلة تسلب السيادة واعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبر فقال سبحانه وتعالى تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعا من دخول الجنة **وقال**
عز وجل سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق **وقال** بعض الحكما ما رايت متكبرا الا تحول ما به
في يعني ان الكبر عليه **واعلم** ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن ابغضته بطانته
كان كمن غص بالماء ومن كرهه الجماعة تطاولت اليه الاعدا **واما الاعجاب** فيحمله على الاستبداد وترك
مشورات الرجال **ومن الصفات** التي لا تقوم معها المملكة الكذب والغدر والخبث والجور والسخف
وقالت حكما العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل
والجبن فانه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده ولا بوعيده ولم يرج خيره ولم يخف شره ولا هيبة لسلطان
لا يرهب **وقالت الحكما** خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك
قيل لاعرابي لم لا تكذب قال لو تعززت به ما تركته **وقالت** ... والكذب اسقط الاخلاق واغلب شي على صاحبه واحرى ان لا ينزع عنه لضراوته
وهو نوع من الفحش وضرب من الدناة واصله استجلاب المنا وهو اضغاث
قد الكهما ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طايحة نسبت اليه **كما قال الشاعر**

حسب الكذوب من الاهانة بعض ما يحكى عليه ❊ فاذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه ن

وقال غيره

لا حيلة في من ينمّ • وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول • فحيلتي فيه قليلة

وقال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واما الحسود فانه اذا كان حسودا لم يشرف احدا فاذا ضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا تصلح الناس الا على اشرافهم قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم • ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما البخل فاذا كان بخيلا لم يناصحه احد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة وليس للملك ان يبخل لان بيوت الاموال في يديه واما الجبن فانه اذا كان جبانا اجترا عليه عدوه وضاعت ثغوره واذا كان حديدا غضوبا والقدرة من ورائه هلكت رعيته وليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته ولما دخل اسقف نجران على مصعب بن الزبير فكلمه بشئ اغضبه فضرب وجهه بالقضيب فادماه فقال الاسقف ان شا الامير اخبرته بما انزل الله تعالى على عيسى عليه السلام قال لا ينبغي للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولا جائرا ومنه يلتمس العدل وقال الاوزاعي يهلك الناس بالاعجاب والاحتجاب فاما الاعجاب فقد ذكرناه واما الاحتجاب فهي وحي الخلال في هدم السلطان واسرع خرابا للدول لانه اذا احتجب السلطان فكانه قد مات لان الحجبة موت حكمي فتعبث بطانته بارواح الخلايق وحريمهم واموالهم لان الظالم قد امن ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم ما رايناه في اعمارنا وسمعنا عمن سبقنا من دخول الفساد على الملوك من حجبتهم عن مباشرة الامور ولا يزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهنالك سلاطين كثيرة يا ايها الملك المغرور احتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم حبالا مشيدة وحظاير بالحجارة والماء والطين وباب الله مفتوح للسايلين ليس هناك حاجب ولا بواب قال الله تعالى لمن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقال معاوية ليس من ان يهلك السلطان رعيته او يهلكه الا الحزم او التواني وكماله امران شدة في غير افراط ولين في غير امتهان وسئل بزرجمهر اي الملوك احزم فقال من ملك جده هزله وقهر هواه لبه واعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده وقال بعض الحكما زوال الدول في اصطناع السفل ومن طال جده وانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة وقال يحيى بن خالد احسن ما وجدت في طرز الحكم من البلاغة البخل والجهل مع التواضع خير من السخا والعلم مع الكبر فيالها حسنة غطت على سيئتين ويالها سيئة غطت على حسنتين

الباب الرابع عشر
في الخصال المحمودة في السلطان

وقد اتفقت العلما والحكما قالوا ايها الملك ان قدرت ان تكون عن عدوك فتحلو بالاخلاق الجميلة التي ليس لعدوك مثلها وانها النكاية من الغارة الشعوا وقال معاوية لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته عدلا في قضيته عاريا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا للضعيف غير محاب للقوي ولا جاف للغريب وقالوا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمبالغة توجب الالفة والامانة توجب الطمانينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة

والانبساط

والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب المقة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب المذمة والتواني يوجب التضييع والجد يوجب رجا الاعمال والهوينا توجب الحسرة والحزم يوجب السرور والتغرير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير يوجب بقا النعمة وبالتاني تسهل المطالب وبلين الكنف المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجناح تاتلف القلوب وسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر انصاره عليه وبالرفق والتودد يستحق اسم الكرم وبترك ما لا يعنيك يتم الفضل واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة والفظاظة تخلع صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن رجع حذر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التاني السلامة زارع البر يحصد السرور صاحب العقل مغبوط ومدينة الجاهل تعب اذا جهلت فاسئل واذا زللت فارجع واذا اسات فاندم واذا ندمت فاقلع واذا افضلت فاكتم واذا منعت فاجمل واذا اعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم من بداك ببر فقد شغلك بشكره المروات كلها تبع للعقل الراي تبع للتجربة العقل اصل التثبت وثمرته السلامة والتوفيق اصله العقل وثمرته النجاح والتوفيق والاجتهاد زوجان فالاجتهاد سبب والتوفيق نجح بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والاعمال كلها تبع للمقدور واختار العلما اربع كلمات من اربع كتب من التورية من قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القران ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم والصبر ظفر والمعروف كنز والجهل سفه والايام دول والدهر عبر والمرء منسوب الى فعله وماخوذ بعمله اصطناع المعروف يكثر الحمد اكرموا المجالس يعمر بها ذكركم انصفوا من نفوسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق الدنية فانها تضيع الشرف وتهدم المجد لقمة الجاهل اهون من جريرته راس العشيرة يحمل اثقالها واجمعت حكما العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل نفسك ما لا تطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامراة ولا تثق بمال وان كثر

الباب الخامس عشر
في بيان ما يعتز به السلطان ومحل الطاعة

قال ملك فارس لموبذان موبذ ما شي واحد يعتز به السلطان قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت الامانة معقل الطاعة والطاعة رتبة الملة وكان يقول طاعة السلطان على اربعة اوجه على الرغبة والرهبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حمير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة شايعة وهيبة وازعة ورعية طايعة فان في العدل حياة الانام وفي الهيبة نفي الظلام وفي طاعة الرعية التالف والالتيام طاعة الائمة فرض على الرعية طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله اتقوا الله بجهده والسلطان بطاعته من اجلال الله اجلال السلطان عادلا كان او جائرا الطاعة تولف شمل الدين وتنظم امور المسلمين عصيان الائمة يهدم اركان الملة اولى الناس بطاعة السلطان ومناصحة اهل الدين والنعم والمروات اذ لا يقوم

الدين الا بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقد السلامة
وارفع منازل السعادة الطريقة المثلى العروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة الطاعة
عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن لجا اليها وحرز لمن دخل فيها ليس للرعية ان تعترض
على الائمة في تدبيرها وان سولت لها النفس بل عليها الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وتوفى
الفرايض وتحقن الدما وتامن السبل الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد وجنة الله لمن خصه بفضلها وحكم عليه
الطاعة فقرنها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
طاعة الائمة هدى لمن استضا بنورها وموئل لمن حافظ عليها الخارج من الطاعة منقطع العصمة بري من الذمة منسلك
بالكفر النعمة طاعة الائمة حبل الله المتين ودينه القويم وجنته الواقية اياكم والخروج عن انس الطاعة الى وحشة
المعصية ولا تسروا غش الائمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما شي قوم السلطان ليذلوه الا اذلهم الله قبل
ان يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة للرعية على السلطان الاصطلاح لحرمهم
والتعهد للامور وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة
والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة الى الراعي ما ليس بالراعي من الحاجة اليهم لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا
المسيم هلك السوام

الباب السادس عشر
في ملاك امور السلطان

قال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحوزان الملك وقال زياد ملاك السلطان ثلاثة
اشيا الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول ولما غزا سابور ذو الاكتاف ملك الروم واخرب
بلاده وقتل جيوشه وافنى بطارقته قال له ملك الروم انك قد قتلت واجترات فاخبرني ما الامر الذي
تثبت به حتى قويت على ما ارى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فان كان مما يضبط الامر بمثله اديت اليك
الخراج وصرت لبعض الرعية في الطاعة لك قال له سابور اني لم ازد في السياسة على ثمان خصال لم اهزل
في وعد ولا وعيد ولينا صلت بكفاية واثبت على الغنا لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب واودعت
قلوب الرعية المحبة من غير جراة والهيبة من غير ضغينة وعممت بالقوت ومنعت الفضول فاذعن له وادى
اليه الخراج وكتب الوليد الى الحجاج ان اكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني ايقظت رايي وانمت هواي وادنيت
السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم وقلدت الخراج الموفي لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه
حظا من نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى البطر المسي فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن
بحظه من الثواب وقال ابو عبيدة اذا كان الملك محصنا للسر بعيدا من ان يعرف ما في نفسه متخيرا للوزرا
مهيبا في انفس العامة مكافيا بحسن البلا لا يخافه البري ولا يامنه المجرم كان خليقا لبقا ملكه

الباب السابع عشر
في خير السلطان وشره

افضل الملوك من كان شركة بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قسطة ليس احد احق به من احد لا يطمع القوي في
حيفه ولا يياس الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ بيد الامة من اما المدينة فيطوف
على سكك المدينة حتى يقضي حاجتها وفي حكم الهند افضل السلطان من امنه البري وخافه المجرم وشر السلطان

من خافه البري وامنه المجرم وقال عمر للمغيرة لما ولاه الكوفة يا مغيرة ليامنك الابرار وليخفك الفجار
وفي حكم الهند ايضا شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البري وشر البلاد
ما ليس فيه خصب ولا امن وخير السلطان من اشبه النسر حوله الجيف لا من اشبه الجيفة حولها النسور وعن هذا
المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وفي الامثال العامية رهبوت خير من رحموت
وكان يقال شر خصال الملوك الجبن على الاعدا والقسوة على الضعفا والبخل عند الاعطا وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ثلاثة من الفواقر جار مقام ان راى حسنة سترها وان راى سيئة اذاعها وامراة ان دخلت عليها
لسنتك وان غبت عنها لم تامنها وسلطان ان احسنت اليه لم يحمدك وان اسات قتلك وقال رجل لبعض الملوك
متى اضل وانا اعلم فقال اذا ملكك امراك ان اطعتهم اذلوك وان عصيتهم قتلوك وقال ابو حازم لسليمان بن عبد
الملك السلطان سوق ما نفق عنده اتي به وفي كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروة
عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناة في افاق الارض وسمع زياد رجلا يذم الزمان فقال لو كان يدري
ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن المنكدر صف لي الزمان فقال انا الزمان ان تصلح
يصلح وان تفسد يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكما
ان احق الناس ان يحذروا العدو الفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر وقال بزرجمهر ادوم التعب
صحبة السلطان السيئ الخليقة وقال بعض الحكما اذا ابتليت بصحبة السلطان لا يريد صلاح رعيته فقد خيرت
بين خيرتين ليس بينهما خيار اما الميل مع الوالي على الرعية فهو هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالي فهو هلاك الدنيا فلا حيلة الا الموت او الهرب منه
وقالوا الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الاشرار والاخيار والملك السوء مثل الجيفة يسرع اليها الحيوان
وتتحاماها الناس

الباب الثامن عشر
في منزلة السلطان من القران

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقران وقال كعب مثل الاسلام
والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب
والاوتاد الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض وقال اردشير لابنه يا بني ان الملك والدين اخوان لا غنا لاحدهما عن
الاخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له اس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضايع يا بني اجعل حديثك مع اهل
المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك ولكن من اهل العقل وكان يقال
الدين والسلطان توامان

الباب التاسع عشر
في خصال جامعة لامر السلطان

قالوا ظفر السلطان بعدوه على حسب عدله في رعيته ومكونه في حروبه على حسب جوره في عساكره وصلاح
الرعية انفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه انصافه وسلاحه كفافه وماله رعيته وقالت
حكما الهند لا ظفر مع بغي ولا صحة مع نهم ولا ثنا مع كبر ولا شرف مع سو ادب ولا بر مع شح ولا اجتناب لمحرم مع
حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد مع انتقام ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزرا ولما ولي ابو بكر
الصديق رضي الله عنه خطب فقال ايها الناس انه لا احد اقوى عندي من المظلوم حتى اخذ له بحقه ولا اضعف من
الظالم حتى اخذ الحق منه وقيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال باستمالة الاعدا والاحسان الى الاصدقا وقد

بن جهم سوسوا احرار الناس بمحض المودة والعامة بالرغبة والرهبة والسفلة بالمخافة وقال الموبذان ان السياسة التي بها صلاح الملك الرفق بالرعية واخذ الحق منهم في غير مشقة وسد الفروج وامن السبل وان ينصف المظلوم من الظالم ولا يحمل القوي على الضعيف وقالوا الوالي من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به وكالراس من الجسد لا بقا له الا به وبعد الوالي من اصلاح الرعية مع افساد نفسه كبعد الجسد من البقا بعد ذهاب الراس والسلطان خليق ان يعود نفسه الصبر على من خالف رايه من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم ولا ينبغي ان يجعل الولاة الصلح حسن التدبير ولا ان يكذب لان احدا لا يقدر على ان يستكرهه ولا ان يغضب لان الغضب والقدرة لقاح الشر والندامة ولا ان يبخل لانه اقل الناس خوفا من الفقر ولا ان يحقد لان قدره جل عن المجازاة ولا ينبغي للوالي ان يستعمل سيفه فيما يكفي فيه السوط ولا سوطه فيما يكتفي فيه بالحبس ولا حبسه فيما يكتفي فيه بالجفاء والوعيد وقال معاوية اني لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا سوطي حيث يكفيني لساني ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها ونحو ذلك قال الشعبي كان معاوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بالمشي لا يضع يده الا حيث تبصر عينه وينبغي له ان يعلم رعيته انه لا يصاب بخير الا بالمعونة على الخير ولا ينبغي له ان يدع تفقد الرعية اتكالا منه على نظر في حجبهم فان للطيف مروا ينتفع به وقد اعطى الله ملك الدنيا سليمن بن داود عليه السلام ثم تفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد لانا لا نامن باليسير اساس الوقوع في الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن سببا • كم جر شرا سبب

وقالوا اصل الاشيا كلها واحد ولا تدع مباشرة جسيم امر فالجسيم موضع ان غفل عنه تفاقم الامر ولا تلزم نفسك مباشرة الصغير ابدا فتضيع الكبير وقال زياد لحاجبه وليتك حجابتي وعزلتك عن اربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا اعيد سخنه فسد وصارخ الليل لشي دهاه وصاحب البريد فان تاخير صاحب البريد ساعة يخرب عمل سنة وكان ابو العباس السفاح يقول لا اعملن اللين حتى لا ينفع الا الشدة ولا اكثرن من الخاصة ما استمهم على العامة ولا اغمدن سيفي حتى يسله الحق ولا اعطين حتى لا ارى للعطية موضعا وقال اردشير لما اكمل ملكه واباد اعداه انه لم يحكم حاكم على العقول كالصبر ولم يحكمها محكم كالتجربة وليس شي اجمع للعقل من خوف وحالة تتامل بها صفحات حاله وكان عمر يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها يكون لاغراضها لفقا ولمقاصدها وفقا تشرح المستبهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل كثم بن صيفي حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له اني سايلك عن اشيا لازالت بصدري معتلجة وما زال الشكوك عليها والجة فاتني بما عندك فيها فقال ابيت اللعن سالت خبيرا واستنبات بصيرا والجواب يشفعه الصواب فسل عما بدا لك قال ما السودد قال اصطناع المعروف عند العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف قال كف الاذى وبذل الندى قال فما المجد قال حمل المغارم وابتنا المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخا في الشدة والرخا قال فما العز قال شدة العضد وبذل العدد قال فما السماحة قال بذل النايل وحب السايل قال فما الغنا قال الرضى بما يكفي وقلة التمني قال وما الراي قال لب تعينه تجربة قال له اوريت زناد بصيرتي واذكيت نار خبري فاحتكم قال لكل كلمة هجمة قال هي لك قال الاصمعي فقال الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فانصرفت بثمانين الفا وكان قيس بن ساعدة يفد على قيصر ويكرمه فقال له يوما ما افضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال فما افضل العلم قال

ووقوف

وقوف الرجل عند علمه قال فما افضل المروة قال استبقا الرجل ماء وجهه قال فما افضل المال قال ما قضي به الحقوق

الباب العشرون
في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان

قال ابو جعفر المنصور ما كان احوجني ان يكون على بابي اربعة لا يكون على بابي اعف منهم قيل من هم يا امير المؤمنين قال هم اركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا باربع قوايم ان نقص قايمة واحدة عابه احدهم قاض لا تاخذه في الله لومة لايم والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فاني غني عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قيل ومن هو يا امير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب بخبر هولاء على الصحة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا باربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح له امر قوة على جمع المال من ابوابه ووضعه في حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه

الباب الحادي والعشرون
في حاجة السلطان الى العلم

قال ابن المقفع اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبك ذلك فان زوال الكرامة لزوالهما ولكن ليعجبك ان اكرموك لادب او علم او دين فاعلم ارشدك الله ان احوج الناس الى التفقه اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واصحابا والخلق مستمدون من السلطان الخلايق السنية والطرايق العلية مفتقرون اليه في الاحكام وقطع التشاجر وفصل الخصام فهو احوج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وتحصيل الاعلم كما لا بد لاهل وافضل ما في السلطان خصوصا وفي الناس عموما محبة العلم والتحلي به والشوق الى استماعه والتعظيم لحملته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من البهيمية ومضاهاته للعالم العلوي وهو من اوكد ما يجب به لرعيته واذا كان الملك خاليا من العلوم ركب هواه واضر برعيته كالدابة بلا رسن تمر في غير طريق وقد تتلف ما تمر عليه واعلم ان زهر الفضايل وحسن المناقب وبها المحاسن وما ضاد ذلك من قبح المثالب وفتح الرذايل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما اوتيته من علو المنزلة وشرف الخلق فيكون حسنك احسن كما يكون قبحك اقبح وليس احد من اهل الدرجات السنية والمراتب العلية احوج الى مجالسة العلما وصحبة الفقها ودراية كتب العلوم والحكم ومطالعة دواوين العلما ومجاميع الفقها وسير الحكما من السلطان وانما كان كذلك من جهتين احدهما انه قد نصب نفسه لممارسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطي حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة وكيف تكون حاله لو لم يعد لهذه الامور عدتها ولم يتقدم لها اهبتها والثاني ان سواه من الناس لا يعدمون من يكبر عليهم ويعارضهم ويذكرهم مساويهم ويخالفهم في مذاهبهم فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة انفسهم ويعلمهم مراشدهم ومناظرة الاكفا ومعاشرة النظرا تلقيح العقول وتهذيب النفوس وترتيب لمآخذ الاحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع قدره تنقطع عنه جميع ذلك اذ لا يلقاه ولا يجالسه الا معظم لقدره مجل لشانه وساتر لمساويه ومادح له بالبيت فيه وانما جوابهم له صدقت ايها الامير وعلى قدر علو المرتبة يكون قبح السقطة كما ان على قدر ارتفاع الحائط يكون سقوط الوجبة فصل ايها الملك ليس احد فوق ان يومر بتقوى الله ولا احد اجل قدرا من ان يقبل امر

ولا ارفع خطرا من ان يتعلم حكم الله ولا اعلى شانا من ان يتصف بصفات الله ومن صفات الله تعالى العلم الذي مدح
وصف به نفسه سبحانه وتمدح بسعته فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسي هو العلم والكراسي
هم العلما واذا كان العلم فضيلة رغبة الملوك وذوي الاخطار والاقدار والشيوخ فيه اولى لان الخطا ثم
اقبح والابتدا بالفضيلة فضيلة **حكى** ان ابرهيم بن ادهم دخل على المامون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه
فقال يا ابرهيم ما عندك فيما يقول هولاء فقال يا امير المومنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر فقال المامون
لم لا تشتغل بالعلم اليوم فقال او يحسن بمثلي طلب العلم فقال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش قانعا
بالجهل قال والى متى يحسن طلب العلم قال ما حسنت بك الحياة **وروي** ان بعض الحكما راى شيخا يطلب العلم
ويحب النظر فيه ويستحيي فقال يا هذا استحيي ان تكون في اخر عمرك افضل مما كنت في اوله ولان الصغير
اعذر وان لم يجن في الجهل عذره **وفي منثور الحكم** جهل الشاب مغفور وعلمه محقور فاما الكبير فالجهل به
اقبح ونقصه عليه افضح لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغير افضل منه لان الامل
فيه اقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون المساوي له في الجهل افضل منه فكما ذكرنا من حاجة الشيخ
الى العلم لحاجة السلطان اليه اكثر وداعيه الى اكتسابه اشد لان من عداه انما يخصه نفسه الواحدة
فيقرب عليه تحصيل ما يقوم به والملك منتصب لسياسة مملكته وتعليمهم وتقويم اودهم فهو الى العلم
احوج

قال الشاعر

اذا لم يكن مر السنين مترجما • عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها • ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا
ارى الدهر من سوء التصرف مائلا • الى كل ذي جهل كان به جهلا

وقال بعض الحكما كل عز لا علم يوكده مذلة وكل علم لا يويده عقل مضلة وكيف يستنكف ذو امنية عليه
من طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين في اقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقا الخضر
ليتعلم منه فلما ظفر به قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا هذا وهو نبي الله وكليم الله وهذا محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصفوته من جميع خلقه قد اوصاه ربه سبحانه وعلمه كيف يستزيد
ما في خزاينه فقال وقل رب زدني علما فلو كان في خزاينه اشرف من العلم لنبهه عليه وهذا ادم عليه السلام
لما فخرت الملايكة بتسبيحهم وتقديسهم لربهم وفخر ادم بالعلم فقال انبئوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين
فلما عجزوا امرهم بالسجود له واخلق بخصلة تستدعي السجود لحاملها ان يتنافس فيها كل ذي لب وهذا فصل
الخطاب لمن تدبره ولا يمتنعن لك ما روي في بعض الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالرسم على الحجر
والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء فقد سمع الاحنف رجلا يقول التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال
الاحنف الكبير اكثر عقلا ولكنه اشغل قلبا فحض عن المعنى ونبه على العلة وقد كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيوخا وكهولا واحداثا وكانوا يتعلمون العلم والسنن وهم بحور العلم واطواد الحكم
والفقه غير ان العلم في الصغر ارسخ اصولا وابسق فروعا وليس اذا لم يحزه كله يتركه كله قال رجل لابي
هريرة اني اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال ابا هريرة كفى بتركك له تضييعا وبعض الخير خير
من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت غبا الجهل مثل الجمال تحت حمل ثقيل فان هو كلما اعيا نقصه قليلا
يوشك ان ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما اوشكه ان يصرعه حمله
وكذلك الجاهل اذا تعلم قليلا قليلا يوشك ان ياتي على بقيته وان لم يتعلم في الكبر لما فاته في الصغر فاوشك بمن

تحت

تحت غبا الجهل

الباب الثاني والعشرون

في وصية امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لكميل بن زياد في العلم واهله

قال كميل بن زياد النخعي خرجت مع علي بن ابي طالب الى الجبانة فلما اصحر تنفس الصعدا ثم قال يا كميل
بن زياد ان القلوب اوعية فخيرها اوعاها للخير احفظ عني ما اقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني
ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا
منه الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال
تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعة في حياته
وجميل الاحدوثة بعد وفاته مات خزان الاموال وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر اشخاصهم مفقودة
وامثالهم في القلوب موجودة ان ههنا واشار بيده الى صدره لعلما جما لو اصبت له حملة بلى قد اصبت له
لقنا غير مامون عليه يستعمل الة الدين للدنيا ويستظهر بحجج الله على كتابه او كما قال وبنعمه على عباده او منقادا
لاهل الحق لا بصيرة له ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات
سريع الانقياد للشهوات او مغرى بجمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين اقرب شبها بهما الانعام
السايمة اللهم فكذلك يموت العلم بموت حامليه ولكن لن تخلو الارض من قايم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله
وبيناته ومن اولئك واين اولئك اولئك الاقلون عددا الاكبرون عند الله قدرا تخزن الحكمة في قلوبهم
حتى يزرعوها في قلوب اشباههم ويودعوها في صدور نظرايهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا
روح اليقين واستلانوا ما استخشنه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا باجسام
ارواحها متعلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفا الله في بلاده ودعاته الى دينه هاه شوقا الى رويتهم

الباب الثالث والعشرون

في العقل والدها والخبث والمكر

قد ذكرت في كتاب الاحتراز حقيقة العقل واقسامه ومحله واحكامه بما لا مزيد عليه **ونذكر ههنا**
منافعه ومداركه ولباب ما تحرر من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغايب فمن كان في طوقه ان
يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل وسمي عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه
وذلك ان من نظر الى قصر قد كمل بنيانه وحصنت اركانه وجعل فيه من الالات ما يكتفي به ساكنوه فان
عليه انسان فراى بيوتا مقطوعة وابوابا منصوبة وفرشا مفروشة وزرابي مبثوثة ومواييد
موضوعة وصحافا مصفوفة وارايك منصوبة وحجالا مسدولة وطشوتا واباريق وبيوتا ماء ومياها ريب
تسيل وتجري ينابيع لنبع الما وطيقان للضيا ومداخن للدخان الخارج ومنافس للرياح والهوا وانما كثرت
لك هذه الامثلة لان ما في الانسان من الاعضا ولطيف الصنعة والعجايب اكثر ما في القصر باضعاف
مضاعفة الى سائر ما تستدعيه العقلا للانتفاع ثم فكر هل هذا القصر بما حواه صنعة صانع قادر
عالم حي او انه تولد لنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستقر بالضرورة في عقله استحالة وجوده من غير

صانع وانه مفتقر الى صانع صنعه وهذا علم يهجم على العقول لا يفتقر الى نظر واستدلال فاذا نظر الى ما في نفسه من العجايب والترتيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه اما بجلب نفع او دفع ضر فليتم نظره في عضو واحد مثلا وهو فمه فيرى فيه وله اسنانا تشبه الفوس تصلح للقطع وفي اخره طواحين مضرسة تصلح للطحن وبشدقيه سال له جانبان يمنعان ان يتبدد الطعام الى الخارج ولسان يرد ما انقلب من الطعام اليه على الطواحين ثم يلي ذلك بلعوم يصلح لازدراد هذا الطحين علم بادي بادي تامل هذه الخلقة ما انها بنفسها اتفاقا بل هي مفتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبنا نذكر منفعة كل عضو لوقفت على العجب ولكن تركناه كراهة التطويل وعلى هذا نبه الكتاب المهيمن فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وبهذه العبر تستقل العقول باثبات الصانع ويستغني عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المفيد في الشاهد مثل البنا والنجار والخياط واشباههم بعد النظر في صنايعهم على اضطرار والعلم المثبت للصانع سبحانه عند النظر في حدث العالم علم استدلال اعتبارا الغايب بالشاهد اذ لا فرق في العقول بين صنعة وصنعة في اقتضا صانع وانما كان العلم في الشاهد ضروريا لان الانسان امر ل يرى البنا يبني والخياط يخيط والنجار ينجر الخشب ولم يرى العقلا القديم سبحانه يخلق ويخترع وانما استفاده من النظر في الشاهد فان قيل فاي العلمين اقوى في النفوس واثبت في العقول عند النظر في السرير واقتضايه للنجار او العلم بالاله عند النظر في السموات والارضين وما بينهما والجواب ان هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك لكن حينيذ يعلم ان من معه عقلا غريزيا او نسميه عاقلا وتوجه التكليف عليه وهو العقل التكليفي فاذا ثبت هذا فاعلم ان الله خلق الخلق على اربعة انحا ملايكة وادميين وشياطين وبهايم فاما الملايكة فعقل بلا شهوات ولا هوى واما البهايم فشهوات بلا عقول واما الشياطين والجن فركب فيها العقول والشهوات والهوى وكذلك ركب في بني ادم العقل والهوى والشهوة فغلبت شهوة الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا اوقاتهم بالاخلاق المذمومة بالكبر والعجب والمقت والفخر والدعوى والحسد وساير الاخلاق المهلكة واما البهايم فقضت اوقاتها في شهوات البطن والفرج واما الادميون فركب فيهم عقول الملايكة واخلاق الشياطين وشهوات البهايم فمن غلب على هواه منهم عقله فكانه من عالم الملايكة كالانبيا والرسل والاوليا والاصفيا وقليل ما هم واما من كان عقله مغلوبا لهواه وشهواته فان كان ذلك في المباحات من المطاعم والملابس والمراكب والنسا والخيل المسومة والانعام والحرث فاكل وتمتع بعد ان كسبه من حله فهو من عالم البهايم وانما الحقناه بعالم البهايم لانه لا تكليف على البهايم وكذلك هذه المباحات لا حرج في الاستمتاع بها بعد ان كسبها من حله وان كان الغالب عليه اخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى ساير الاخلاق المذمومة فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع من الشخص افراط الشهوات واتباع الهوى والاخلاق المذمومة فيكون ادميا في صورته شيطانا في خلايقه بهيمة في شهواته فلا ينفع النصيحة واذا ثبت هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزي اطول رقة من العين واحوج الى الشحذ من السيف ن

فصل فاما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة واصله الفكر وليس له حد ينتهي اليه لانه ينمى ان استعمل وينقص ان اهمل ونماوه يكون باحد وجهين اما ان تقارنه من صغره الشو ذكاء حس وفطنة كالذي قال الاصمعي قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يحادثني واعجبني الله بفصاحته وملاحته ايسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانك احمق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يجني علي حمقي

جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي واستخرج هذا الصبي بفرط ذكايه ما يدق على من هو اكبر منه سنا **وقيل** لبعض الصبيان الك اب فقال كاني عيسى بن مريم **وقد قالت الحكما** ابتدا العقل سرعة الفهم وغايته اصابة الوهم وليس لهذا كافاته ولا جودة القريحة نهاية الاترى ان اياس بن معوية الذي يضرب المثل بذكايه قال لابيه وهو طفل وكان ابوه يوثر اخاه عليه يا ابت تعلم ما مثلي ومثل اخي معك اما انا فكفرخ الحمام اقبح ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحة وحسنا فتبني له العلالي وتتخذ له المربعات وتستعده الملوك ومثل اخي مثل الجحش الصغير املح ما يكون اصغر ما يكون وكلما كبر صار الى القهقري انما يصلح لحمل الزبل والتراب والوجه الثاني ما يصلح لوجه الحنكة وصحة الروية بطول ممارسة الامور وكثرة التجارب ومرور العبر على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدعت اسماعهم انواع الاخبار واثار الغير **قال بعض الحكما** كفى بالتجارب تادبا وبتقلب الايام عظة **وقالوا** التجربة مواد العقل والغر ثمرة الجهل ولذلك حمدت ارا الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار وينابيع الا الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم باراء المشايخ فانهم ان عدموا ذكاء الطباع فقد افادتهم الايام حنكة وتجربة ن

قال الشاعر

الم تر ان العقل زين لاهله ۝ ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال اخر

اذا طال عمر المرء في غير افة ۝ افادت له الايام في كرها عقلا

غير ان العقل افات كما قال بعض الحكما كيف يرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكتنفاه والهوى ابعد من ان يسعد فيه حيلة الحازم المحتال وهو اغمض مسلكا في الجنان من الروح في الجسمان واملك بالنفس من النفس والمالك للشي ولهذا قيل كم من عقل اسير عند هوى امير فمن احب ان يكون حرا فلا يهوى والا صار عبدا كما قال علي بن الجهم ن

افرحن ونحن عبيد ۝ ان رق الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد في الانسان هل يكون فضيلة ام لا فقال معظم العقلا انه فضيلة لانه اذا كان مجموع احاده والاحاد فضايل فلا شك ان كثرة الفضايل فضيلة وانما الشي المحمود تكون الزيادة فيه نقصا من المحدود كالتهور في الشجاعة والتبذير في الكرم واما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يجي لما قد كان **وروي** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الناس اعقل الناس **وقال عليه السلام** العقل حيث كان الف ماوف **وقال القاسم** بن محمد من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب الخصال عليه **ولما** مات بعض الخلفا حدثت الروم فاجتمعت ملوكها وقالوا الان يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكنا الغرة منهم والوثبة عليهم وضربوا في ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وتغرة النجح وكان رجل منهم من ذوي الراي والمعرفة غايبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الراي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا ارى ذلك صوابا فسالوه عن علة ذلك فقال غدا اخبركم ان شا الله فلما اصبحوا غدوا عليه للموعد وقالوا لقد وعدتنا قال نعم فامر باحضار كلبين عظيمين قد اعدهما وحرش بينهما وال كل واحد على الاخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماوهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل منه على الكلبين ذيبا عنده قد اعده فلما ابصراه تركا ما كانا عليه وتالفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذيب فنالا منه ما احبا ثم اقبل الرجل على اهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذيب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتال بينهم ما لم يظهر عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتالفوا على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رايهم **واما** المذموم في هذا الباب صرف العقل الى الدها

المكر قال الشعبي وقعت الفتنة ودهاة العرب ستة معاوية بن ابي سفين وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد
ابن ابيه وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقا وقال الاصمعي كان معاوية يقول انا للاناة وعمرو
للبديهة وزياد للصغار والكبار والمغيرة للامر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رايت اعطى لجزيل مال من غير مسألة
من طلحة بن عبيد الله ولا رايت اثقل حلما ولا اطول اناة من معاوية ولا رايت اغلب للرجال ولا ابذ حين يجتمعون
من عمرو بن العاص ولا اشبه سرا بعلانية من زياد ولو ان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية ابواب لا يخرج من باب منها
الا بالمكر لخرج من ابوابها كلها وقال ابو الدردا قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من
ربك قربا قلت بابي وامي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله واد فرايض الله تكن عاقلا ثم تنفل بصالح الاعمال
تزدد في الدنيا عقلا ومن ربك قربا وعليه عزا ويروى لعلي بن ابي طالب رضوان الله عليه شعر ن

ان المكارم اخلاق مطهرة ... فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين قاضيها
والنفس تعلم اني لا اصادقها ... ولست ارشد الا حين اعصيها
والعين تعلم في عيني محدثها ... من كان من حزبها او من اعاديها

وقال بعض الحكما العاقل من عقله في ارشاد ورايه في سداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في
اغرا فقوله سقيم وفعله ذميم فاما من صرف فضله الى الدها والمكر والحيل الخديعة كالحجاج وزياد وغيرهم
فمذموم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست بالخب ولا الخب يخدعني وقال المغيرة كان والله عمر بن
الخطاب افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع والموصوف بالدها والمكر مذموم وصاحبه محذور يخاف غوايله
ويحذر عواقب حبايله وقد امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال
زياد اعن موجدة او عن جناية يا امير المومنين قال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت ان احمل على الناس فضل عقلك ن
وكتب زياد الى الحجاج انا العراق في شمالي ويميني فارغة فولني الحجاز اكف اهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم اكفه
فطعن في اصبعه بعد ايام فمات فنحن وان كنا نرغب عن الدها والمكر فانا نرغب في الحيلة ونرضيها والاتساع في
الحيلة مما تواصى به العقلا قديما وحديثا وليس شي من امور الدنيا لطالب الرغبة وباغي الوسيلة ومن نادى امر
كان وصل خير من الحيلة واضعف الحيلة انفع من كثير الشدة وقالت الحكما ملاك العقل الحيلة والتاني ن
للسبب الضعيف والقوي من الامور وروي ان رجلا وقف لكسرى فقال انا اصنع ما يعجز الخلايق عنه قال وما هو
قال يشد برجلي حبل طرفه برقبة الفيل وبرجلي الاخرى كذلك وتشد طرفه برقبة الفيل ثم يساق الفيل
بالضرب والزجر فلا يتشجر ففعل ذلك فتمت حيلته ثم تعالى ان يفعل ذلك باربع من الفيلة فمرت بجدته فقسموه
شطرين فقال كسرى من لم يكن اكبر ما فيه عقله هلك باكبر ما فيه فنظمه بعض الشعرا فقال ن

من لم يكن اكبر عقله ... اهلكه اكبر ما فيه ن

وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد يحكي ان رجلا استاذن على هرون وقال اني اصنع ما يعجز الخلايق عنه قال
الرشيد هات فاخرج انبوبة فصب عليها ابرا عدة ثم وضع واحدة في الارض فقام على قدمه وجعل يرمي ابرة ابرة
فتقع على ابرة من عين الابرة الموضوعة حتى فرغ دسته فامر الرشيد فضرب مائة سوط ثم امر له بمائة دينار فسئل
عنه بين الكرامة والهوان فقال وصلته بجودة ذكايه وادبته كيلا يصرف فرط ذكايه في الفضول ومن زعم ان
العقل المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضايل هيات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فاذا جاوز التوسط

خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي هو وسط بين التهور والجبن وقالت الحكما للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال
في الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها ن
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه خير الامور الوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة
العقل تفضي بصاحبها الى الدها والمكر وذلك مذموم قلنا هذا كله باطل لما قدمناه لنصرة القول الاول
وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وبساير الفضايل واما قولهم انه يفضي بصاحبه الى المكر والدها قلنا
الدها والمكر كسب ومعان اخر غير العقل ليست من لوازم العقل فان شا تعاطاها وان شا كف عما يقول كل
شي يكسبه العاقل باختياره ليس لعقله او نقصه فيه بل انما او نقصه فيه قلة عقله وكان بزرجمهر لما فرغ كتابا لم
وسبق كل باب على حياله يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها ولم يصر عالما وانا
اقول ليس العجب ممن قرا كتابي هذا وصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قراه ولم يصر مهذبا كاملا ن

الباب الرابع والعشرون

في الوزرا وصفاتهم والجلسا وادابهم

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزرا
لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزرا فقال اشدد به ازري واشركه في امري ن
دلت الاية على ان موضع الوزير ان يشد قواعد المملكة وان يفضي السلطان اليه اذا استكملت فيه الخصال
المحمودة ثم قال كي نسبحك كثيرا دلت هذه الاية على ان نصيحة العلما والصالحين واهل الخبرة والمعرفة
تنتظم امور الدنيا والدين وامور الاخرة كما ان اشجع الناس يحتاج الى السلاح وافره الخيل الى السوط واحد
الشفار الى المسن كذلك يحتاج اجل الملوك واعظمهم واعلمهم الى الوزير وروي ابو سعيد الخدري قال
ما بعث الله نبيا ولا استخلف خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه ن
وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى وانما اشتقت الوزرا من الوزر وهو
الثقل يريد انه يحمل من امر المملكة واعبايها واثقالها مثل الاوزار اسعد الملوك ملك له وزير صدق
ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون امن ولك الجنة ولك ملكك
قال حتى اشاور هامان فشاوره فقال بينما انت تعبد اذ صرت تعبد فانف واستكبر وكان من امره ما كان
وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن ابي مسلم لا يالوه خبالا ولبيس القرنا شر قرين لشر خدين والوزارة
منازلها اولها بعد النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة والوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير على السياسة
ومفزع عند النازلة الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير
الوزير واعلم ان اول ما يستفيد الملك من الوزرا امران علم ما كان يجهله ويقوى عنده على ما كان يعلمه
فيزول شكه واول ما يظهر نبل السلطان قوة تمييزه وجودة عقله في استخلاف الوزرا واستنقاد الجلسا
ومحادثة العقلا فهذه خلال تدل على كماله وبها يجل في الخلق ذكره ويجل في العقول قدره ويرسخ في النفوس عظمه
والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراوهم وفي كتاب كليلة ودمنة
لا يصلح السلطان الا بالوزرا والاخوان ولا الاعوان الا بالمودة والنصيحة والمودة الا بالراي والعفاف
واعظم الاحيان ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة ان يحرموا صالحي الوزرا والاعوان فيكون اعوانهم
غير ذي مروة ولا غنا ويجوز للملك ان يوالي الوزرا غير المجربين كما لا تنفع الامور كالحذر ان يتطبب بغير طبيب

بصير مامون قال شريح بن عبيد لم يكن في بني اسرايل ملك الا وكان معه رجل حكيم فاذا راه غضبانا ناوله صحايف
في كل صحيفة ارحم المسكين واخشى الموت واذكر الاخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه وقال
ازدشير يجب على الملك لطفه ما يكون نظرا اعظم ما يكون خطرا ولا يذهب حسن اثره في الرعية خوفه لها ولا يستغني
تدبيرا ليوم عن تدبير غده وان يكون حذره للملاقين اكثر من حذره للمتباعدين وان يتقي بطانة السوء اشد من اتقايه
العامة ولا يطمع في اصلاح العامة الا بالخاصة وقال ازدشير لكل ملك بطانة حتى يجمع ذلك جميع المملكة فاذا
قوم الملك بطانة على سبيل الصواب اقام كل امرء منهم بطانة على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية
ومثال الملك الجيد والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح
فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية
كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطبا فان كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا
اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دايه فاذا اسقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل
كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرطنا ان يكون صدوقا في لسانه عدلا
في دينه مامونا في اخلاقه بصيرا بامور الرعية ويكون بطانة الوزير ايضا من اهل الامانة والبصيرة ويجب
على الملك ان يولي الوزارة لييما فان اللييم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي
الفضل ولما اراد سليمن بن عبد الملك ان يستكتب الحجاج يزيد بن ابي مسلم قال عمر بن عبد العزيز اسال الله بالله
يا امير المومنين ان تحيي ذكر الحجاج باستكتابك اياه فقال يا ابا حفص اني لم اجد عنده خيانة دينار ولا درهم
قال عمر انا اوجدك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس ما مس درهما ولا دينارا وقد اهلك
هذا الخلق ودخل رجل له عقل وادب على بعض الخلفا فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه
فقال

يا ملكا طاعته لازمة • وحبه مفترض واجب
ان الذي شرفت من اجله • يزعم هذا انه كاذب

واشار الى الذمي فساله يا امير المومنين فلم يجد بدا من ان يقول فاعترف بالاسلام لا يعرف وزير الملك
ماله وما عليه حتى يراعي من صاحبه الواثق به ما يراعيه العاشق الغيور من معشوقه وكان بعض الملوك قد كتب
ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رايتني غضبانا فارفع الي رقعة بعد رقعة فكان في الرقعة الواحدة انك لست
باله وانك ستموت وانك ستعود الى التراب فياكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في
السما وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك اذا كان الوزير يساوي الملك في الراي والهيبة
والطاعة فليصرعه الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع وفي الامثال اذا سكنا لذيبان خافت الوزرا
ولما كانت امور المملكة عايدة الى الوزرا وازمة الملوك في كف الوزرا سبق من العقلا المثل السائر فقالوا
لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا احبك الوزير فلا تخش الامير ويقال الحزق مماراة الامرا
ومعاداة الوزرا وربما امر كرهه الامير فتم بالوزير وكم من امر اراده الامير فثناه عنه الوزير والمملكة
كالدار والوزير بابها فمن اتى الدار من بابها ولج ومن اتاها من غير بابها انزعج وقال انوشروان لا يتم للملك امره
حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس مامون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزرا من المملكة كموقع
المراة من البصر فكما ان من لم ينظر الى المراة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير
لا يعرف محاسن دولته وعيوبها لا يعرف الوزير ماله وما عليه حتى يراعي من صاحبه الواثق به ما يراعيه العاشق
من المعشوقة المتهمة كاتب الملك مستقر لاسراره ولسانه الناطق عنه في افاق مملكته والمخصوص

بقربه

بقربه ولزومه دون نظرايه ظهير الامير ووزيره ورديفه حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابة
قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود المملكة للكاتب على الملك ثلاثة اشيا يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه
ويفشي سره اليه وقد قالت العلما لا يطمع ذو الكبر ولا الحب في كثرة الصديق ولا السيي الادب في الشرف
ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون بتضعيف الوزرا في بقا الملك وكما ان المراة
لا تريك وجهك الا بصفا جوهرها وجودة صقلها ونقايها من الصدا كذلك الامير لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير
وصفا نفسه ونقا قلبه ومن شرط الوزرا ان يكون مكيلا لرحمة الخلق فاذا هم لبانسو ابرحمته ما يخرجه السلطان
بغلظه ومن شروطه انه يكون نقي الجيب ناصح الغيب لا يقبل رقيقه ولا يكتم نصيحة قال بعض الملوك لوزيره
لا يكون الى ما سرني به اسرع مبادرة الى الذاري فيما يخاف علي منه وقال بعض الملوك اعط من اتاك بما تكره
كما تعطي من اتاك بما تحب فان من ابدى لك بشر ومن شروطه انه يكون كامل الهمة لا حر ولا فتر وموقع الوزير
من الملك موقع الملك من العامة فكما ان السلطان اذا اصلح صلحت الرعية واذا فسد فسدوا كذلك الوزرا اذا فسدوا
فسد الملك واذا صلحوا اصلح الملك وكان يقال انما العقل الهوى وافة الامير مخافة الوزير وقال
المقتدر بالله لوزيره علي بن عيسى اتق الله يطعني عليك ولا تعصيه فيسلطني عليك وقال المامون لعمرو بن مسعدة
اياك ان تعصي الله فيما تتقرب به الي فيسلطني عليك واعلم انه ليس للوزير ان يكتم عن السلطان نصيحة وان استقل
وموقع الوزير من المملكة موقع العينين من الانسان وكاليدين فانه اذا صح قبضهما وبسطهما صح التدبير واذا استعمل
دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة الا في اهلها كما لا يكون للملك في غير اهله وشر الوزرا من كان الحاسد
ايضا له وزرا وبطانة ودخلا واوصت امراة ابنها وكان ملكا فقالت يا بني ينبغي للملك ان يكون له ستة
اشيا وزير يثق برايه ويفضي اليه باسراره وحصنا يلجا اليه اذا فزع وسيفا اذا نازل الاقران لم يخش
ان يخونه وحين خفيفة المحمل اذا نابته نايبة كانت معه وامراة اذا دخلت عليه اذهبت همه وطباخ اذا
لم يستسغ الطعام طبخ له ما يشتهيه ٥

الباب الخامس والعشرون
في الجلسا وادابهم

قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال سبحانه وتعالى يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وينبغي للملك ان يجالس اهل العقل والادب
وذوي الراي والحسب وذوي التجارب والعبر فمجالسة العقلا لقاح العقل ومادته ولذلك حمدت اراء المشايخ فقيل
القدما المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا عليكم باراء المشايخ فانهم
ان فقدوا ذكا الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم اثار الغير وقالوا راي الشيخ خير من مشهد
الغلام وقال عبد الملك لجلسايه جنبوني ثلاثا لا تطروني فاني اعرف بنفسي منكم ولا تكذبوني فانه لا راي
لكذوب ولا تغتابوا عندي احدا فيفسد قلبي عليكم وقال بعض الحكما كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الايام عظة
وقالوا التجربة مراة العقل والغرة ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو احد حكما العرب عليكم بمشاورة الكبار
فانهم يبتغون بالحديث السن الجهد يبا الذهن وقال كبير من حكما العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون
رايا لم يعله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الاول اصدق على العقول وقال
عبد العزيز بن زرارة لمعاوية عليك بمجالسة الالبا اعدا كانوا او اصدقا فان العقل يقع على العقل

وقال بن عباس مجالسة العقلا تزيد في الشرف وقال سفين بن عيينه ان الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلا اياما وقال مالك بن انس رضي الله عنه مر سليمن بن داود عليهما السلام بقصر باز من مصر فيه مكتوب

خد وناعز قرا اصطحرالى القصر فهلناه • فمن سال عن القصر فمبنيا وجدناه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه • وللشي على الشي علامات واشباه
فلا تصحب اخا الجهل واياك واياه • فكم من جاهل اردى حليما حين اخاه

قال ووجد عليه نسرا واقعا فدعاه فقال من بنى هذا القصر قال لا ادرى قال كم لك منذ وقعت عليه قال سبع مائة عام وفي الامثال يظن بالمرء ما يظن بخليله ولما حج عبد الله بن جعفر نزل مكة ليلا فلما اصبح قال يا اهل مكة عرفنا خياركم من اشراركم في ليلة واحدة قالوا وكيف ذلك قال نزلنا ومعنا خيار واشرار فنزل خيارنا على خياركم واشرارنا على اشراركم فعرفناكم واعلم انه ليس للدخان على النار بادل من الصاحب على الصاحب وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب ان لم يكن في مثلها شانه وقال مالك بن مسمع للاحنف بن قيس يا بابا بحر ما اشتاق الى الغايب اذا حضرت ولا اشتغل بحاضر اذا غبت فاخذ ابرهيم بن العباس الكاتب ونظمه فقال

وانت هوى النفس من بينهم • وانت الحبيب وانت المطاع
وما بك ان بعدوا وحشة • وما بهم ان بعدت اجتماع

وقال عبد الملك بن مروان قد شبعت من كل شي الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على التلال العفر وقال عبد الله بن طاهر المال غادٍ ورائح والسلطان ظل زايل والاخوان كنوز وافره وقال الاصمعي تناظر رجلان ولعرابي حاضر فقال مناظرة مثلك في الدين فرض والاستماع منك ادب ومجالستك زين ومعرفتك عز ومذاكرتك تشحذ العقول وتسهد والخيارك شرف وفخر وقال اليماني عني مخارق بن يحيى المامون

واني لمشتاق الى ظل صاحب • يروق ويصفو ان كدرت عليه
عذيري من الاخوان الا اجفو • صفالي ولا ان صرت طوع يديه

فقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلافة واعطني هذا الانسان وقالت الحكما النظر في عواقب الامور يلقح العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقته والاحمق لا تدوم مودته فاتخذ لك من اصحابك نصحا مرآة لطبايعك كما تتخذ لوجهك المراة المجلية فانك الى صلاح طبايعك احوج منك الى تحسين صورتك وقال المامون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة خلا سبعة قال وما السبع يا امير المومنين قال خبز الحنطة والفراش الوطي والنظر الى الحسن من كل شي قال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شي فاكلت الحلو والحامض حتى لا اجد لواحد منهما طعما وشممت الطيب حتى لا اجد له رايحة واتيت النسا حتى لا ابالي امراة اتيت ام حايطا فما رايت شيا الذ من جليس يسقط بيني وبينه مونة التحفظ وقال عبد الملك من قرب السفلة وادنا ... وباعد ذوي العقول والفهام استحق الخذلان ومن منع المال من الحمد ورثه من لا يحمد ومن الكلام الشريف قول الحكما ما احوج ذا القدرة الى دين يحجزه وحيا يكفه وعقل يعدله والتجربة طويلة وعين محفوظة والى اعوان لينه واخلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورايد شفيق والى عين تبصر العواقب وعقل يخاف العبر ومن لم يعرف لوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ولم يتحفظ من ليبات الذل ولم يتعاظمه ذنب وان عظم ولا اثنا وان سمج واذا رايت من جليسك امرا تكرهه

او

اوخلة لا تحبها او صدرت منك كلمة عودا او هفوة غيرا فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمه واستر عورته وابعد وابرا من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بري مما تعملون فلم يامر بقطعهم وانما امر بالبراءة من عملهم السوء

قال الشاعر

اذا راب مني مفصل فقطعته • بقيت وما بي للنهوض مفاصل
ولكن اداويه فان صح سرني • وان هو اعيى كان فيه تحامل

واتى رجل الى بعض الحكما فشكى اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام منه فقال له الحكيم افهم ما اقول لك فانك اثرك من ثورة الغضب ما يشغلك عنه فقال اني لما تقول واع فقال اسرورك بمودته كان اطول ام غمك بذنبه قال بل سروري قال الحسنات عندك اكثر ام سياته قال بل حسناته قال فاصفح بصالح ايامك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه واطرح مونة الغضب والانتقام منه ولعلك لا تنال ما املت فتطول مناحة الغضب وانت صاير الى ما تحب

الباب السادس والعشرون

في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان

قد ذكرنا الخصال التي تجري من المملكة مجرى الاساس من البنا ونذكر الآن من الخصال التي تجري من المملكة مجرى التاج والطيلسان من حسن الهيئة والكمال فاصلها وقاعدتها العفو قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال لا ادرى حتى اسال العالم فمضى فذهب جبريل ثم عاد فقال يا محمد ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك واعلموا ارشدكم الله ان الله تعالى امر بالعفو وندب اليه وذكر فضله وحث عليه ووصف به نفسه فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاوجب الله تعالى محبته للعافين واثنى عليهم بالاحسان فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعزايم الامور من صفات المصطفين من الرسل عليهم السلام فقال سبحانه واذا ما غضبوا هم يغفرون فاستعطف الخلق وندبهم الى الاحسان وان يعفوا عن الجناة والظالمين والخاطين كما يحبون ان يفعل الله تعالى بهم فقال فمن انتصر ولم يعف ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطا وازال العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المستوفين فقال سبحانه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين وهذا نص لا يحتمل التاويل وتحقيق القول في ذلك ان الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله احب الينا من عدله لانه ان عدل علينا فاخذنا بحجته هلكنا وان عفا عنا برحمته تخلصنا ولو كان العدل يسع الخلق لما قرنه الله تعالى بالاحسان فلما علم ان في العدل استقصا ومناقشة وذلك مما تضيق عنه النفوس وتحرج له الصدور بسط الاحسان بالعدل فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو رحمة من الله واحسان وايضا فان الانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على جواز الانتصار قوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها غير انه انما سميت سيئة لانها نتيجة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وانما هو كقول عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن في الحقيقة جهلا وعن هذا روت عايشة رضي الله عنها ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط غير انه كان اذا انتهك شي من محارم الله فلا يقوم لغضبه شي وروي انه ينادي مناد يوم القيمة من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا في الدنيا فان عفوت ايها الطالب كان اجرك على الله وان لم تعف كان حقك على من ظلمك ولان يكون اجرك في ضمان الله اوثق من ان يكون من قبل مخلوق وايضا فانك ان لم تعف نلت حقك بلا زيادة عليه وان عفوت كانت حسنة اسمها لاحقك والله تعالى يقول من جا بالحسنة فله عشر امثالها وقال رجل لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رايت احدا يا امير المومنين ظلم ظلمك ولا انتصر نصرك ولا عفا عفوك وشفع الاحنف بن قيس في محبوس الى السلطان فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريا فالعدل يسعه وقيل لبعض الكتاب ان يزيد امير المومنين بلغ امير المومنين عنك امر فقال لا ابالي فقيل له ولم لا تبالي قال ان صدق القايل فسعني عفوه وان كذب الناقل فسعني عدله ولما دخل عيينة بن حصين على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر وهم ان يوقع به فقال له ابن اخيه يا امير المومنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما وقال ارحم ترحم وكان يقال اولى الناس بالسلطان احقهم بالرافة والرحمة وفي الانجيل افرح اهل الرحمة لانهم سيرحمون وقال سليمن بن داود عليهما السلام لقد بغض الله المنشرعين الى صدري لدما اتهمت القسوة والغلظة والتباعد من الرحمة ولما تمكن داود عليه السلام من قاتل جالوت ابقى عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه وقال رب عظم دبي في اعين اعداي كما عظمت في عيني مرعدوي وكدت تخلصني من جميع الهموم وقالت حكما الهند لا سود دمع انتقام ولا رياسة مع غرارة نفس وعجب وقالت الحكما ليس الافراط في شي اجود منه في العفو ولا هو في شي اقبح منه في العقوبة ولذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبة واعلم بانك ان تخطي في العفو في الف قضية خير من ان تخطي في الفعل في قضية واحدة وقال معاوية اني لا دبع نفسي ان يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكثر من حلمي وعورة لا يواريها ستري وقال المامون ليس على في الحلم مونة ولوددت ان اهل الجرايم علموا رايي في العفو فيذهب الخوف فتخلص لي قلوبهم وقال رجل للمنصور يا امير المومنين ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف ونحن نعيذ امير المومنين ان يرضى لنفسه اوكس النصيبين وان لا يرتفع الى اعلا الدرجتين فاعف عنا يعف الله عنك فعفا عنهم

وانشدوا

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر
احسن اليه وان اسا فانما * من ذي الجلال الحسيع ومنظر

وقال بعضهم لسلم بن قتيبة لما عفى عنه والله ما ادري ايها الامير اي يوميك اشرف ايوم ظفرت او يوم عفوت

وقال الشاعر

ما زلت في العفو للذنوب * واطلاق لجان بجرمه غلق
حتى تمنى العفاة انهم * عندك اسروا في القيد والحلق

ورفع الى انوشروان ان العامة تؤنب الملك في معاودة الصفح عن المذنبين مع تتابعهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن اطباء وليس معاودة الدا اياهم بما نعنا من معاودة العلاج لهم وقال عمر

بن عبد العزيز رضي الله عنه ما قرن شي الى شي افضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة وقال بعض التابعين المعاقب مستدع لعداوة اوليا المذنب والعافي مستدع لشكرهم او مكافاتهم ايام قدرتهم ولان يثني عليك باتساع الصدر خير من ان تنسب الى ضيقه واقالة العثرة موجبة اقالة عثرتك من ربك وعفوك عن الناس موصول بعفو الله عنك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى والله يحب العافين وقال المنصور عقوبة الاحرار التعريض

وقال المامون

لما رايت الذنوب جلت * عن المجازاة بالعقاب
جعلت فيها العقاب عفوا * امضى من الضرب للرقاب

وقال الاحنف بن قيس احزال العرب بينه الفضل ما لم يعد العفو صيها والبذل اشرفها وقالت الحكما اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت وقال بعض الحكما اقبل العذر وان كان مصنوعا الا ان يكون ممن اوجبت المروة قطيعته او يكون في قبول عذره تشجيعه على المكروه او عونه على الشر فان قبول العذر فيه اشتراك في المكروه والمنكر ولما دخل الفيل دمشق حضر الناس لرويته وصعد معاوية على علية له مطلعا فبينما هو كذلك اذا بصر في بعض الحجر في قصره رجلا مع بعض حرمه فاتى الحجرة ودق الباب فلم يكن في الحجرة بد من فتحه فقال يا هذا اني في قصري وتحت جناحي افتك حرمي وانت في نفسي ما حملك على ذلك فبهت الرجل وقال حلمك اوقعني قال له معوية فان عفوت عنك تسترها علي قال نعم فخلى سبيله وهذا في الحلم العظيم والحلم الواسع ان يطلب الستر من الجاني وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم * وتذنبون فناتيكم فنعتذر

واتي موسى الهادي برجل قد جنى جناية فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال الرجل ان اعتذاري مما تقرعني به رد عليك واقراري بما ذكرت ذنبا ولكني اقول

فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر

فامر باطلاقه وقال المهلب لا شي ابقا للملك من العفو فان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العفو لم توحشه الذنب وان عظم حتى يضطرها ذلك الى المعصية وان خشيت منه العقوبة اوحشها الذنب وان صغر ومن الحكمة البالغة في هذا قول سابور وقد جمع اولاده فقال يا بني ان اعجزكم ان تملئوا قلوب الرعية حبا فاملئوها خوفا وليس ذلك بان تحل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تنحيلها لمن يستحقها وفي هذا المعنى قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وهذا المعنى لا يخل عما اوجبناه وهو معنى قول سابور ولا يخالف ما قررناه من حسن العفو بل هو محمول على الواجب المستحق وعلى ما في تركه اغرا بركوب امثاله فهنا يكون العفو مفسدة يا ايها المعاقب اذا اقمت على مذنب عقوبته فلا تكن كالمتشفي المتلذذ بعذابه لانك واياه اخوان لاب وام او موحدين لم تفضله بجدك ولا بقوتك بل بما افضلك الله به تطولا فاذكر لو كنت في مقامه وكان في مقامك ولا تامن تقلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم ولا ينظر في العواقب واحذر التفريط والتقصير واتهم نفسك بذنب اقم العقوبة وليكن عقابك مقدرا كما كان عطاوك مقدرا وليكن عقابك للتقويم لا للالم والزجر لا للهو وعن هذا قال بزرجمهر لا ينبغي للملوك ان يكرموا احدا بهوان من ليس للهوان اهلا ولا ان يهينوا احدا بكرامة من ليس للكرامة اهلا لا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا على البخل اسرع منك الى البذل

قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كانه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما

فليس يُبالي ان يكون به الاذى ۞ اذا ما الاذى بالكره لم يغش مسلما

وقال سليمان بن داود عليه السلام التنكيل والعقوبة امنية الملك الشرير وعلى مثله يبعث الله ملكا
غير رحيم وقال معوية لا ينبغي للملك ان يظهر منه غضب او رضي الا ثواب او عقاب وقال اردشير
فضل الملك على السوقة انما هو بقدرته على اقتنا المحامد واستفادة المكارم فكلما استكثر منها بان فضيلته
واستحقاقه لموضعه من الولاية عليهم وكلما انتقص منها قرب من السوقة وقال المامون اني لاجد للعفو لذة
اعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك او اهان على ظن بغير يقين ادخل على نفسه من قبح الخطا في
الراي اعظم مما ادخل على صاحبه في العقوبة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما
ظفر من ظفر بالاثم وقيل لافلاطون اي شي من افعال الناس يشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان للناس
وقال الحليم الحلم تمام السعة والعفو زكاة الفضل وقال الحكيم السيد الذي لا يشوب حسن الظفر
بقبح الانتقام وخير مناقب الملوك العفو وكان يحيى بن معاذ يقول سبحان من اذل العبد بالذنب واذل
الذنب بالعفو الهي ان عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهي ان كنت لا ترضى الا عن اهل طاعتك
فكيف يصنع الخاطيون وان كان لا يرجوك الا اهل وفايك فمن يستغيث المستغيثون قال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن ۞ بقدر الحلم ينتقم الحليم

وروي ان الحجاج اخذ قطري بن الفجاه فقال لاقتلنك فقال ولم قال لخروج اخيك علي فقال ان معي كتاب
امير المومنين ان لا تاخذني بذنب اخي قال هاته قال فان معي اوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى فتعجب من جوابه وخلا سبيله ولما وفد عقيل بن ابي طالب على معوية امر له بماية الف درهم فلما
اراد الانصراف راى في الطواف جارية باربعين الف درهم فرجع الى معاوية فاخبره قال وما تصنع بها
قال تلد لي غلاما فان اغضبتني يضرب عنقك بالسيف فامر له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم
قدم مسلم الشام فابتاع منه معوية ضيعة فبلغ الحسين بن علي الخبر فكتب الى معوية انا لا نجيز بيع مسلم
فارسل معوية الى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يامر برد المال فقال مسلم اما دون ان اضرب عنقك
بالسيف فلا فضحك معوية وقال والله لقد تهددني ابوك قبل ان تشتري امك وسوغه المال فقال
الحسين حين بلغه غلبنا معوية جودا وكرما وحلما

الباب السابع والعشرون
في المشاورة والنصيحة

وهذا الباب مما يعده الحكما من اساس المملكة وقواعد السلطنة ويفتقر اليه الرئيس والمرؤس
وقد ذكرنا في باب الصفات العرفانية ونذكر ههنا فوايدها ومحاسنها اعلموا رحمكم الله ان المستشير
وان كان افضل راي من المشير فانه يزداد برايه رايا كما تزداد النار بالسليط ضوءا ولا يقذفن في روعك
انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى راي غيرك فيمنعك ذلك عن المشاورة فانك لا تريد
الراي للفخر به ولكن للانتفاع به وان اردت الذكر كان احسن الذكر واحسن عند ذوي الالباب ان يقولوا لا ينفرد برايه دون ذوي الراي من اخوانه ولا يمنعك عزمك على انفاذ رايك وظهور صوابك لك
عن الاستشارة الا ترى ان ابرهيم عليه السلام امر بذبح ولده عزمة لا مثنوية فيها فحمله حسن الادب
وعلمه بوقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال لابنه فانظر ماذا ترى وهذا من احسن ما يرسم في هذا الباب

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الراي المفرد كالخيط السحيل والرايان كالخيطين والثلاثة الاراء لا تكاد تنقطع
وروي ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسي نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومي ونحن لا نملك علينا
من لا يشاور وقال بزرجمهر اذا اشكل الراي على الحازم كان بمنزلة من اضل لولوة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها
فوجدها كذلك الحازم يجمع وجوه الراي في الامر المشكل ثم يقرن بعضها ببعض حتى يخلص لها الصواب وكان
يقال من كثرت استشارته حمدت امارته وفي حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد براي الوزراء
الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والراي ما لا ينال له بالقوة والجند ولم يزل حزمة الرجال
يستحلون مرارة النصحا كما يستحلي الجاهل المساعدة على الهوى وقال المامون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق
المخلوع يعني اخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب يبيح من نفسه ما انفته همم الحرام ولا يصغي الى
نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برايه فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما يهتم به قال وكيف كانت حروبه
قال يجمع الكتاب بالتذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المامون لذلك ما حل محله اما والله لو ذاق لذاذة النصايح
واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهوته ما ظفر به وقال بعضهم انفاذ الملوك الامور بغير روية
كالعبادة بغير نية ولم تزل العقلا على اختلاف مذاهبهم يشهدون بالعيوب ويستشيرون صواب الراي من كل احد
حتى الامة الوكعا هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وكان يقال من اعطي
لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة
ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب وقال بعضهم خمير الراي خير من فطيره وتاخيره خير من تقديمه وذكر صاحب
التاج ان بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال احدهم لا ينبغي للملك ان يستشير منا احدا الا خاليا فانه
اموت في السر واحزم في الراي واجدر للسلامة واعفى لبعضنا من غايلة بعض وكان بعض ملوك العجم اذا شاور
مرازبته فقصروا في الراي دعا الموكلين بارزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطي مرازبتك فنعاقبنا فيقول لهم لم يخطيوا الا
لتعلق قلوبهم بارزاقهم واذا اهتموا اخطاوا وكانوا اذا اهتموا بمشاورة رجل بعثوا اليه بقوته وقوت عياله
سنة ليتفرغ له وكان يقال النفس اذا احرزت قوتها اطمانت واذا شاورت فاصدق الخبر بصدقك المشورة
ولا تكتم المستشار فتوتى من قبل نفسك وقال بعض ملوك العجم لا يمنعك شدة باسك في باطنك وعلو مكانك
في نفسك من ان تجمع الى رايك راي غيرك فان اصبت حمدت وان اخطات اعذرت فان في ذلك خصالا منها ان وافق
رايك راي غيرك ازداد رايك شدة عندك وان خالفه عرضته على نظرك فان رايته معيارا لما رايته قبلته
وان رايته متضعا عنه استغنيت وذلك انه يجدد لك ممن شاورته حظا ويحصل لك مودته وان قصر ولو لم يكن
في فضيلة المشاورة الا انك ان اصبت مستبدا برايك ضيعت فضيلة الاصابة بالسنة الحسدة فقال قايل
هذا اتفاق ولو فعل ذلك كان احسن واذا شاورت فاصبت حمد الجماعة رايك لانهم لنفوسهم يحمدون وان اخطات
حمل الجماعة خطاك لانهم عن نفوسهم يكافحون واعلم ان القول الغليظ يسمع لنفل عاقبته كما يتكاره على شرب
الدوا الفضل مغبته وقال اعرابي ما عثرت قط حتى عثر قومي قيل له وكيف ذلك قال لا افعل شيا حتى اشاورهم
وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم يا بني عبس قال نحن الف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكانا الف حازم
وكان ابن هبيرة امير البصرة يقول اللهم اني اعوذ بك من صحابة خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشيره
وفي حكم الهند من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الاطبا عند المرض ومن الفقها عند الشبهة اخطا
الراي وازداد مرضا وحمل الوزر وقالت الحكما لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثيرا القعود مع النسا ولا
صاحب حاجة يريد قضاها ولا خايفا ولا من يرهقه احد السبيلين وقالوا الاراي لحاقن ولا لحازق ولا

كاقب ولا يُشا ورْ من لا تبوع عنده والحازق هو الذي ضغطه الخف الضيق والحاقب الذي يجد في بطنه ر
رزًا وقالوا من شكى الى عاجز اعاره عجزه وامده من جزعه ومن لطيف الاشاره ان زياد بن عبد الله الحارثي
استشار عبيد الله بن عمر في اخيه ابي بكر ان يوليه القضا فاشار به فبعثا الى ابي بكر فامتنع عليه فبعث زياد
الى عبيد الله يستعين به على ابي بكر فقال ابو بكر لعبيد الله انشدك الله اترى لي القضا قال اللهم لا فقال
زياد سبحان الله استشرتك فاشرت علي به ثم اسمعك تنهاه فقال ايها الامير استشرتني فاجتهدت لك رأيي
ونصحتك ونصحت المسلمين واستشارني فاجتهدت له الراي ونصحته ويروى ان الحجاج بعث الى المهلب يستعجله
حرب الازارقة فكتب اليه المهلب ان من البلا ان يكون الراي لمن يملكه دون من يبصره فصل في النصيحة
اعلموا ان النصح للمسلمين والخلايق اجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم
نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال شعيب النبي عليه السلام ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين
وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قيل
لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم والنصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح
والملاءمة ماخوذة من النصاحة وهي السلوك التي يخاط بها وتصغيرها نصيحة يقول العرب هذا قميص منصوح اي
مخيط ونصحته نصحا اذا خطته ويختلف النصح في الاشيا لاختلاف الاشيا والنصح به هو وصفه بما هو اهله وتنزيهه
عما ليس باهل له عقدا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والتباعد عن
مساخطه من الطاعة ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا وارادة بث جميع ما ذكرناه
في عباده والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه واستعمال له والذب عنه
من تاويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعلم ما فيه الخلايق اجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم موازرته ونصرته والحماية من دونه حيا وميتا
واحيا سنته بالطلب واحيا طريقته في بث الدعوة وتاليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة
للايمة ومعاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا
وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم باخلاق عما لم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم
في جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم
وتفريج كربهم ودعوتهم الى ما يسعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوساوس عليهم ومن النصيحة للمسلمين
رفع مونة نفسه وبدنه وحوايجه عنهم قال الاصمعي لقط عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواة من الطريق فامسكها
بيده حتى مر بدار قوم فالقاها في الدار وقال تاكلها دابة والنصح لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الاسلام
بالقول ويحذرهم سوء عاقبته السلطان الكفر ان السيف ان كان ذا سلطان ويكفهم عن قتل المسلمين فيكونون ذمته
والا فالقتل نصحا لله لاقامة امره فيهم وروي معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل عليهن
قلب مسلم العمل لله ومناصحة ولاة الامر والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورايهم وقال جابر
بن عبد الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم وروى
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن عبد حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه وقال ابو الدرداء
العلم يبلغه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة لله سبحانه لا تثبت الا في قلوب المنتخبين الذين
سمع عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اولوا العزم وكان عمر بن الخطاب

رضي الله

رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز قل لي في وجهي
ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وقال مالك النصيحة تنفي من القلب الغل الذي بعث به الانبيا
ومن امر الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله تعالى في امورهم فالنفوس مستثقلة للنصح نافرة عن اهله مايلة
الى ما وافق هواها وفي منثور الحكمة احلك من نصحك وقلاك من مشى في هواك وللثعالبي في نشر من احبك
نهاك ومن ابغضك اغراك وكان يقال اخوك من احتمل ثقل نصحك وقال بعضهم

عرضت نصيحة مني ليزيد ❊ فقال غششتني والنصح مر
وما لي ان اكون نصحت زيدا ❊ وزيد طاهر الاثواب بر
ولكن قد اتاني ان زيدا ❊ يقال عليه في نعماء شر
فقلت له تجنب كل شيء ❊ يقال عليه ان الحر حر

وقال اخر

وعلى النصوح نصيحتي ❊ وعلى عصيان النصوح

وقال القطامي

ومعصية الشفيق عليك مما ❊ يزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه ❊ وليس بان تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم ❊ انا النذير فلا يغرركم احد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ❊ الا الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ❊ والخلد قد حاولوا عاد فما خلدوا

وقال وهب بن منبه انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه وقالت الحكما لا تنصح امرا لا ينصح نفسه
وقال بعضهم رايي وَرايك في المعرفة امثل لنفسك من رايك لانه خلي من هواك وقال ابو الدرداء ان شئتم
لانصحن لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون في الارض نصحا وروي ان رجلا لطم عمر
بن ادهم رحمه الله فرفع راسه الى السما وقال الهي انك تثيبني وتعاقبه فلا تثيبني ولا تعاقبه ومن الخصال
التي تجري مجرى الايمان تمام الحلم

الباب الثامن والعشرون
في الحلم

قال الله تعالى ان ابرهيم لحليم اواه منيب وقال فاصفح الصفح الجميل وقال علي رضي الله عنه الصفح الجميل
الرضا بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الذي لا توبيخ فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة كاد الحليم ان يكون
نبيا ويروى ان رجلا قال يا رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي فانسى قال لا تغضب واعلم ان الحلم اشرف
الاخلاق واحقها لذوي الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد واحق الناس به السلطان لانه منصوب
لاقامة اود الخلايق وممارسة اخلاقهم ولا يطيقون به في حال سلمهم وانما يغشون بابه في حال تنازعهم وخصومهم
وشرورهم وتكدر نفوسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم والا وقع تحت حمل ثقيل وكان
انوشروان ذا حلم واناة وكان يقول في خصلتان لو لا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا يعني
الحلم والاناة وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام لقي عيسى بن مريم عليهما السلام فقال يا روح الله اخبرني

باشد الاشيا في الدارين قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينجيني من غضب الله تعالى قال ان تترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو الغضب قال التعزز والتكبر والفخر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجبت محبة الله على من غضب فحلم والذي يجمله يضرب المثل في هذا الباب قصة اسحق عليه السلام قال له ابرهيم عليه السلام اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تومر ستجدني ان شا الله من الصابرين ثم تله للجبين وامر على حلقه بالسكين فلم يقل الا خيرا فقال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم وفي الاخبار يقول ابليس لعنه الله ان الحديد من الرجال لم اياس منه وان كان يحيي الموتى بدعايه فانه ياتي عليه ساعة فيحتد فيها فنصل فيه الى ما نريد ويروى ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا امير المومنين انك انما تغضب لله تعالى فلا تغضب له باكثر من غضبه لنفسه واعلم ارشدك الله ان هذه الكلمة لا يتبينها والله اعلم حق يجعل رسالته لانك اذا كنت ايها السلطان انما تتصرف في ملك الله تعالى بامر الله فالله سبحانه قد حد حدودا وشرع شرايع واقام فرايض وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قد رتب كل خصلة حدا محدودا ونهى ان يتجاوز ذلك الحد ولا يقتل من استحق القطع والحبس والادب ولا يحبس غير من استوجب وكانت الخلفا يودبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من ذوي المروات اقيلت عثرته ولم يقابله بشي لقول النبي صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيات عثراتهم ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته فكان يقام قايما في مجلس يجلس فيه نظراوه فيكون هذه عقوبته واخر يشق جيبه واخر تنزع عمامته من راسه واخر يكلم بالكلام الذي فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم اذا اخل الرجل منهم بثغره نزعت عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا اخل بثغرة فلما ولي زياد ضربهم ونزع عمايمهم فلما ولي مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رووسهم فلما ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم مدت ايديهم وسمرها بالمسامير ثم نزع الكراسي من تحت رجليهم حتى يخر من يديه فمن ميت ومن حي فلما ولي الرجل المعروف بالحجاج قال كل من هولاء يلعب فمن اخل بثغرة ضرب عنقه وقال ارسطاطاليس النفس الذليلة لا تجد الم الهوان والنفس الشريفة يوثر فيها من الكلام اليسير وفيه قال المتنبي

من يهن يسهل الهوان عليه • ما لجرح بميت ايلام

واعلم ان من تجاوز بالعقوبة فوق ما حد الله تعالى فقد شارك المذنب في الذنب واستوجب ما استوجب المجرم من العقوبة ويتبين بالخصم انه انما يعاقب للهوى والتشفي اذا غضب لله تعالى وفي كتاب سليمن بن داود عليهما السلام القاهر لنفسه اشد من فاتح المدينة ومن جودها وحماها ويقتل ابطالها ثم تغلبه شهوته ويبقى اسيرا في الهواه قد قهرته قينة بطنبورها او قدح خمر يذهب بعقله وقال اكثم بن صيفي الصبر على جرع الحلم اعذب من جنا ثمر الندم وسال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كبيرا من كبرا فارس عن احمد ملوكهم عندهم فقال للاردشير فضل السبق غير ان احمدهم سيرة انوشروان قال فاي اخلاقه كان اغلب عليه قال الحلم والاناة فقال علي هما توامان ينتجهما علو الهمة ومن محمود السيرة ان يعرف الناس من اخلاقك انك لا تعجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخايف ورجا الراجي وقال محمود الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب • وان عظمت منه علي الجرايم
فما الناس الا واحد في ثلاثة • شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف فضله • واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن • اجابته نفسي وان لام لايم

واما

واما الذي مثلي فان زل او هفا • تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول اسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقدن من حطبك جمرة الغضب واردد سانه بالحلم فان شجر الحجر اذا الحت عليه الرياح تحاكت اغصانه فتشتعل نارا او تحترق من اصولها فيكون منها الحطب بلا شك وقال عمر بن عبد العزيز ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر عفا وكف وسيل جعفر بن محمد عن حد الحلم فقال وكيف يعرف فضل شي لم يره كامل في احد وقال الاحنف بن قيس لابنه يا بني اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه فان انصف والا فاحذره

وقال الشاعر

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا • فمن قبل ان تبداه بالود اغضبه
فان كان في حال التغضب صابرا • والا فاصبر من حباله وتجنبه

وكان سلم بن نوفل سيد بني كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيفه فاخذ فاتي به اليه فقال له ما الذي فعلت اما خشيت انتقامي قال لم سودناك الا ان تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتحلم عن الجاهل وتحمل المكروه في النفس والمال فخلى سبيله فقال قايلهم

تسودوا اقواما وليسوا بسادة • بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب للحكم بن عوانة انما انت عبد فقال والله لاعطينك عطية ما يعطيها العبيد فاعطاه ماية راس من السبي ومن امثال العرب احلم اسد ويروي ان هشاما غضب على رجل من اشراف الناس فشتمه فوبخه الرجل فقال اما تستحي ان تشتمني وانت خليفة الله في ارضه فاستحيا هشام وقال اقتص فقال اذا انا سفيه مثلك قال فخذ ذلك عوضا من المال فقال ما كنت لافعل قال فهبها لله تعالى قال هي لله ثم لك فنكس هشام راسه وقال والله لا اعود لمثلها

وقال الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا • حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة • لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال اخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا • ولو اننا شينا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة • وعدنا على اهل السفاهة بالفضل

وقال هشام لخالد بن صفوان صف لي الاحنف بن قيس فقال يا امير المومنين ان شيت اخبرتك عنه بثلاث وان شيت باثنتين وان شيت بواحدة قال اخبرني عنه بثلاث فقال كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق اذا نزل به قال فاخبرني عنه باثنتين قال كان يوثر الخير ويتوقى الشر قال فاخبرني عنه بواحدة قال كان اعظم الناس سلطانا على نفسه وقال اكثم بن صيفي الغلبة والعز للحلم وقال الاحنف وجدت الحلم والاحتمال انصر لي من الرجال وصدق الاحنف لان من حلم كان الناس انصاره كما روي ان رجلا اسرع في شتم بعض الادبا وهو ساكت فحمي له بعض المارين في الطريق وقال له يرحمك الله الا انتصرت لك قال لا قال لم قال لاني وجدت الحلم انصر لي من الرجال وهل حاميت لي الا بحلمي وقال رجل لعمرو بن العاص والله لاتفرغن لك قال الان وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر ان رجلا ممن كان قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا انبح ضيف اهلي الليلة فعوى جراها في بطنها فبلغ ذلك نبيا لهم او قيل من انبيايهم فقال مثل هذا مثل امة يكونون بعدكم يقهر سفهاوها على حلمايها وقال الاحنف اياكم وراي الاوغاد قالوا وما راي الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وسيل الاحنف عن الحلم فقال هو الذي تصبر عليه ولست بحليم ولكني صبور ويروي ان المهلب

نازعه رجل من كبار بني تميم فاربى على المهلب والمهلب ساكت فقيل له في ذلك فقال كنت اذا سبني اسمعني من
سخف السباب ورغبت عن غلبة اللئام والسفلة وكان اذا سبني فضلل وجهه وسمت نفسه بان ظفر بنفسه القوم
وينبذ المروة وخلع ربقة الحيا وقلة الاكتراث بسوء الثنا **ومر المسيح** عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا
له شرا وقال لهم خيرا فقيل له في ذلك فقال كل ينفق مما عنده **وقال اكثم** بن صيفي من حلم ساد ومن تفهم ازداد ودون
النعمة لوم وصحبة الجاهل شوم ولقا الاخوان غنم والمياسرة يمن ومن الفساد اضاعة الزاد **وسب الشعبي**
رجل تتابع نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا تغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي **وقال**
رجل لابي بكر الصديق لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال ابو بكر معك والله يدخل لا معي **وقال** رجل
للاحنف بن قيس ان قلت لي كلمة لتسمعن عشرا فقال الاحنف لكنك لو قلت لي عشرا لم تسمع مني واحدة **ويروي**
ان رجلا سب الاحنف وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف فقال يا هذا ان كان بقي معك شي
فقله ها هنا فاني اخاف ان يسمعك فتيان الحي فيوذوك ونحن لا نحب الانتصار **وسب رجل** بعض الحكما
فقال له الحكيم لست ادخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب

وقال لقيط بن زرارة

فقل لبني سعد فمالي وما لكم • ترقون مني ما استطعتم واعتق	
اغركم اني باحسن سيرة • بصير واني بالفواحش اخرق	
وانك قد ساببتني فقرتني • هنيا مريا انت بالفحش احذق	

وقال رجل لابي ذر انت الذي نفاك معوية من الشام لو كان فيك خير ما نفاك فقال يا ابن اخي ان ورايي عقبة كؤودا
لا يتخطاها الا من خف فان نجوت منها لم يضرني ما قلت وان لم انج منها فانا شر مما قلت **وقال لقمن** لابنه يا بني
ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخو الا عند
الحاجة اليه **وسب رجل** بعض الحكما فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال له الحكيم وعنك اعرض وفي هذا المعنى

قيل بيت

قل ما بدا لك من زور ومن كذب • حلمي اصم واذني غير صما

وقيل يوما للاحنف ما احلمك فقال لست بحليم ولكني اتحالم والله اني لاسمع الكلمة فاحم لها ثلاثا ما يمنعني
من جوابها الا انا اسمع شرا منها **قال الشاعر**

وليس يتم الحلم للمرء راضيا • اذا كان عند السخط لا يتحلم	
كما لا يتم الجود للمرء موسرا • اذا كان عند العسر لا يتجشم	

ويروي ان رجلا سب جعفر بن محمد فقال اما ما قلت مما هو فينا فانا نستغفر الله منه واما ما قلت
ليس فينا فانا نكلك فيه الى الله تعالى **وقال** بعض الحكما احذروا الغضب فرب غضب استحق الغضبان به
غضب الله تعالى **وقال** اكثم بن صيفي لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه لضعيف مستذل
ولا يكون مصلحا حتى يقول الاحمق انه لمفسد ومن اشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا • اصبت حليما او اصابك جاهل

ووصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طاير **وقال اعرابي** ان الغضب عدو العقل ولذلك يحول بين صاحبه
وبين العقل والفهم **قال** صعصعة بن صوحان الغضب مقدحة العقل فربما اصلد وربما ازند **وقال**
اعرابي اذا جا الغضب تسلط العطب وكان ابن عون اذا غضب على احد من اهله قال سبحان الله بارك الله فيك

وقال الاصمعي دفع اردشير الى رجل كان يقوم على راسه كتابا وقال اذا رايتني اشتد غضبي فادفعه الي وكان
فيه اسكن فلست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب **وهذه**
السيرة اول من سنها ملك تبع امر ان يكتب في كتاب اسكن فلست باله وقال لصاحبه اذا غضبت اعرضه علي
فكان اذا غضب اعرضه عليه فاذا قراه سكن غضبه **وقال معاوية** افضل ما اعطي الرجل الحلم فاذا ذكر ذكر
واذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر واذا غضب كظم واذا قدر عفا واذا اسي استغفر واذا وعد انجز **وفي الحكمة**
مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامة ومن عصى الحق غمره الذل **وقال** بعض الحكما كظم الغيظ حلم والحلم
صبر والتشفي ضرب من الجزع **وقال الخرا** اول الغضب جنون واخره ندم **وقال** بعض الحكما اذا غلبت على الرجل
اربع خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب **وقيل** لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك
فقال لاغيظن من امره يغفر الله لي وله وقيل ومن امره قال الشيطان **وقال** رجل لاخيه اني مررت بفلان
وهو يقع فيك وبين كراشيا رحمتك منه قال الفضل سمعتني اذكره بشي قال لا قال فاياه فارحم **وقال الفضيل**
ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصايم والمسافر **وقال** الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن
عاصم المنقري انني لجالس معه في فناء وهو يحدث اذ جا نجماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل ماسور فقيل
هذا ابنك قتله اخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم انشا يقول

اقول للنفس تانيبا وتعزية • احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه • هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

ثم قال لابنه قم فاطلق عمك ووار اخاك وسق الى امه مائة من الابل فانها غريبة ومن امثل بيت قالته
العرب

قول بعضهم

فضح يبلحير خرس بالخنا • رجح الاحلام ذيال الازر

وقال غيره

باحلام عاد لا يخاف جليسهم • اذا نطق العورا اعرب لسان
اذا احدثوا لم يخش سوء استماعهم • وان حدثوا ادوا بحسن بيان

وقال المسيح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع
لله تعالى **وقيل للاسكندر** ان فلانا وفلانا ينتقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما قال هم بعد العقوبة
اعذر في ثلبي وتنقيصي **ويروي** ان جرير بن عبد الله بينما هو راكب قد اردف ابنه اذ لقيه رجل فنال منه
وجرير ساكت فلما ولى قال له ابنه لم يا ابت سكت عنه قال يا بني اوسع جرحي **وقال** بعض الحكما ما اشفى
غيضي حين اقدر فيقال لو عفوت او حين اجهل فيقال لو صبرت **وسيل** بعض اصحاب الاحنف اكان الاحنف
يغضب قال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغيظه الشي فيتبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يتصبر
ويحلم ومن لم يغضب من الاشيا التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضايل الشجاعة والانفة والحمية
والدفاع والاخذ بالثار والغيرة لان هذه الخصال نتايج الغضب فمن فقد الغضب فقد الشجاعة
وعند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن المهانة يكون سفساف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى
لسائر فضايله موضع **وكان يقال** من لا يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب **وكان**
الشعبي يقول الجاهل خصم والحليم حاكم **قال الشافعي** رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار
ومن استرضي فلم يرض فهو جبار **وقد كان** النبي صلى الله عليه وسلم يغضب ولكنه انما يغضب لله

لا لغضبه بل عند انتهاك حرمات الله تعالى واعلم ان الله سبحانه ما مدح من لم يغضب وانما مدح من كظم
الغيظ فقال والكاظمين الغيظ وقد انشد النابغة الجعدي بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الجهل اصدرا

فلم ينكر عليه السلام قوله وكان ابن عمر اذا ما استتبع سفيها ويقول يستدفع به شر السفهاء

الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن الغضب

فاول ذلك انك اذا نظرت الى تغير اشكالك وتبدل صورتك واحمرار وجهك وانتفاخ اوداجك وذهاب حيائك وسقط كلامك وفحش ما يخرج من فيك لامسكت عن الغضب ولطالما كنت تستحيي ان تتكلم بين يدي الجلساء بيسير الجائر فعدت تهذر بالكثير الفاحش ولو ان من غضب استذكر اذا صحى وسكن غضبه انقلاب صورته وتغير وجهه واضطراب شفتيه وارتعاد اطرافه وسقط كلامه وفحش خطابه والتفاف لسانه واختلاط عقله وطيشه ووثوبه في مجلسه كانه نمر وسرعة التفاته يمينا وشمالا كانه قرد وعدم فهمه لما يسمع كانه بهيمة وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه كانه احمق ومن شؤم الغضب وعظم بليته انه قد يقتل النفوس ويسلب الارواح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك انه وقع بينه وبين اخيه سليمن كلام فعجل عليه سليمن فقال يا ابن ... فتح فاه ليجيبه واذا بجنبه عمر بن عبد العزيز فامسك على فيه ورد كلمته وقال يا ابن عبد الملك اخوك وامامك وله السن عليك فقال يا ابا حفص قتلتني قال وما صنعت بك قال رددت في جوفي احر من الجمر ومال لجنبه فمات ولعمري قد تزيد على الجفا ومنها ان ينتقل عن الحالة التي كان عليها الى غيرها كانت العرب تقول اذا غضب القايم فليجلس واذا كان جالسا فليقم ولهذا المذهب كان المامون يواخذ نفسه وروى ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك الطوايف اذا غضب القى بين يديه مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه وكان عكرمة يقول في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعني اذا غضبت فانه اذا ذكر الله تعالى خاف منه فيزول غضبه وفي التورية ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ولا امحقك فيمن امحق ومنها ان يتذكر نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته عند ابنا جنسه وصغرهم لمقابحه وطيشه وتحفظه فيكون ذلك سببا لزوال الغضب ومنها ان يتذكر انعطاف القلوب اليه وانطلاق الالسنة بالثنا عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين وان السفه ذل وشين روي ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله تعالى وقال بعض الحكما من ذكر قدرة الله تعالى لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله وكتب بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب مالك وللغضب انما انت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السما وكان معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا مالت دواعي الهوى * وانصت السامع للقايل
واعتلج الناس بالبابهم * نقضي بحكم عادل فاصل
نخاف ان يسفه احلامنا * فنجهل الدهر مع الجاهل

وقال بعض البلغا اياك وعزة الغضب فانها تفضي الى ذلة العذر وقال الشاعر

واذا ما اعترتك في الغضب العزه * فاذكر تذلل الاعتذار

وقال غيره

زريا على غير الفواحش قصده * ولم يستجز الا الذي هو اجود

وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهرون يا امير المومنين اسالك بالذي انت بين يديه اذل مني بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي الا ما عفوت عني فعفا عنه لما ذكره قدرة الله عليه وقال رجا بن حيوة لعبد الملك بن مروان في اسارى بني الاشعث ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو وقال المامون لعمه ابرهيم بن المهدي وكان مع اخيه عليه اني شاورت في امرك فاشاروا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك فقال يا امير المومنين ان المشير اشار عليك بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وانشا يقول

البر بي منك وطى العذر عندك لي * مما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي * مقام شاهد عدل غير متهم

وقال بعض الحكما الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم ومنها ان يتذكر ما يول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام وشروع القصاص في بدنه بين يدي من لا يرحمه فان ذلك مما يزعه عن غضبه

الباب الثلاثون
في الجود والسخاء

وهذه الخصلة العظيم قدرها الجليل موقعها الشريف موردها ومصدرها وهي احد قواعد المملكة واساسها وتاجها وبها تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع لها الجبابرة وتسترق بها الاحرار وتستمال بها الاعدا وتستكثر بها الاوليا وتحسن بها الثنا ويملك بها القربا والبعدا ويسود بها في غير عشايرهم الغربا وهذه الخصلة بالعزايم الواجبات اشبه منها بالجمال والمتمات وكم قد راينا من كافر ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغا عرض من الدنيا نيل له وكم قد سمعنا من مسلم ارتد في ارض الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا والخلق بخصلة يترك بها الانسان دينه الذي يبذل دونه نفسه ان تكون جليلة القدر عظيمة الخطر واحوج خلق الله اليها اقدرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاه واعلموا يا معشر من وسع الله عليه دنياه واسبغ الاه عليه ونعماه انه ليس في الجنة بخيل وحسب البخيل انه لا تدخل الجنة سقوطا وضعة وانما استاجنة على ما تشتهيه الانفس وتلذ به الاعين وهذه الخصلة اعني الجود والكرم والسخا والايثار بمعنى واحد ويوصف الباري تعالى بالجود ولا يوصف بالسخا لعدم التوقيف وحقيقة الجود ان لا يصعب عليه البذل ويقال السخا هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى البعض وامسك البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن اثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار وقال ذو النون بداية السخا ان تسخو نفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو بما في ايدي الناس وان لا تبالي من اكل الدنيا تذاكر قوم من الزهاد عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون

الدنيا ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من احب شيا اكثر من ذكره واقل السخا هو السماحة وان تاتي بما بيه عن طيب
نفس وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطا وان منع ولهذا قال
علماونا ان الله تعالى لم يزل جوادا في الازل وان لم يقع منه عطا في الازل والعطا فعل والفعل في الازل مستحيل
وقالت الحكما ايها الجامع لا تخدعن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو قال الله تعالى ويوثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال ابو هريرة جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جايع
فاطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم يلتمس شيا من عند اهله فقلن والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الما فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة
فقال رجل من الانصار انا يا رسول الله فحمله الى منزله وقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكرميه ولا تدخري عنه شيا فقالت ما عندنا الا قوت الصبية قال قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم اسرجي
وابرزي فاذا اخذ الضيف ليأكل قومي كانك تصلحين السراج فاطفيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ففعلت وجعلا يمضغان السنتهما والضيف يظن انهما ياكلان وباتا طاويين فلما اصبحا نظر
النبي صلى الله عليه وسلم لهما وتبسم وقال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزلت ويوثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة وقال انس اهدي لبعض الصحابة راس شوية وكان مجهودا فوجه بها الى جاره فوجه بها
الجار الى اهل بيت اخر فتداولته سبعة ابيات حتى عاد الى الاول فنزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال حذيفة العدوي انطلقت يوما اليرموك لطلب ابن عم لي في القتلى ومعي شي من ماء وانا اقول ان كان به رمق
سقيته فاذا انا به بين القتلى فقلت له اسقيك فاشار ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق اليه فاذا
هو هشام فقلت اسقيك فسمع اخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجيت اليه فاذا هو قد مات ورجعت
الى هشام فاذا هو قد مات ورجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وروت عايشة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم
السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب
من النار ولجاهل سخي احب الى الله من العابد البخيل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن ادم ليس لك
من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او اعطيت فامضيت واعلم ان السخا على وجوه سخا في الدين
وسخا في الدنيا فالسخا في الدنيا البذل والعطا وسماحة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون
وعلامته ترك الادخار وبغض جمع المال وتعاهد الاخوان مسرور قلبه بذلك والسخا في الدين ان تسخو نفسك
ان تتلفها في الله تعالى وتريق دمك سماحة في الله من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كان غير
مستغن عن الثواب لان الغالب على قلبه حسن كمال السخا بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك ما الاحسن
ان تختاره وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد اذا سيل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة
لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسايه من افضل الناس عيشا واطيبهم بالا واكرمهم
طباعا واجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقال فتى ابيت اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت
وقال الحسن باع طلحة بن عمار ارضا بسبع مائة الف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدري
ما يطرقه لغرير بالله ثم جعل رسوله يختلف حتى قسمها وما اصبح وعنده منها درهم وكان اسما بن خارجة يقول
ما ارد احدا عن حاجة لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان ليما اصون عنه عرضي وكان مورق العجلي يتلطف
في ادخال الرفق على اخوانه فيضع عند احدهم الف درهم ويقول امسكوها حتى اعود اليكم ثم يرسل اليهم فيقول
انتم منها في حل وقال العتبي اعطى الحسن بن الحكم بن عبد المطلب جميع ما عنده فلما فرغ ما عنده ركب فرسه

واخذ

واخذ رمحه يريد الغزو ومات بمنبج فاخبرني رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق لا شي معه فاغنانا
قيل اليك اغناكم وهو مملق فقال ما اغنانا بماله ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا واكرم العرب
في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فساله برحم بينه فقال هذا حايطي بمكان كذا وكذا وقد اعطيت به ستمائة الف
درهم فراح له بالعشي بالمال وقال ان شيت فالمال وان شيت فالحايط وروي ان رجلا بعث الى جبلة بجارية
فوافاه بين اصحابه فقال قبيح ان اخذها لنفسي وانتم حضور واكره ان اخص بها احدا منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه
لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية او وصيف وقيل لقيس بن سعد هل رايت قط اسخا
منك قال نعم نزلنا بالبادية على امراة فحضر زوجها فقالت انه قد نزل بك ضيفان فجا بناقة فنحرها وقال شانكم
فلما كان من الغد جا باخرى فنحرها وقال شانكم فقلنا ما اكلنا من التي نحرت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم ضيفاني
البايت فبقينا عنده اياما والسما تمطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا
للمراة اعتذري لنا منه ومضينا فلما طلع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللئام اعطيتموني ثمن القرى
ثم انه لحقنا وقال لتاخذوها والا طعنتكم برمحي فاخذناها وانصرف وقال ميمون بن مهران من طلب مرضاة
الاخوان بلا شي فليصحب اهل القبور وقال لا يتم المعروف الا بثلث تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجله فقد هناه
واذا صغره فقد عظمه واذا ستره فقد تممه وقال الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه بنصفين وقال المغيرة
في كل شي سرف الا في المعروف وقيل للحسن لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى نظمه
محمد بن جبير فقال

لا العقر عار ولا الغنا شرف ٭ ولا سخا في طاعة سرف
ما المال الا اشيا تقدمه ٭ وكل شي اخرته تلف

واما طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم النبل في كل
وجه وكان يبتاع الرقاب ويعتقها وكان كل معتق يولد له ابن ذكر سماه طلحة فسمي طلحة الطلحات وبلغه ان معلما
كان في الكتاب في الحجاز قد قعد به الدهر فارسل اليه مع غلامه مائة الف درهم وقال سلمها اليه فان كان مات
وله ولد فادفعها الى ولده وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه فوافاه الرسول قد مات ولم يعقب ففرقها على قومه
وقال زيد بن اسلم وكان من الخاشعين يا ابن ادم امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون ليما وتدخل
النار وقال حكيم بن حزام ما اصبحت قط صباحا لم ار ببابي طالب حاجة الا عددتها مصيبة ارجو ثوابها وقال
ابو علي الثقفي المعروف كنز لا ينفد من بر ولا من فاجر وكان الزبير اجود الناس واشجعهم فلما مات وجد عليه تسع
الف درهم ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرصة عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لم ياتك واعلم ان تقتيرك على
نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما جمعت من المال فوق
قوتك فانما انت فيه جامع لغيرك وروي مالك في الموطا ان مسكينا سال عايشة وهي صايمة وليس في بيتها الا رغيف
فقالت لمولاتها اعطيه اياه فقالت مولاتها لو ابقيت لنفسك شيا تفطرين عليه فما امسينا حتى اهدي لها
اهل بيت شاة وكفنها يعني ملفوفة بالرغفان فقالت لي عايشة هذا خير من قرصك وقال عبد الله بن عمر ما كان احدنا
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيا وقال الحسن كنا نعد البخيل من يقرض اخاه الدرهم ومن عجيب
ما ذكر في الاثار ما ذكره ابو محمد الازدي قال لما احرق المسجد بمصر ظن المسلمون ان النصارى احرقوه فاحرقوا خانا لهم
فقبض السلطان جماعة من الذين احرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل والقطع والجلد ونثرها عليهم فمن وقعت
عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت ابالي لولا امي وكان بجنبه بعض

الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي ام تحذ رقعتي واعطني رقعتك ففعل فقتل ذاك وتخلص هذا وحكي عن
ابي العباس الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ولم ارغفة لم تشبع جميعهم فكسروا
الرغفان واطفيوا السراج وجلسوا للطعام فلما ان رفع اذا الطعام بحاله لم ياكل واحد منهم ايثارا
لصاحبه على نفسه وروي انه اجتمع بالرملة جماعة من ارباب القلوب بخص طبق فيه تين اخضر وقد غسق الليل وكان
الواحد منهم بيديه فان ظفر بحبة حصرم اكله وان ظفر بطيب دفعه لصاحبه ولم ياكله فلما رفع الطبق واصبح
المصباح اذا الطيب كما له لم ياكلوا منه شيئا وقال بعض الرواة دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من
الثياب فقلت يا ابا نصر الناس يزيدون من الثياب في هذا اليوم وانت قد نقصت فقال ذكرت الفقراء ومالهم فيه
ولم يكن لي ما اواسيهم به فاردت ان اوافقهم بنفسي في مقاساة البرد وقال الاستاذ ابو علي لما سعى غلام خليل العدو
بالصوفية الى الخليفة ورماهم بالزندقة امر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب ابي
ثور واما الشحام والرقام والنوري فقبض عليهم وبسط النطع لضرب اعناقهم فتقدم النوري امامهم فقال له
السياف لماذا تتقدم وتسابق وماذا يعجلك قال اوثر اصحابي بحياة ساعة فتحير السياف وانهى الخبر الى الخليفة فردهم
الى القاضي ليتعرف حالهم فالقى القاضي على ابي الحسين النوري مسائل فقهية فاجاب عن الكل ثم اخذ يقول ان لله عبادا
اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا بالله وسرد الفاظا حتى ابكى القاضي فارسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة نطقوا
فما على وجه الارض مسلم فامر باطلاقهم ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطا اخوانه في الزيارة فقيل انهم يستحيون
مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا الا من كان لقيس عنده مال فهو منه في
حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد ويروي ان عبد الله بن جعفر وكان احد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل
على نخل قوم وفيه غلام اسود يقوم عليها فاتى بقوته ثلاثة اقراص ودخل كلب فدنى من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله
ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلها وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب
قال ما هي بارض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة فكرهت رده فقال ما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله
الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيه من الالات واعتق الغلام ووهب ذلك له وقال
النوري رايت محمد بن سراقة بالغداة صاحب مائة الف وبالعشي سالنا له من اصحابه خبزا وقال ابو عبد الرحمن
دخل ابو عبد الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غايبا وهنا البيت مقفل فكسر القفل وامر بجميع ما وجد فيه
من المتاع فانفذوه الى السوق وباعوه واصلحوا لهم وقتا من ثمن ذلك المتاع فجاء الرجل فلم يقل شيئا فدخلت امراته بعدهم
الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت يا اصحابنا هذا ايضا من جملة المتاع فبيعوه فقال لها زوجها
لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شي ندخره عنه واما
عبد الملك بن بحر فورث خمسة الاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت بالذي اسال لاخواني الجنة في
صلاتي وابخل عليهم بمالي ويروي ان الاشعث بن قيس ارسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم
فملاها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وقال بزرجمهر لا عز اثبت اركانا ولا اقوم بنيانا من عز تثبته
الكرم واكتساب الشكر وذلك ان عز التعظيم بالفعل الجميل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف
فقد تظفر بمناواه وربح الشكر والثواب وروي ان عبد الله بن ابي بكر وكان احد الاجواد عطش يوما في طريقه
فاستسقى من منزل امراة فاخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امراة
من العرب مات خادمي من ايام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة الاف درهم فقالت سبحان الله فقال
يا غلام احمل اليها عشرين الف درهم فقالت اسال الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين الفا فما امست حتى

كثر خطابها وقال بعض الرواة قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال لماذا جئتك قال اربع مائة
درهم على دين فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار باكيا فقالت امراته هلا تعللت واعتذرت الى الرجل حين
شق عليك الاجابة فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي وقال الحكم بن صيفي صاحب المعروف
لا يقع فان وقع وجد متكئا وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وروي عن امراة من العباد انها قالت لحيان
بن هلال وهو في جماعة من اصحابه ما السخاء عندكم في الدنيا قال البذل والايثار قالت فما السخاء في الدين قال ان نعبد
الله سبحانه سخية به نفسك غير مكرهة قالت افتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم لان الله تعالى وعد على الحسنة بعشر
امثالها قالت فاذا اعطيتم واحدة اخذتم عشرا فباي شي تسخيتم وانما السخاء ان تعبد الله سبحانه متنعمين متلذذين بطاعته
غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا الا تستحيون ان يطلع الله على قلوبكم فيعلم منها انما تريدون شيئا بشيء وقالت بعض النساء لذلك
لبعض العابدين اتظن السخاء في الدينار والدرهم فقط انما السخاء في بذل مهج النفوس لله سبحانه وقال ابو بكر الدقاق
ليس السخاء ان يعطي الواجد المعدم انما السخاء ان يعطي المعدم الواجد وقال ابو بكر بن عبد الرحمن كان الاستاذ ابو سهل
الصعلوكي من الاجواد لم يكن يناول احدا شيئا وانما كان يطرحه في الارض فيتناوله الاخذ من الارض وكان يقول
الدنيا اقل خطرا من ان يرى من اجلها يدي فوق يد احد وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى
وكان يتوضى يوما في صحن داره فدخل عليه انسان فساله شيئا فلم يحضره شيء فقال اصبر حتى افرغ فصبر فلما فرغ قال
خذ القمقمة واخرج فلما علم انه بعد صلح وقال دخل انسان واخذ القمقمة ففتشوا خلفه فلم يذكره وانما فعل ذلك لانهم
كانوا يلومونه على البذل

وفي معناه قيل

ملأت يدي من الدنيا مرارا ... فما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على جواد

وكان ابو مرثد احد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة
الاف درهم اقر لك بها واحبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمسوا حتى دفعوها اليه وقال زياد بن جرير
رايت طلحة بن عبد الله فرق مائة الف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده ولما دخل المنكدر على عايشة رضي الله عنها
قال لها يا ام المومنين اصابتني فاقة فقالت ما عندي شي ولو كانت عندي عشرة الاف لبعثتها اليك فلما خرج من
عندها جاءتها عشرة الاف من عند خالد بن اسيد فقالت ما اسرع ما ابتليت فارسلت بها في اثره فدخل السوق فاشترى
جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة محمد وابو بكر وعمر بنو المنكدر رحمة الله عليهم اجمعين
وقال يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان فسال له فقال الغلام اذهب الى الجواري فقل لهن من
ارادت منهن ان تضيع ثيابها فتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل خذها وانصرف وقال الاصمعي
كانت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح على ان يودوا لكل قتيل اصيب
في تلك الحرب فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وانا غلام الى ضرار بن القعقاع بن دارم في شملة فاستاذنت علي
فاذن لي فاذا هو في شملة يخيط نوا العنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى اكلت العنز ثم غسل القصعة
وقال يا جارية غدنا فاتته بزيت وتمر فدعاني فقذرته ان اكل معه حتى اذا قضى من اكله حاجته وثب الى طين ملقى في
الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقني فاتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات
بتمر البصرة بزيت الشام متى يودي شكر هذه النعمة ثم قال علي بردائي فاتيته به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت
عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم يبق حبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل
جميع ما كان بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف وكان البهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطي للسجان كل

يوم دينارًا فاستكثره اصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص بن عمارة سمعت الثوري يقول اذا كمل صدق الصادق لم
يملك ما في يديه فخر بهلول على يديه وقبلها وقال سالتك بالله انت سمعته يقول فحلف بالله لقد سمعته يقول

وقال الشاعر

ذريني اكن للمال ربًّا ولا يكن ۞ لي المال ربًّا تحمدي غبه غدا

اريني جوادًا مات هزلًا لعلني ۞ ارى ما ترين او بخيلًا مخلدا

وكان عبد الله بن ابي بكر ينفق على اربعين دارًا من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره واربعين امامه واربعين خلفه
ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك فاشترى يومًا جارية بعشرة الاف
وطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتي فقال احملوها مع دابته الى داره

قال عبد الله بن زهير

وعاذلة تخشى الردى ان يصيبني ۞ تروح وتغدو بالملامة والقسم

تقول هلكنا ان هلكت وانما ۞ على الله ارزاق العباد كما زعم

واني احب الخلد لو استطيعه ۞ وكالخلد عندي ان اموت ولم الم

وروي ان اعرابيًا قدم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين لي اليك حاجة والحيا يمنعني ان اذكرها
قال اخططها في الارض فخط فيها اني فقير فقال يا غلام يا قنبر اكسه حلتي فكساه الحلة فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها ۞ فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا

ان نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ۞ ولست تبغي بما قد قلته بدلا

ان الثنا ليحيي ذكر صاحبه ۞ كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به ۞ كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال علي زده مائة دينار فاعطاه اياها فقال قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت
بها من شأنهم فقال له يا قنبر لا تفعل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن اثنى عليكم
واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وقال مطرف بن الشخير اذا اراد احدكم حاجة فليرفعها الي في رقعة فاني اكره
ان ارى في وجهه ذل الحاجة وروي على القاضي ابي الوليد وانا اسمع

وامرة بالبخل قلت لها اقصري ۞ فليس الى ما تامرين سبيل

ارى الناس خلان الكريم ولا ارى ۞ بخيلًا له في العالمين خليل

واني رايت البخل يزري باهله ۞ فاكرمت نفسي ان يقال بخيل

ومن خير حالات الفتى لو علمته ۞ اذا نال خيرًا ان يكون ينيل

ولعروة بن الورد

واني امرؤ عافي انائي شركة ۞ وانت امرؤ عافي انائك واحد

اتهزأ مني ان سمنت وان ترى ۞ بجسمي مس الحق والحق جاهد

اقسم جسمي في جسوم كثيرة ۞ واحسو قراح الماء والماء بارد

وقال بعض الحكماء اصل المحاسن كلها الكرم واصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام
وجميع خصال الخير من فروعه وروي انه كان عند البهلول بن راشد طعام فغلا السعر فامر به فبيع ثم امر ان
يشترى له نصف ربع القفيز من طعام فقيل له تبيع وتشتري فقال افرح اذا فرح الناس واحزن اذا حزنوا

وقالت

وقالت ام حاتم طي

لعمري لقدما عضني الجوع عضة ۞ فآليت ان لا امنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائم اليوم اعفني ۞ فان انت لم تفعل فعض الاصابعا

فهل ما ترون اليوم الا طبيعة ۞ فكيف بتركي يا ابن ام الطبائعا

وقال اخر

اصون عرضي بمالي لا ادنسه ۞ لا بارك الله بعد العرض في المال

احتال للمال ان اودى فاجمعه ۞ ولست للعرض ان اودى بمحتال

ويروى ان رجلا سال الاحنف بن قيس شيئا فاعطاه خمسين الف درهم وخمسمائة دينار وقال ليت لي جمالًا تحمله لك
فاتاه بجمال فاعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الجمال من قبلي ويروى ان الليث بن سعد سالته امراة سكرجة
عسل فامر لها بزق عسل فقيل له في ذلك فقال انها سالت على قدر حاجتها ونحن نعطي على قدر نعمتنا وروي ان رجلا
استضاف لعبد الله بن عامر بن كريز فلما اراد الرجل ان يرحل لم تعنه غلمانه فسال الرجل عن ذلك فقال له
عبد الله انهم لا يعينون من يرحل وفي معناه قال المتنبي

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ۞ ان لا تفارقهم فالراحلون هم

الباب الحادي والثلاثون

فيما جاء في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما

الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي
واسرافها ووساوسها وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فان الشح اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا الدماء واستحلوا المحارم وقد فرق بينهما فقالوا الشح اشد من البخل
فان البخيل اكثر ما يكون في النفقة والامساك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه وقال في الشح اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
فالشح مبني على الكزازة فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما
الشح ان يطمع الرجل فيما ليس له ولهذا قال ابن المبارك سخاء النفس عما في ايدي الناس افضل من سخاء النفس بالبذل
وقال رجل لابن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت لاني سمعت الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال ليس بالشح الذي ذكر الله تعالى ولكن الشح ان تاكل
مال اخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل ففرق بينهما كما ترى وقال ابن عباس من اتبع هواه فلم يقبل
الايمان وقال طاووس الشح ان يبخل الرجل بما في ايدي الناس والبخل ان يبخل بما في يديه روى انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال بريء من الشح من ادى الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة وقال ابن زيد
من لم ياخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدع شيئا امره الله به فقد وقاه الله شح نفسه وقال ابو الهياج
الاسدي رايت رجلا في الطواف يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك شيئا فسالته عن ذلك فقال
اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف واعلم ان البخل يكون
من سوء الظن بالله ان لا يخلفه ولا يثيبه وهذا يوهم النقص بما تكفل الله به ويطرق الخلل والاتباع

الي جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد والخالق في ترك معاونتهم والنصح لهم وقال كسرى لاصحابه
اي شي اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع ابدا
ولما قدم الشافعي من صنعا الى مكة كان معه عشرة الاف درهم فقيل له تشتري بها ضيعة فضرب
خيمة خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جا وقت الظهر قام ونفض
الثوب ولم يبق شي ولما قربت وفاته قال مروا فلانا يغسلني وكان الرجل غايبا فلما قدم اخبر بذلك فدعا
بتذكرته فوجد عليه سبعين الف درهم دينا فقضاها وقال هذا غسلي اياه وروي ان رجلا اراد ان يوذي
عبد الله بن عباس فاتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندي فاتوه فملئوا الدار فقال
ما هذا فاخبر الخبر فامر ان تشتري الفواكه في الوقت وامر بالخبز والطبخ واصلح القرا فلما فرغ قال
لوكلايه اموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء كل يوم عندنا الى انقضاء شهر ومن الخصال
الجارية مجرى الجمال والكمال ولعلها من الاصول الصبر

الباب الثاني والثلاثون

في الصبر وعاقبته

الصبر زمام الخصال وزعيم بالغنم والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال
الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فجميع وظايف الدين ذكر الله تعالى ورسوله لها جزا معلوما الا الصبر فانه مجانا بغير حساب وقال
وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا واقبل لما صبروا عن الدنيا وقال ابن عيينة لما اخذوا براس الامر
جعلهم الله روسا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم ندبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنة نودوا
فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فاخبر الله تعالى انه اثابهم جنته بصبرهم يعني صبرهم على طاعة
الله وصبرهم عن معاصي الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي
احبس نفسك فمن امارات حسن التوفيق وعلامة السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل
وفيما يروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال
سفين بلغنا ان لكل شي ثمرة وثمرة الصبر الظفر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار
الصلوات بدليل ما روى ابو هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يحط الله به الخطايا
ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد
وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب فصبر وبالقمر فصبر وابتلاه بذبح ولده فصبر وقال سبحانه وتعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدا بالصبر قبل الصلاة ثم قال [illegible] عظيما

لجمال

لجمال نفسه مع الصابرين دون المصلين وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار ما يكن عندي من خير فلن ادخره
عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطي احد عطا خيرا واوسع من الصبر
وقال ابن مسعود قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار انها لقسمة ما اريد بها وجه الله فاخبرت
النبي صلى الله عليه وسلم فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم اكن اخبرته ثم قال قد اوذي موسى باكثر
من هذا فصبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على امراة تبكي على قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني
فانك لم تصب بمثل مصيبتي فلما قيل لها انه رسول الله جاءت اليه تعتذر انها لم تعرفه وقالت ساصبر فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الظاهر فقال معناه ان الصبر
المحمود عند اول نزول المصيبة وفقد ذلك بالجزع واما الغايب فقال معناه ان الصدمة الاولى قد قام بها النبي
صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بحصول وبيان وغلبة ويروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وفي منثور الحكم قالت الصحة انا لاحقة بارض المغرب
قال الجوع وانا معك قال الايمان انا لاحق بارض الحجاز قال الصبر وانا معك قال الملك انا لاحق بارض العرب قال
الفتنة وانا معك واعلم ان العجلة خرق وتخرجه من قلة العقل واخرق من ذلك التفريط في الامر بعد القدرة ومثل
ذلك كالقدر على النار ان كان ماوها قليلا غلت بيسير من النار وان كانت مملوة لم تغل حتى يكثر نارها وتطول مدتها
وفي كتاب جاويدان خرد وليس الحجم كالنجم مثله قال الحزم على اربع تكذيب القايل الا في ثلث من غير الحق صبر الجاهل
على مضض المصيبة ودعا قبل النفس من الحبل اليه ومجاه احب كنه فصل واعلم ان الصبر على اقسام صبر على ما هو
كسب العبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه
فاما الصبر على ما ليس بكسب العبد كصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم من وجه
اخر على اربعة اقسام فاول اقسامه الصبر على امتثال امر الله سبحانه والانتهاء عما نهى الله عنه والثاني الصبر على ما
فات ادراكه من رزق او نقصا وفاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها او يخشى
حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف وجميع اقسامه محمود بكل لسان
وفي كل ملة وعند كل امة مومنة او كافرة وقال الاشتر بن صيفي من صبر ظفر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو وقال ازدشير الصبر الدرك وقال عليه السلام الصبر
ضيا وبالصبر يتوقع الفرج وقال عليه السلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب وقال ابن عباس
افضل العدة الصبر على الشدة وقال عبد الحميد الكاتب لم اسمع اعجب من قول عمر بن الخطاب لو كان الصبر والشكر
بعيران ما باليت ايهما ركبت وقال بعض الحكما بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ وقال ابن المقفع
في كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان
يكون قوي الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه
عند الحفاظ مرتبطا وفي منثور الحكم من احب البقا فليعد للمصايب قلبا صبورا وقال بزرجمهر لم ار ظهيرا
على نقل الدول كالصبر ولا اثنا كالحسد ولا مكسبة للاجلال كتوقي المزاح ولا مجلبة للمقت كالاعجاب
ولا متلفة للمروة كاستعمال الهزل في مواضع الجد فاما القسم الاول وهو الصبر على امتثال اوامر
الله تعالى والانتهاء عن محارمه فيه يتم اداء الفرايض واستكمال السنن ويدخل في قوله انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب ولذلك قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وقال الجنيد
المسير من الدنيا الى الاخرة سهل هين على المومن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس الى الله تعالى شديد والصبر

مع الله تعالى شديد **وسئل** عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس **وكان حبيب** بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد بكا ثم قال واعجبا اعطى واثنى **وقال** الخواص الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة **وقال** عبد الواحد بن زيد من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه منها **وقال عمر** بن عبد العزيز للقاسم بن محمد اوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر **وقال الحسن** الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عند ما نهى الله تعالى عنه وهو الاكبر وانما يتخلق الصبر بالخوف والرجا من خاف شيا صبر على الفرار منه وصبر عند الكراهية ما يجد من ضرره ومن رجا شيا صبر على طلبه ليظفر به **واما القسم الثاني** وهو الصبر على ما فات ادراكه من مسرة او تقضى وقاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طايعا استراح واحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر **وقال** علي بن ابي طالب رضي الله عنه للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق منك ذلك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله خلف من ابنك ان صبرت جرى عليك القلم وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مازور

ونظمه ابو تمام فقال

وقال علي في التعازي لاشعث • وخاف عليه بعض تلك الماثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة • فتوجر ام تسلو سلو البهايم
خلقنا رجالا للتجلد والعزى • وتلك الغواني للبكا والماتم

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضى امر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا **وقال الحسن** والله لو كلفنا الجزع ما قدرنا به فالحمد لله الذي اجرنا على ما لو نهانا عنه لصبرنا اليه ومن هذا قالت الحكما الجزع اتعب من الصبر ففي الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صور الجزع والصبر لكان الصبر احسن صورة واكرم طبيعة ولكان الصبر اولاهما بالغلبة لحسن الخليقة وكرم الطبيعة **وقال بعض العلما** لو وكل الناس الى الجزع لجوا الى الصبر **وقال** شبيب بن شيبة للمهدي ان احق ما صبر عليه ما لم نجد سبيلا الى دفعه

وانشد

واذا اتتك مصيبة فاصبر لها • عظمت مصيبة مبتلا لا يصبر

وقال اخر

وعوضت اجرا من فقيد فلا يكن • فقيدك لا ياتي واجرك يذهب

وقال بعض الحكما ليس لمجوع لذة الرشد من تتابع التلهف على فايت او اكثر الترح عند مستطرف **وقال الحكيم** ان كنت جازعا على ما يفلت من يديك فاجزع على ما لم يصل اليك ومن ايقن ان كل فايت الى انقضا حسن عزاوه عند نزول القضا

وقال اخر

اذا طال بالمحزون ايام حسبه • كساه منا طول المقام على الصبر
ولا شك ان الصبر يحمد غبه • ولكن انفاق عليه من العمر

وقال بعض الحكما الصبر على اربع مراتب على الشوق والاشفاق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ومن راقب الموت اقصر عن الخطيئات **واما القسم الثالث** وهو الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها او يخشى حدوث من رهبة يخافها فبالصبر والتلطف يدفع عاديه ما يخاف وينال نفع ما يرجوا **قال النبي** صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة **وقال محمد بن بشير**

ان الامور اذا اشتدت مسالكها • فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تياسن وان طالت مطالبه • اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته • ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها ذفار فبينا انا اطوف في خرابها اذ رايت مكتوبا على قصر خراب

يا من الح عليه الهم والفكر • وغير حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في مثل • عند الاياس فاين الله والقدر
ثم الخطوب اذا احداثها طرقت • واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا
فكل ضيق سياتي بعده سعة • وكل فوت وشيك بعده الظفر

وتحته مكتوب بخط اخر لو كان كل من صبر اعقب الظفر صبرت ولكنها الصبر في العاجل يبقى العمر ويدني الفقر وما كان اصلح الذي لعقل بموته وهو طفل والسلام **قلت** لو رايت لكتبت تحته في الصبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله والاجر بغير حساب وفي الجزع استعجال ونك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الاثم مع العقوبة وما احسن بذي العقل اجتناب هذا والسلام **وقال** بعض العلما من صبر نال المنا ومن شكر حصن النعما

وقال الشاعر

الصبر مفتاح كل خير • وكل خير به يهون
اصبر وان طالت الليالي • فربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار • ما قيل هيهات لا يكون

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما انعم الله على عبد نعمة وعوضه صبرا الا كان ما عوضه افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب **وروي** ان جارية كانت لعلي رضي الله عنه تتصرف في حوايجه وكلما خرجت تصدى لها خياط كان بقربه دار علي ويقول لها والله اني لاحبك في الله فلما اكثر من ذلك شكته الى علي فقال لها علي اذا قال لك مرة اخرى فقولي له والله اني لاحبك فما الذي تريد فعاد فقالت له ذلك فقال لها ذلك فقالت له وانا والله احبك فيه فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فرجعت الجارية واخبرت مولاها فدعا علي رضي الله عنه الخياط فوجد امره على الصحة فوهبها له مع نفقة سبعين **وقال** علي رضي الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والمتوكل لا يخيب ظنه والعاقل لا يذل باول نكبة ولا يفرح باول رفعة وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة **واما القسم الرابع** وهو الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف فبالصبر تنفتح فيه وجوه الاراء وتتوقا مكايد الاحيا قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا وقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور **وروي** عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فاعمل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر **وقال علي** رضي الله عنه الصبر مناضل الحدثان والجزع من اعوان الزمان **وقال** الحكيم بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور **وانشدوا**

انما الجزع مما اتقي • فاذا حل فالى والجزع

ولما حبس ابو ايوب في الحبس خمسة عشر سنة ضاقت حيلته وقل صبره **وكتب** الى بعض اخوانه يشكوا طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته

صبرا ابا ايوب صبر مبرح • فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها

ان الذي عقد الذي تعقدت به • عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة • فلعلها ان تنجلي ولعلها

فلما وقف عليها ابو ايوب كتب اليه

صبرتني ووعظتني فانا لها • وستنجلي بل لا اقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها • كرما به اذ كان يملك حلها

ايا ناصحي اطلق مكرما ولبعضهم المعتذر

ساسكت صبرا واحتسابا فانني • ارى الصبر سيفا ليس فيه فلول
عذابي ان اشكوا الى الناس انني • عليل ومن اشكوا اليه عليل
وان الذي يشكوا الى غير نافع • ويشكوا بما في نفسه لجهول

وانشدوا

دع الدهر يجري بمقداره • ويقضي عجايب اوطاره
ونم نومة عن ولاة الامور • وخل الزمان يدور اداره
فانك تنعم من قد عبطت • وتعجب من فتح اشاره

وانشدني بعضهم

ويمنعني الشكوى الى الناس انني • عليل ومن اشكوا اليه عليل
ويمنعني الشكوى الى الله انه • عليم بما القاه قبل اقول

وانشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به • ان الذي يكشف البلوى هو الله
الياس يقطع احيانا بصاحبه • لا تياسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته • ما لامرء حيلة فيما قضى الله

وصرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومصطبر فالمصطبر من صبر في الله على المكاره فتارة يتجبر وتارة يصبر والصابر من لا يشكوا ولا يجزع والصبار الذي لو دفع عليه جميع البلايا والمحن لم تتغير من جهة الحقيقة وان تغير من جهة الرسم والبشرية والخلقة كما قال القايل

صابر الصبر فاستغاث به الصبر • فصاح الصبور يا صبر صبرا

وهذا اقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القايل

صبرت على الايام صبرا اصارني • الى ان نادي الصبر لا صبر للصبر

والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل ان اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي فان من اخلاقي انا الصبور ويقال الصبر لله عنا والصبر بالله بقا والصبر في الله بلا والصبر مع الله وفا والصبر عن الله جفا

وانشدوا

اذا لعب الرجال بكل شيء • رايت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر عن رجل يحني • بمنزلة اليمين من الشمال

قال المحاسبي بين الصبر والتصبر حالة هي النعم وذلك اذا رفع الله له علما من اعلام الاجر يدله على منازل الصابرين عنده فينعم القلب بسرور النعم وقال ابو محمد الحارث الصبر ان لا تفرق بين حال النعمة والمحنة

مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو ترك الشكوى مع البلاء مع وجود الثقا المحنة وانشدوا

صبرت ولم اطلع هواك على صبري • ولخفيت ما بي منك عن موضع الصبر
مخافة ان يشكوا ضميري صبابتي • الى دمعتي سرا فيجري ولا ادري

وقيل للمحاسبي ماذا يقوي الصابر على صبره فقال اذا علمت ان في صبرك رضا مولاك اما سمعت قول الحكيم

رضيت وقد رضي فاكان يسخطني • من الامر ما فيه رضى صاحب الامر

وفي معناه قيل

ساصبر كي ترضى واتلف حسرة • وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري

قال شيخنا ويكلك لمن تحبه اعظم من تكلك لنفسك هذا ايوب لما اصيب لنفسه قال مسني الضر ولعقوبه لما اصيب بحبيبه قال يا اسفا على يوسف قال احمد قال لي ابو سليمان الداراني اتدري بما ازال العقلا اللايمة عن انفسهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا ويروى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيايه انزلت بعبدي بلايي فدعاني فما طلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك من شيء به ارحمك وقيل في قوله تعالى واصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث قال اني ما صبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تستغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعرن ولا يبعث الاحزان مثل التذكر ومما يعين على عظم الاسى وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور المضار الذاهبة وكثرة الشكوى وتردد الاسف

وقال الشاعرن

لا تكثر الشكوى الى الصديق • وارجع الى الخالق لا المخلوق • لا يخرج الغريق بالغريق

وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر اعظم المصيبتين واعلم انه من صبر على شدة الادنى ما يرجو من فرج وينبغي لمن نزلت به مصيبة او كان في شدة ان ينبغي تسهيلها على نفسه فلا تغفل عن تذكر ما تيقنه من وجوب الفنا وتقضي المسار وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ولها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا ثقة له من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا اخرها يدوم ولا اشرها يبقى ولا فيها المخلوق بقا فاذا تصور حقيقتها حينيذ ترى الحوادث سهلة والمصايب هينة

قال الشاعر

يمثل ذا اللب في نفسه • مصايبه قبل ان تنزلا • فان نزلت بغتة لم ترعه • لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى اخره • فصير اخره اولا

وقال بعض الحكما من حاذر لم يجزع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم يشعر نفسه ما ذكرنا من احوال الدنيا وتقضي المسار لم الثوي في اللحود بين اطباق الترب والجنادل قد فارقه الاحبا واسلمه الالبا وهجره الغربا والبعدا اللقنه الحوادث واتقا فسلبته الصبر وضاعفت عليه الاسى

وقال ابن الرومي

ان البلاء يطاق غير مضاعف • فاذا تضاعف فهو غير مطاق

وانشدوا

تعودت مس الصبر حتى الفته • واسلمني حسن العزا الى الصبر
ووسع صدري للاذى كثرة الاذى • وان كنت احيانا تضيق به صدري

وحسّن الي بابي من الناس كلهم • لعلي بصنع الله من حيث لا ادري

ولبعض الاعراب

تعزّ فان الصبر بالحر اجمل • وليس على ريب الزمان معوّل
فلو كان يغني ان يرى المرء جازعا • لنائبة او كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة • ونازلة بالحر اولى واجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه • وما لامرئ عما قضى الله مزحل
فان تكن الايام فينا تبدلت • ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة • ولا ذللتنا للذي ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة • تحمل ما لا تستطيع فتحمل
وقينا بفضل الله منا نفوسنا • فصحت لنا الاعراض والناس هزل

الباب الثالث والثلاثون

في كتمان السر

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما افشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امراة يعقوب اخبرت اخوته فحل به ما حل وفي الحديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود واعلم ان كتمان السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق ومن اللوازم في حقوق الملوك ومن الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والاتباع قال علي رضي الله عنه سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره واعلم ان امناء الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امناء خزان الاموال وحفظ الاموال ايسر من كتم الاسرار فان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار اثقل من حمل الاموال وان الرجل يستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن جاشه وكانما القى عن نفسه حملا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب اوعية والشفاه اقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ومن اعجب الامور ان اغلاق الدنيا كلما كثرت خزانها كان اوثق لها الا السر فانه كلما كثر خزانه كان اضيع له وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مآربه ولو كتمه امن من سطواته وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير اوداجك فاذا تكلمت به فقد ارقته وكان لعثمن بن عفان رضي الله عنه كاتب اسمه حمران فاشتكى عثمن فقال اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشرى فقال لعبد الرحمن وما البشرى بماذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن فاخبر عثمن فقال لعثمن اعاهد الله ان لا يساكني حمران ابدا ونفاه الى البصرة فلم يزل بها حتى قتل عثمن رضي الله عنه واعلم ان كتمان الاسرار تدل على جواهر الرجال فكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فلا خير في انسان لا يملك سره ويروى ان رجلا اودع سره عند رجل فقال له افهمت فقال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمك السر فقال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال الشاعر

ولو

ولو قدرت على كتمان ما اشتملت • مني الضلوع على الاسرار والخبر
لكنت اول من يخفي سرائره • اذ كنت من نشرها يوما على خطر

قال شيخنا ومن احسن شيء سمعته في كتمان السر ما انشدنيه بعض فقهاء البصريين فقال

ولها سرائر في الضمير طويتها • نسي الضمير بانها في طيه

وفي معناه

ومستودعي سرا كتمت مكانه • عن الحس خوفا ان تنم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس نشره • فاودعته في حيث لا تبلغ النفس

قال العتبي اسر معاوية رضي الله عنه الى عثمان بن عنبسة حديثا فقلت لابي ان امير المؤمنين اسر الي حديثا افاحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار له ومن اظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت يا ابت افيدخل هذا بين الرجل وبين ابيه قال لا ولكن اكره ان تذلل لسانك بافشاء السر قال فحدثت به معاوية رضي الله عنه فقال اعتقك اخي من رق الخطا وقيل لبعض الملوك ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم سره وقال قيس بن الخطيم

اجود بمكنون التلاد وانني • بسرك عمن سالني لضنين
اذا جاوز الاثنين سر فانه • ببث وتكثير الوشاة قمين
وان ضيع الاقوام سرا فانني • كتوم لاسرار العشير امين
يكون له عندي اذا ما ضمنته • مكان بسويدا الفؤاد مكين

قال شيخنا قلت الناس يقولون اراد بالاثنين المودع والمودع ولا يريد ان يريد به الشفتين وكان يقال صبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة في الاموال وقال ابو بكر بن حزم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقال هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الا انتقص من ايمانه وقال جعفر بن عثمان

يا ذا الذي اودعني سره • لا ترج ان تسمعه مني
لم اجره قط على فكرتي • كانه لم يجر في ذهني

وكان عمرو بن العاص يقول ما افشيت سري الى احد فافشاه علي فلمته اذ كان صدري به اضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره حتى يحدث به ثم يقول اكتمه علي وفي منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون

وانشدوا

اذا المرء افشى سره بلسانه • ولام عليه غيره فهو احمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه • فصدر الذي يستودع السر اضيق

وفي منثور الحكم من افشى سره كثر عليه المتآمرون وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ • وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

ولا تنطق بسرك كل سر • اذا ما جاوز الاثنين فاشي

وقال آخر

تبوح بسرك ضيقا به • وتبغي لسرك من يكتم

وكتمانك السر فيما تخاف • وفيما تحاذره احزم
اذا ذاع سرك من مخبر • فانت اذا لمته الوم

وقال اخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث • وافشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من افشا حديثي • وسري عنده فانا الملوم

وقال الحكيم ما كتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك فان لم يكن لك بد من اذاعته لمن تثق به لتقضيه من حق سامع او استشارة ناصح فلتم صفات امنا الاسرار ان يكون ذا عقل ودين ونصح ومروة فان هذه امور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة ومن كملت فيه فهو عنقا مغرب ولا تودع سرك عند من يستودعه فان طالب الوديعة خاين قال صالح بن عبد القدوس لا تذع سرا الى طالبه منك فالطالب للسر مذيع وفي الجملة اذا زال السر عن عذبة لسانك فالاذاعة مستولية عليه وان اودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك اسهل عليك من التململ بتملك سرك غيرك واعلم ان افشا سر غيرك اقبح من اظهار سر نفسك لانه يبوح باحدى وصمتين اما الخيانة ان كان موتمنا او النميمة ان كان مستخبرا وقال بعض الحكما لابنه يا بني كن جوادا بالمال في مواضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق فان احمد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر وكان يقال صدور الاحرار قبور الاسرار وقال الشاعر

الم تر ان وشاة الرجال • لا يتركون اديما صحيحا
فلا تفش سرك الا اليك • فان لكل نصيح نصيحا

وقال غيره

ما كل مكتوم يباح به • احذر لسانك من جوالبه • فمرارة الكتمان اعذب من • بث تحاذر من عواقبه
لئن الهوى ما كنت تعرفه • ايام تلعب في جوانبه • هذا هوى لو قد فضحت به • صحت الحمام الى مضاربه

الباب الرابع والثلاثون

في بيان الخصلة التي هي من سائر الخصال سبب للمزيد من النعماء والالاء من ذي الجلال

قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وقد اتاه ملك الدنيا والجن والانس والطير والوحش والريح تجري بامره كيف اراد فلما استكمل ملكه قال عليه السلام هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر فاعدها نعمة فاعدها ملوك الارض ولم يحسبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظنها ملوك الارض بل خاف ان يكون استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في امثال اولئك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين جا في التفسير اصب عليهم النعم وانسيهم الاستغفار وانما الفرح بما اوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار بزبرجها من شعار الكفار الا ترى الى قول قارون للعين انما اوتيته على علم عندي فكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ولما خاف سليمن عليه السلام ان يكون استدراجا كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب واعلم ارشدك الله ان الشكر ليس هو حافظ

النعم فقط بل هو مع حفظه لها زعيم بزيادة النعم وامان من حلول النقم والشكر على ثلاث مراتب شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بالجوارح فاما الشكر الواجب على جميع الخلق فشكر القلب وهو ان يعلم ان النعمة من الله وان لا نعمة على الخلق من اهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نفسك وعن غيرك معرفة نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك وهذا النوع هو الذي يقال فيه يجب على العبد ان يشكر الله تعالى على نعمه سديت الى غيره والدليل على ان الشكر محله القلب قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اي ايقنوا انها من الله والى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر والدليل عليه قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اي اتقوني فانه شكر نعمتي وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد فقال تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وما العبارة عنه ان يقال الشكر اعتراف القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع يقال فيه الشكر عكوف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال ابو عثمن الشكر معرفة العجز عن الشكر وروى ان داود عليه السلام قال الهي كيف اشكرك وشكري لك نعمة عندي فاوحى الله تعالى اليه الان قد شكرتني وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهي ابن ادم ليس منه شعرة الا تحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني وفي هذا يقال الشكر على الشكر اتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من جلة النعم فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر ايضا واجب

ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة • علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله • وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها • وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة • تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ومن اقر بنعم الله واحسانه فقد اقر بقدر ما كلف لان احدا لا يمكنه ان يوازي شكر نعم الله تعالى وفي مناجاة موسى عليه السلام الهي خلقت ادم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال ان تعلم ان ذلك مني فكان معرفته بذلك شكره لي فصل واما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه واما بنعمة ربك فحدث قيل يعني النبوة وقيل يعني القران وحكم الاية عام في جميع النعم روى النعمن بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن اهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تذاكروا النعم فان ذكرها شكر وكتب عدي بن ارطاه الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما حفر نهر البصرة الذي يقال له نهر عمر اني حفرت لاهل البصرة نهرا عذب لهم مشربه وجادت عليه اموالهم ولم ارهم على ذلك شكرا فان اذنت لي قسمت عليهم ما انفقت عليه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز اني لا احسب اهل البصرة خلوا من رجل قال الحمد لله حين حفرك هذا النهر وان الله قد رضيها شكرا من جنته فارض بها شكرا من فهرك والسلام وحقيقة الشكر في هذا القسم الثنا على المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول يوصف الرب تعالى بانه شكور حقيقة فشكر العبد لله ثناؤه عليه باحسانه واحسان الرب للعبد انعامه عليه وهذه اللفظة ماخوذة من قولهم دابة شكور اذا اظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ويقال وجه شكور اذا كان يظهر المحاسن ظاهرها وفي الحديث يقول الله تعالى انا والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري وقال بعضهم انما اوتي الناس لانهم في موضع صبر وهم يحسبون انهم في موضع

شكر فصل وأما الشكر الذي على الجوارح فقول الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور
فجعل العمل شكرا وقال عطا دخلت على عائشة مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا ام المؤمنين حدثينا باعجب ما
رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي
حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني لاحب قربك فاذنت له فقام الى قربة
من ماء فتوضا واكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه
فبكى فلم يزل كذلك حتى جا بلال فاذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل علي ان في خلق السموات والارض فجعل النبي صلى
الله عليه وسلم الاوراد والاعمال بالجوارح شكرا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى انتفخت قدماه
فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قال ابو هرون
دخلت على ابي حازم فقلت له رحمك الله ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا اذعته وان رايت بهما شرا سترته قلت
له فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته وان سمعت بهما شرا نسيته قلت له فما شكر اليدين قال ان لا تاخذ بهما
ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما قلت له فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قلت فما شكر
الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين قال
ثم قلت فانت لشاكر حقا وفي حكمة ادريس عليه السلام لن يستطيع احد ان يشكر الله تعالى على نعمه بمثل الانعام
على خلقه ليكون صانعا الى الخلق بمثل ما صنع به الخالق تعالى واذا ثبت ان فعل الطاعات شكر فان فيها ما هو اشد ملازمة
من غيره فالطاعات في مواساة الفقرا اشكل بالشكر على الغنا من غيرها لانها من جنس النعمة واذا اردت ان تحرس دوام
نعم الله تعالى عليك فادم مواساة الفقرا والطاعة في دفع ذوي الضيعة والخمول والمسكنة بغير معصية اشبه
بالشكر على رفع قدرك والتنويه باسمك والطاعة في تمريض الفقرا وتلطيف اغذيتهم اشبه بالشكر على العافية
من سائر الطاعات والطاعة في الشفاعات عند السلطان وقضا حوائج الغربا والاخوان اشبه بذي الجاه من سائر
الطاعات وعلى هذا المثال ينبغي ان يقابل سائر نعم الله تعالى على العبد ومن العبارات الجامعة للشكر ان يقال
معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالجوارح فصل في الكلام على الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعوني استجب لكم قوما دون قوم والدليل عليه انا نرى من يشكر على
الغنا ثم يبتلى بالفقر ومن يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لازيدنكم
نعم الآخرة فان قيل انما تكون الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الدنيوية والاخروية وان تفاضلت
واختلفت فكلها متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون في كثير
من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سال الله تعالى ان يعطيه مالا او يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال
انفقه في المعاصي او وهبه الصحة اصرف صحته الى المشي في الآثام فالمنع ههنا موهبة من الله تعالى جزيلة
وعن هذا قال العلما منع الله تعالى عطا وقال قوم يمكن تقدير الاستثنا لئن شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا فاعاقبكم
بالحرمان او اجعل ذلك كفارة لكم وهو اصلح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسلمون من الذنوب ولو عصوا ان يسلموا
من الذنوب اذ رتبا الزيادات قال الله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
وقال قوم الآية خاصة لا محالة اذ لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر الله على الحياة قال الشيخ قلت
ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمت

انه لم يشكر فاذا راينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه في نقصان علمنا انه قد اخل بالشكر الذي يجب عليه اما ان لا يزكيه
او يزكيه لغير اهله او يؤخره عن وقته او يمنع حقا واجبا عليه فيه من كسوة عريان او اطعام جائع وشبهه فيه فيدخل
فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم اذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله تعالى ما امنه من الاحسان واذا كان قوم في ظل العافية فان الله
تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم بترك ادب او اخلال بحق او المام بذنب كما قال بعضهم ادنى الشكر
ان لا تعصي الله تعالى بنعمه فان جوارحك كلها من نعم الله عليك فلا تعصيه بها ويحتمل ان يكون معنى الآية لئن شكرتم
لازيدنكم ان شئنا الاخرى انه قال ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وكثير من الخلق يريد حرث الدنيا ولا نو توته
فيكون التقدير نؤته منها لمن نشا بدليل قوله تعالى في الآية الاخرى عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد وهكذا قوله
تعالى ادعوني استجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا يستجيب لهم ولكن معنى الآية استجب لهم ان شئت ولمن
شئت بدليل قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا وهذا من باب حمل المطلق على المقيد قال الجنيد
كنت بين يدي السري وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت
لا تعصي الله تعالى بنعمه قال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة فان قيل
ما معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما يحصل من الافعال في الوجود يمكن احصاؤه قلنا نعم الله
تعالى على وجهين دفع ومنع فالدفع يمكن احصاؤه ودفع البلايا عنهم لا يمكن احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما في مقدوره
من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى فصل ثم عدنا الى قول العلما والحكما في الشكر فقال بعض الحكما موضع
الشكر من النعمة موضع القرى من الضيف ان وجد لم يبرح وان عدم لم يقم واجمعت حكما العرب والعجم على هذه الكلمة
فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا مصيبة وجابرها خير من نعمة لم يؤد
شكرها وقال بعض الحكما من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول
ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب وكان يقال اذا رعيت النعم بالشكر فهي اطواق
واذا رعيت بكفر فهي اغلال قال حبيب

نعم اذا رعيت بشكر لم تزل نعما فان لم ترع فهي مصائب

وبعث الحجاج الى الحسن بعشرة الف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا تكن
ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويامر الناس بما لا ياتي يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم
ويبغض المسيئين وانت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك وقال المغيرة بن شعبة اشكر
من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا بقا للنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وان الشكر زيادة من النعم
وامان من النقم وكان الحسن يقول ابن ادم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك
بالشكر اعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر نعمة الا الى ما هو اعظم منها وقال سفين لما جا البشير الى يعقوب
عليه السلام قال على اي دين تركته قال على الاسلام قال الحمد لله الآن تمت النعمة وروي ان عثمن بن عفان رضي
عنه دعي الى قوم ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل ان يلقاهم فاعتق عثمن رقبة شكرا لله تعالى ان لا يكون جرت على يده
فضيحة رجل مسلم ويروى ان الحسن بن علي التزم الركن وقال الهي نعمتني فلم تجدني شاكرا وابتليتني فلم
تجدني صابرا فلا انت سلبت النعمة بترك الشكر ولا انت ادمت الشدة بترك الصبر الهي ما يكون من الكريم الا
الكرم ولا من الجاني الا الجفا وقال عون بن عبد الله الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر عند
المصيبة وروي ان نملة قالت لسليمن بن داود عليه السلام يا نبي الله انا على قدري اشكر لله منك وكان

راكبا على فرس ذلول لخر عنه ساجدا ثم قال لولا اني اخاف ان اسالك ان تنزع مني ما اعطيتني **وقال** صدقة بن يسار بينا داود عليه السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبا الله تعالى بخلق هذه فانطقها الله تعالى فقالت يا داود لا يعجبك نفسك لاني على قدر ما اتاني الله اذكر لله واشكر له منك فيما اتاك

ولمحمود الوراق

الهي لك الحمد الذي انت اهله • على نعم ما كنت قط لها اهلا
متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا • كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وكان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب اليه اشكر الله تعالى فجيء بمحبوس مجوسي مبطون وقيد فجعل حلقة في رجله وحلقة في رجل المجوسي فكان المجوسي يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول واي بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع **ولبعضهم**

ومن الرزية ان شكري صامت • عما فعلت وان برك ناطق
ارى الصنيعة منك ثم اسرها • اني اذا لبد الكريم لسارق

وقال رجل لسهل بن عبد الله ان اللص دخل داري واخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان فاخذ التوحيد ماذا كنت تصنع **ولما بشر** ادريس عليه السلام بالمغفرة سال الحياة فقيل له فيه فقال لاشكره فاني كنت اعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه فرفعه الى السما **ويروي** ان نبيا من الانبيا عليهم السلام مر بحجر صغير يخرج منه الما الكثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله تعالى يقول وقودها الناس والحجارة وانا ابكي من خوفي فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيره الله من النار فاوحى الله تعالى اليه اني اجرته من النار فمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فوجد الحجر يتفجر منه مثل ما كان فتعجب فانطق الله تعالى الحجر فقال له لم تبكي فقال ذلك بكا الحزن والخوف وهذا بكا الشكر والسرور **وروي** ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلى والمعافى فقال الاهي ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتي اياهم وابتلي رجل اعرابي ببلاء حسن فقال لا ابلاك الله بلا يعجز عنه صبرك وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك

وانشد لبعضهم

ساشكر لا اني اجازيك منعما • بشكري ولكن كي يقال له الشكر
واذكر اياما لديّ اصطنعتها • واخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وانشدوا

اوليتني نعما ابوح بشكرها • وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت • فلتشكرنك اعظمي في قبرها

ولبعض الاعراب

الهي قد احسنت عودا وبداة • الي فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة • فعذري اقراري بان ليس لي عذر

وكان مطرف يقول الاهي منك تكون النعمة وعليك تمامها وانت تعين على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد قال الله تعالى في الثنا على بعض عباده انه كان عبدا شكورا وقال شاكرا لانعمه اجتباه

وكذلك

وكذلك سائر ما اثنى الله على عباده ثم قال فمن شكر فانما يشكر لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه **وقال** تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم ليس للرب تعالى فيها لا قليل ولا كثير فانه اجل من ان ينال الحظوظ واجل من ان يحتجه ثنا مثن وشكر شاكر فاخبر ان العلو والجلال له دونهم وانه يتقدس عن الناس ثنا مثن او كفر كافر قال الله تعالى يدعوكم ليغفر لكم فواعجبا اعطي ثم اثنى **وقال علي** رضي الله عنه كفر النعمة داعية المقت ومن جازاك بالشكر فقد اعطاك اكثر مما اخذ منك وحقيق عمن اسديت اليه نعمة او قضيت له حاجة ان يكافي فان لم يقدر فليشكرها فان شكرها وفا ذي حجى **وقال الشاعر**

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد • لرفعة حال وعلو مكان
لما امر الرحمن بالشكر خلقه • فقال اشكروا لي ايها الثقلان

وقال البستي

لئن عجزت عن شكر برك قوتي • واقوى الورى عن شكر برك عاجز
فان ثنائي واعتقادي وطاعتي • لافلاك ما اوليتنيه مراكز

وقال اسحق بن ابرهيم الموصلي وقفت علينا امراة فقالت يا قوم تغير علينا الدهر اذ قل منا الشكر وفارقنا الغنا وخالفنا الفقر فرحم الله امرا فهم بعقل واعطى من فضل وواسى من كفاف واعان على عفاف

وانشدوا

فلو كان للشكر شخص يبين • اذا ما تامله الناظر
لمثلته لك حتى تراه • فتعلم اني امرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير • يحركه الكلم السائر

قيل لكسرى ما الشكر فقال المكافاة على قدر الطاعة قيل فما الكفر قال ترك الجزا ولو بالثنا قيل وهل يكون احد ابخل ممن بخل بالثنا قال نعم من عادى على الصنيعة

الباب الخامس والثلاثون

في بيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمامور ويستنبح

ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القران العظيم

قال الله تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم فاثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين ساير البهايم ومعلوم انهم لا يماثلونا في خلقنا واشكالنا ولا في عقولنا وساير ما تدركه العين منهم منا فبقي المماثلة في الاخلاق فلا احد من الخلايق الا وفيه خلق من اخلاق البهايم ولهذا تجد اخلاق الناس مختلفة فاذا رايت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فانظر ما يماثل ذلك الخلق من خلق ساير الحيوان فتحكم به وعامله كما كنت تعامله فحينيذ تستريح من مناعتهم ويستريحون منك وتدوم الصحبة **فاذا رايت** الرجل في خلايقه الغليظة في طباعه القوي في بدنه الذي لا يومن طغيانه وافراطه فالحقه بعالم النمور والعرب تقول اجهل من نمر وانت اذا رايت النمر بعدت عنه ولم تخاصمه ولا تنابذه فاسلك بالرجل كذلك **واذا رايت** الرجل الغالب على اخلاقه السرقة خفية والنقب ليلا على وجه الاستمرار قلنا هذا يماثل عالم الجرذ فدع ملاحاته ومخاصمته سيما الجرذ اذا افسد رحلك ثم احفظ رحلك بما يصلح له **واذا**

رأيت مجانا على اعراض الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فان داب ذلك الرجل ان يهجوا من لا يهجوه ويبتدي بالاذية من لا يوذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبحك الست تذهب في شانك ولا تجاوبه ولا تنبه فافعل بمن ينتهش عرضك مثل ذلك **واذا رايت** الرجل قد جبل على الخلاف ان قلت لا قال نعم او قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فان داب الحمار ان ادنيته بعد وان ابعدته قرب فانت تستمتع بالحمار ولا تنبه ولا تفارقه **واذا رايت** رجلا يطلب عثرات الناس وسقطاتهم فمثله في الادميين كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع النغلة منه وذوات المادة والدم والنجاسة **واذا بليت** بسلطان يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تاخذ حذرك من الاسد وليس الا الهرب منه كما قال النابغة ؞ ولا قرار على زار من الاسد **واذا بليت** بانسان خبيث كثير الروغان والمعاجز فالحقه بعالم الثعالب **واذا بليت** بانسان يمشي بالنمايم ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بهم ظربان فتفرقوا وخاصية هذه الدويبة اذا حصلت في وسط جماعة ان يفترقوا وكما ان الجماعة اذا اقبلت نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوها الدخول بينهم كذلك ينبغي اخراج النمام من بين الجماعة فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق فيما بينهم وتفسد قلوب بعضهم على بعض **واذا رايت** انسانا لا يسمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلما والحكما ويالف سماع اخبار الدنيا وساير الخرافات وما يجري في مجالس العوام فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبه اكل العذرات ويالف روايح النجاسات و[illegible] الامتلا بها للاخلية والرحاضات وينفر من روايح المسك والورد واذا طرح عليه المسك والورد مات **واذا رايت** انسانا دابه حفظ الدنيا لا يستحيي في الوثوب عليه فالحقه بعالم الحدية بان يكن رحلك عنه **واذا بليت** بالرجل عليه الديانة والمسكنة وقد نصب اشراكه لاخذ الدنيا واكل الحرام واموال الودايع والامانات والارامل واليتامى فالحقه بعالم الذئاب وهو كما قال النبيه القايل ؞ ذيب تراه مصليا ؞ فاذا مررت به ركع ؞ يدعوا وجل دعايه ؞ ما للفريسة لا تقع

عجل لها اذا العلي ؞ ان الفواد قد انصدع

فاحترز منه كما تحترز من الذيب **واذا بليت** بصحبة انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت في الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما لا تنتفع بالموتى لا تنتفع بالكذاب وقد قيل كل شي شي وصحبة الكذاب لا شي ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت الرمل ثم يترك واحدة على وجه الرمل واخرى تحت طاقة من الرمل وساير بيضه في قعر الحفر فاذا راه المغربي اخذ تلك البيضة وينصرف او يكشف عن وجه الرمل فيلقى الاخرى فيظن انه ليس ثم شي اخر والخبير بحالة النعام اذا راى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى يبلغ الغاية في الكشف عنه واذا رايت الرجل غاد دابه ان يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلها ويعدل عمامته ويتقي ان يصيبه شي غبرة وينظر في عطفيه ويطرح القذا عن ثوبه ليس له همة بين الجلسا الا النظر الى نفسه واصلاح ما انثنى من ثوبه فالحقه بعالم الطواويس الذي هذه صفته فانه يتبختر في مشيته وينظر الى نفسه ويغرس ذنبه فيتخذه الملوك استحسانا له **واذا بليت** بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول احقد من جمل وتجنب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل الحقود **واذا بليت** بانسان منافق يبطن خلاف ما يظهر فالحقه بعالم اليربوع وهو فار يكون في البرية يتخذ جحرا تحت الارض يقال لها النافقا وله فوهتان يدخل من احدهما ويخرج من الاخر ومنه اشتق اسم المنافق فاذا ام باخذه دخل جحره وخرج من الباب الاخر فيخفى الصياد (?)

خلفه

خلفه فلا يظفر بشي كذلك حال المنافق لا يصح شي منه وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس فتستريح منهم وتريحهم منك فلعمر الله ما استقامت لي صحبة الناس وسكنت نفسي واسترحت من مكابدة اخلاقهم الا من حيث سرت معهم بهذه السيرة **وقال الرياحي** لا تحتقروا صغيرا تاخذ وزعمه فاني اخذت من الثعلب روغانه ومن القرد حكايته ومن السنور ضرعه ومن الكلب نصرته ومن ابن اوى حذره وقد تعلمت من القمر مشي الليل ومن الشمس الظهور والحين بعد الحين

الباب السادس والثلاثون

في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور

وراحة القلوب وطيبة النفوس

اعلم ايها الملك متى كملت فيك الخصال المحمودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشيا مواضعها ثم ان الرعية احتقرت حقك وجهلت قدرك ولم توفك حظك فبلغك ما يسوك ورايت منهم ما لا يعجبك فاعلم انك لست باله فلا تطمعن ان يصفوا لك منهم ما لا يصفوا منهم للاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله تعالى خلق الخلايق اجمعين وانعم عليهم بانواع من النعم فاكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم اكمل عليهم نعمه فكملت لهم اللذات وبعد هذا فما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه واضافوا اليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الاسما الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من جسمه ومنهم من شبهه ومنهم من انكر راسا وقالوا اما الخلق صانع كما حكاه الخالق عنهم فقال نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وهو مع ذلك يحييهم ويبقيهم ويبيح احكام حواسهم ويرزقهم ويمنحهم ويقضي ماربهم واوطارهم ويمتعهم متاعا حسنا ويبلغهم امالهم في معظم ما يحتاجون اليه تعاصيهم اليه صاعدة وبركاته عليهم نازلة كل يعمل على شاكلته وينفق مما عنده وكل ذي حال ولي بحاله

وفي مناجاة موسى عليه السلام انه قال الهي اسالك ان لا يقال في ما ليس في فاوحى الله تعالى اليه ذلك شي ما فعلته بنفسي فكيف افعله بك وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن ادكر ومع ذلك ان التمست رضى جميع الناس التمست ما لا يدرك ولتعدي [illegible] رضى المخلوقين **فيا ايها الملك** الذي كتب الله عليه الفنا ذو العمر القصير والزمان اليسير والايام المعدودة والانفاس المحصورة كيف اردت ان يصفوا لك من الرعية ما لا يصفوا منهم لخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم هيهات هيهات بعد ما املت واستحال ما طلبت ولكن في الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضي منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرهم فيهم السر كيف احسن اليك فرضي منك باليسير من العمل واكثر لك من النعم والاحوال الجزل وانظر كيف يستر زلاتك ويتعهد سيئاتك ولا يفضحك في خلواتك ففي هذا ما يهذب النفوس ويودب ذوي العقول ويهدي الى اسلوب ويوضح طرق الرشاد ولله در عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد كان راعيا لما تولاه عليك فانه روي عنه انه كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك

الباب السابع والثلاثون

في بيان الخصلة التي فيها ملجا الملوك عند الشدايد ومعقد

السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال

يا ايها الملك اذا اعتلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرجت عليك وجوه الراي وتنكرت عليك المعارف واظهر لك وجه الزمان ورايت اثار الغير فلا يعدلنك خصلتان اترك للناس دينهم ودنياهم ولك الامان من طوارق الحدثان وما ياتي به الملوان وقد روي ان المامون قال في اخر مواقعه مع اخيه الامين وقد نفذت الاموال والحال لاجناد في طلب الارزاق فقال المامون بقيت لاخي خصلة لو فعلها ملك موضع قدمي هاتين قيل له وما هي قال والله اني لامن منه على نفسي فكيف على غيري فلما خلص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان الامين نادى في جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظايف السلطانية وسائر الجبايات عشر سنين ملك الامر علي ولكن الله غالب على امره ولما خشي المامون انتقاض بيعته مع اهل خراسان في فتنته مع اخيه الامين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرات القران وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقها الى الحق والعمل به واحيا السيرة وبسط العدل والقعود على اللبود وتواصل النظر في المظالم وتكرم القواد والملوك وابنا الملوك وتعدهم بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وحط عن اهل خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلايق اليه وكانوا يقولون ابن اختنا وابن عم نبينا عليه السلام وانقادوا اليه رافع بن الليث وكان من عظما ملوك خراسان ويدخل تحت هذه الترجمة امر اتفق عليه حكما العرب والروم والفرس والهند وهو ان يصطنع وجوه كل قبيلة والمقدم من كل عشيرة ويجل الحملة العلم وحفاظ الشريعة ويدني مجالسهم ويقرب الصالحين والمتزهدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والروسا المتبوعين من كل نمط فهولا ازمة الخلق وبهم تملك من سواهم فمن كمال السياسة والرياسة ان يبقي على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عز عزه وعلى كل ذي منزلة منزلته لئلا تكون الروسا لك اعوانا والاتباع دون مقدميهم وسائرهم اجساد بلا روس واشباح بلا ارواح ولما قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كبره يعالج صنعته فقال ما بال الناس قالوا قامت العامة على السلطان قال فلم راس قالوا لا قال هي الكبر يا صبي قد ذهبت مثلا ٥

الباب الثامن والثلاثون

في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان

قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة اوجه اما كريم قصر به عن قدره واورثه ذلك ضغنا واما لئيم بلغ به فوق قدره فاورثه ذلك بطرا واما رجل منع حظه من الانصاف وفي الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافاة واحسانك الى اللئيم الخسيس يبعثه على معاودة وقيل للاسكندر ان فلانا ينتقصك ويثني عليك فقال انا اعلم انه ليس بشرير فينبغي ان نعلم هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجد هارثة فامر له بصلة سنية فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثنا عليه فقال اما ترون ان الامر الينا ان تقول فينا خيرا او شرا وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقنية فيكون عليهم بلا وقنية ولكن يتخذهم اهلا واخوانا فيكونون له جندا واعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

الباب التاسع والثلاثون

في مثل السلطان العادل والجائر

مثل السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرفيعة في وسط العقد ومثل الرعية مثل

سائر الشذر فلا يحفظ العيون الا الواسطة وانما يثني المثنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة غمرت سائر الشذر فلا تكاد تذكر كما قال ابن صعدة لقيت بالحجاز بين مكة والمدينة سكينة بنت الحسين رضي الله عنه وعنها فسفرت لي عن وجه ابنتها واذا وجهها كانه قطعة قمر وقد اثقلتها بالجواهر واليواقيت وانواع الدرر فالتفتت الي وقالت والله ما علقته عليها الا لتفضحه وكان جمال السلك فيما يلي الواسطة الافضل فالافضل من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان معيب النظر كذلك السلطان ينبغي ان يكون الاقرب فالاقرب اليه اهل العلم والادب والعقل والراي والاصالة والشرف والحصافة وذوي الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكما ان جمال العقد بواسطته كذلك جمال الرعية بكمال سلطانهم وفضله وبراعته وعدله ومثل السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت الم وقلق وتداعي لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين لها في بيوت من الالات والمناقيش والابر على اخراجها لانها في غير موضعها فينبغي ويوشك ان يقلع بالاحرى فاين غير الياقوت من شوكة القتاد

الباب الموفي اربعون

فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعا لاهله وراس الوعا اطيب ما فيه كان راس الجرة ارق واصفا من اسفلها فلئن قلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية ايضا ليسوا كمن مضى من الرعية ولست بان تذم اميرك اذا رايت اثار من مضى منهم باولى من ان يذمك اميرك اذا نظر اثار من مضى من الرعية فاذا جار عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر روى البخاري عن عبادة بن الصامت قال بايعنا النبي عليه السلام على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من اميره شيئا فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم انكم سترون بعدي اثرة وامورا تنكرونها قالوا فما تامرنا يا رسول الله قال ادوا اليهم حقهم واسالوا الله حقكم وروي ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سياتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سالوا ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم وليدعوا لكم وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب فتدفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم وتكف اللسان عن سبهم يا عبد الله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعا عليه ولكن الثقة بالله فلا محنة فوق محنة ابرهيم عليه السلام لما جعلوه في كفة المنجنيق ليقذف به في النار قال اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم واكفني كيدهم ٥ وقال مالك بن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اني انا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وفي بعض الكتب ابن ادم تدعوا على من ظلمك ويدعوا عليك من ظلمته فان شئت اجبناك واجبنا عنك وان شئت اخرت الامر الى يوم القيمة فيسعكما العفو وقال سليمن بن داود عليهما السلام لا تجعل ملجاك في الاعدا المكافاة ولكن الثقة بالله وروى ابو داود في السنن قال سرقت ملحفة لعايشة رضي الله عنها فجعلت تدعوا على من اخذها فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تسبخي عنه يعني لا تخففي عنه فنهاها عن الدعا على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعايه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موفقا ما ظلمك فان استجيب دعاوك فيه زاد ظلمه لك ومن الالفاظ المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان وقال الفضيل لو ظفرت ببيت المال ٥

لاخوتي من حلاله وصنعت منه اطيب الطعام ثم دعوت الصالحين واهل الفضل من الاحيا والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ادعوا ربنا ان يوفق ملوكنا وساير من يلي علينا ويجعل لنا امرنا **ولما قدم** معوية المدينة دخل دار عثمن فقالت عايشة ابنة عثمن وا ابتاه فقال معوية يا ابنت اخي ان الناس اعطونا طاعة واعطيناهم امانا واظهرنا لهم حلما تحت غضب واظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري اعلينا تكون ام لنا ولان تكوني ابنة عم امير المومنين خير من ان تكوني امراة من عرض المسلمين **وروي** ان رجلا من العقلا غصبه بعض الولاة ضيعة فاستعدا عليه الى المنصور فقال له اصلحك الله اذكر لك حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب لي قبلها مثلا فقال اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه انه لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد واوذي كان فراره وشكواه الى ابيه لعلمه بان اباه اقوى من امه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه امر شكا الى الوالي لعلمه بانه اقوى من ابيه فان زاد عقله واشتدت شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بانه اقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكى الى الله تعالى لعلمه بانه اقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك فان انصفتني والا رفعت امرها الى الله تعالى في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى فقال بل ننصفك وامر ان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه

الباب الحادي والاربعون

في كما تكونوا يولى عليكم

لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم كما تكونون يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القران قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما انكرت من زمانك فانما افسده عليك عملك **وقال عبد الملك** بن مروان انصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في انفسكم بسيرتهما نسال الله ان يعين كلا على كل **وقال قتادة** قالت بنوا اسرايل الهنا انت في السما ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فاوحى الله تعالى الى بعض انبيايهم اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم **وقال** عبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه يا امير المومنين ما بال ابي بكر وعمر انطاع الناس لهما والدنيا عليهما اضيق من شبر فاتسعت عليهما ووليت انت وعثمن الخلافة ولم ينطاعوا لكما وقد اتسعت فصارت عليكما اضيق من شبر فقال لان رعية ابي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمن ورعيتي انا اليوم مثلك وشبهك **وكتب** اخ لمحمد بن يوسف يشكوا اليه جور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه الا من شوم الذنوب والسلام

الباب الثاني والاربعون

في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية

اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثرا في تمسكهم بادبانهم وحفظهم لمروآتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزهه عن سفساف الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه عن سجايا اهل البطالة والمجون واللعب واللهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لذلك الرجل الخليع

والماجن

والماجن ابو نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه اوهن بها سلطانه ووضع عند الخاص والعام قدره واطلق السنة الخلق بالشتم والثنا القبيح على نفسه فخلعه بذلك اخوه المامون من الولاية ووجه طاهر بن الحسين لمحاربته ببغداد وحاربه حتى قتله وانفذ براسه الى المامون وكان يعمل كتبا تقرا على المنابر من خراسان ويقف الرجل فيها من اهل العراق فيقول اهل فسوق وخمور وماخور ويعيب الامين بذلك فيقول استصحب ابا نواس رجلا شاعرا ماجنا كافرا استخلصه معه لشرب الخمور وارتكاب الماثم ونيل المحارم **وهو القايل**

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ۞ ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

وبح باسم من اهوى ودعني من الكنا ۞ فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت له وجوه الراي فلما بلغ الامين حبسه ثم اطلقه بعد ذلك بعد ان اخذ عليه ان لا يشرب خمرا ولا يقول فيه شعرا فمتى اراد السلطان استصلاح رعيته وهو متمادي على سيي اخلاقه كان كمن اراد بقا الجسد مع فقد راسه او اراد استقامة الجسم مع عدم حياته وكمن اراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكمن يجني الثمر مع فساد الما ولقد اصاب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك يكون الناس تبعا لك وقد قيل من اصلح نفسه ارغم انف اعاديه ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه **وسيل** بعض الحكما بم ينتقم الانسان من عدوه قال باصلاح نفسه

ولابي الفتح البستي

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا ۞ فاحكم على ملكه بالويل والحرب

اما ترى الشمس في الميزان هابطة ۞ لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب حملت طيبا فمحال استصلاح رعيتك وانت فاسد وارشادهم وانت غاو وهدايتهم وانت ضال وقد سبق المثل ومن العجايب اعمش كحال وسولا العرب يا طبيب طب نفسك وكيف يقدر الاعمى على ان يهدي والفقير على ان يغني والذليل على ان يعز وتعبد عن تطهير غيره من العيوب قبل تطهير نفسك لبعد الطبيب من ابراء غيره من دا به مثله **وقال** بعضهم كما ان الهند لن يبلغ الف رجل في اصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل ما يبلغ رجل واحد باصلاح الف رجل بحسن الفعال دون القول

وفيه قال القايل

يا ايها الرجل المعلم غيره ۞ هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدوا لذي السقام من الضنا ۞ ومن الضنا ممرضك انت سقيم

ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا ۞ صفة وانت من الرشاد عديم

ابدا بنفسك فانهها عن غيها ۞ فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويهتدي ۞ بالراي منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتاتي مثله ۞ عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم عند فوت صلاحه استعماله عليهم الخاصة منهم ذوي الاحلام الراجحة والمروات الغالية والاديان الطاهرة فتي دل له سرايرهم فهو الطريق الى حفظ مرواتهم وادبانهم وتماسكهم عن الانهماك في المحظورات وملازمة المحرمات

وقال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ۞ ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال بزرجمهر الفارسي خصلتان في السلطان اقرب الى صلاح الرعية مما سواهما شدة الراي وشدة الرحمة وما احوج السلطان ان يسلك بالرعية كل سبيل يعطفون عليه ويسودونه معه لحينيذ يكون رئيسا على الرؤسا

وامبرا على الامرا وان هملهم وركوب شهواتهم وتوسط لذاتهم ذهبت ادبابهم وسقطت مروأتهم وبقوا كما جا المثل في الجماعة المذمومة يقول العرب في القوم لا روسا فيهم ولا سراة بينهم هم سواسيه كاسنان الحمار وتقول سواسيه كاسنان المشط

وفيهم يقول الشاعر

سواسية كاسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشي فضلا

والان يكون امبرا على الروسا والفضلا خير من ان يكون امبرا على الاخسا والرمادية والغاعه والدبا **وقد قال** عبد الملك بن مروان يوما وقد استعار له الامر بعد رجل من عبد الله بن عمر فانه ابي ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسايه تستحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر على من اكون اميرا **ولما** صار داود الى ماصار اليه في الدولة العباسية ليقتل من هناك من بني امية قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم اذا انت قتلت كفاك لمن تباهي بسلطانك اعف يعف الله عنك نعفا **وقال** ارسطاطاليس للاسكندر استصلح الذي واذهب شرهم تكون ربيئا لاخيار محمود حين ولا يكون ربيئا لاشرار مذموم فيكون كراعي البقر

الباب الثالث والاربعون

فيما يملك السلطان من الرعية

كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان تظفر منهم بالمحبة فان طلبك ذلك بالاحسان هو ادوم من بقاء منهم بالاعتساف واعلم انك انما تملك الابدان فتخطاها الى القلوب بالمعروف واعلم انه اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الريا والتصنع **وفي سير** المتقدمين قلوب الرعية خزاين ملوكهم فما اودعوها من شي فليعلموا انه فيها واعلم ان الرعية اذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل فاجتهد من ان لا تقول تسلم من ان تفعل وليس هذا خلاف ما روي عن معاوية ان رجلا اغلظ عليه فحلم عنه فقيل له اتحلم عن مثل هذا فقال اني لا احول بين الناس وبالسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك ان تفسير قوله فاجتهد ان لا تقول يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشي وهذه السيرة من سيرة اردشير لما رفع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما نملك الاجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضا ونفحص عن الاعمال لا عن السراير قلت وانما تحسن هذه السيرة لمن عجز عن الاولى لان ملكا الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين هذا من قوله وقد رفع اليه انك ركبت امس في عدة قليلة وتلك حالة لا تومن اغتيال الاعدا فيها فوقع من عم احسانه امن اعداه وما احسن ما قال عبد الملك بن مروان يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرايح على فراخه ينفي عنهم القذا ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذباب يا اهل الشام انتم الجنة والردا وانتم العدة والحذا **وقالت العجم** اسوس الملوك من قاد رعيته الى طاعته بقلوبها ولا ينبغي للوالي ان يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير **وقال** عمر بن عبد العزيز اني لاجمع ان اخرج للمسلمين امرا من العدل فاخاف ان لا تحمله قلوبهم فاخرج معه طمعا من طمع الدنيا فان نفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا **وقال** معاوية لزياد من اسوس الناس انا او انت فقال يا امير المومنين ما جعل الله رجلا حفظ الناس بسيفه كمن سمع الناس واطاعوه باللين **ويروي** ان سليم مولى زياد فخر بزياد عند معاوية فقال معاوية اسكت فما ادرك صاحبك شيئا بسيفه الا ادركت اكثر منه بلساني

الباب الرابع والاربعون

في التحذير من صحبة السلطان

اتفقت الحكما العرب والعجم ووصاياهم على النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليله ودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وايتمان النسا على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم منه خطرا صحبة السلطان **وقال** مردك احق الامور بالتثبت في امر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور **وفي حكم الهند** ايضا صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر وانما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية والغيا المهلكة فالارتقا اليه شديد والمقام فيه اشد وليس يتكافى خير السلطان وشره لان خير السلطان لا يعدو مزيد الحال وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التي لها طلب المزيد ولا خير في الشي الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجايحة والتلف ولهذا ما قال العتابي لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رايته يعطي عشرة الاف في غير شي ويردي من الصور في غير شي ولا ادري اي الرجلين اكون **واخبرني** ابو العباس الحجازي وكان ممن دوخ ارض الهند والصين وانتهى الى صين الصين الى جبل الياقوت بالهند دان فيه ثعابين ليس في معمور الارض اعظم منها وان الواحد منها ليبلع الثور صحيحا فلا يصل احد الى ذلك الجبل ولا يقربه فاذا كثرت الامطار انحدرت السيول بما فيه من المنافع الى مستقر المياه على سبعة ايام من الجبل فيجي الناس على ذلك الحصا فتوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من احجار الياقوت **وقال** معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويرضى رضى الصبي ويبطش بطش الاسد **وقال رجل** من العامة ما صحب السلطان فيه ولا اتى السلطان الا ان يرسل اليه **وقال** الاحنف بن قيس ثلاث لا يومن الا ليعتبر بهن لا احلف جليسي الا بما احضر به ولا ادخل في امر لا ادعى فيه **وقال ابن المقفع** لابنه ان وجدت عن السلطان وصحبته غنا فاغن عنه نفسك واعتزل بجهدك فانه من ياخذ السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا ومن لا ياخذه بحقه يحتقب الفضيحة في الدنيا والوزر في الاخرة **وقال ميمون** قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني اربعا لا تصحب سلطانا وان امرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامراة وان اقراتها القران ولا تصل من قطع رحمه فانه لك اقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا **وفي منثور الحكم** لذة الاشتغال مذهلة عن وجود اللذات بكنهها وكم قد راينا وبلغنا ممن صحب السلطان من اهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه فسد هو به كما قال الاول

عدوى البليد الى الجليد سريعة ● والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من يصحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حايطا مايلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحايط عليه فاهلكه **وفي كتاب** كليله ودمنه لا يسعد من ابتلي بصحبة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وفا ولا قرابة ولا حميم لا يكرم عندهم الا ان يطمعوا عنده فيقربوه عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم تركوه ولا ود ولا اخا الا الجزا والذنب لا يغفر له **وقال بزرجمهر** لا تصلح صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا موافاة الاخوان الا باللين والمواساة **وقال** يعرف كما العربي المال والسلطان مفسد ان لكل احد الا رجل له عقل كامل **وقالت الحكما** صاحب السلطان كراكب الاسد يهابه الناس وهو لمركبه اخوف **وقالوا** من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته كالكرم لا يعلو الا كرم الشجر بكونه باذنابه **وكانت** العرب تقول ان لم تكن من قرب السلطان فكن من بعد بابه **وفي حكم الهند** انما مثل السلطان في قلة وفايه في صحابه وتخانفه عمن فقد منهم كمثل البغي والمكاتب كلما ذهب واحد جا اخر **والعرب**

تقول السلطان وعدوات وذو بدوات ودو تدرا يريد انه سريع الانصراف كذا به وانه جامع على الامور واصله من الذر او هوا الدفع ن

الباب الخامس والاربعون

في صحبة السلطان وقربه

قال ابن عباس قال لي ابي يا بني اني ارى امير المومنين يستجلبك ويستشيرك ويقدمك على الاكابرين اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني اوصيك بخلال ثلاث لا تفشين عليه سرا ولا تجرين عليه كذبا ولا تغتابن عنده احدا قال الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من الف قال اي والله ومن عشرة الاف وقالوا اصحب السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالجهد والعامة بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن راي الملك الا بحسن اثره وقال بعض الحكما لا تستطلع السلطان اسرار ما كتمك ولا تفش ما اطلعك عليه من ذلك لعل السلطان يستثقله ومن امتن عليه عاداه ومن اظهر انه يستشيره باعده وقال بعض الحكما اذا زادك السلطان تانيسا فزده اجلالا واذا جعلك السلطان اخا فاجعله ابا وان زادك فزده يعني السيد مع عبيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فاحذر والى اثنا فعليك بالدعا وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على روس الناس فلا تالوا بما عظمته وذكرته وقال ابن المقفع لتكن حاجتك في سلطانك ثلاث خصال ارضا ربك ورضا سلطانك ورضى من تلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذخر فسياتيك منهما ما يكفي ويطيب وقال مسلم بن عمرو لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا جفاك ولا تتغير اذا اقصاك وروي ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له اصحبك على ثلاث خلال قال وما هي قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تنتبل في قولي قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عندك قال لا افشي لك سرا ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب المستصحب انت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع اولى الناس بالهلكة الفاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالمحبة المتاكدة وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اعظم من ايقاعه اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انسك بهم فهو حشهم منك لا تغط السلطان بجحودك في اول صحبتك لهم فلا تجد بعد المزيد موضعا عدم السلطان علم السلطان وكانك تتعلم منه واشر عليه وكانك تستشيره اذا احلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير لك فيكونون عليك اياك ان تعادي من اذا شا يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذر زيارة المحوه وفيه قيل له

ليس الشفيع الذي ياتيك موتزرا ... مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا

وفي الامثال لا تدل فتمل ولا توحش فتجفى وقال الرشيد لاسمعيل بن صبيح اياك والدالة فانها تفسد الحرمة وقال سليمن بن داود عليهما السلام لا تبغض السلطان ولا تبعد عنه وقالت الحكما شدة الانقباض عن السلطان يورث التهمة وشدة الانبساط ينتج باب الملالة واعلم ان من طلب العز بلا ذل كانت ثمرة سعيه الذل احرز منزلتك عند السلطان بمثل ما اكتسبتها من الجد والمناصحة واحذر ان يحطك لهوان عما رقاك اليه التحفظ

اسقا

اشقا الناس بالسلطان صاحبه كما ان اقرب الاشيا الى النار اسرعها احتراقا ومن لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته وقال الاحنف بن قيس لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من اشرف للسلطان ارداه ومن تضرع له تخطاه وقال ابن عباس رضي الله عنه ثلاثة من عاداهن عادت عزته ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه انما يستطيع صحبة السلطان احد رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل مهين لا يحسده احد فاما من اراد ان يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف فقل ما يستقيم له صحبتهم لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته فيطعن عليه ليقصيه فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان بعرض الهلاك وقال بعض الحكما من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الاخرة لا يوحشك من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك للضرورة اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشرط نفسا ويخرج دمه وفي الامثال لا حلم لمن لا سفيه له وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة استصحب معه رجالا انه ما يستدفع به شر السفها واهل الدعارة والوغادة وقال المعتصم ان للسلطان لسكرات فمنها الرضى عمن استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضا ومنه قول الحكما خاطر بنفسه من لج في البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان وقال ابن المقفع لابنه لا تعدن شتم السلطان شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العز تبسطه في غير باس ولا سخطه وقال سامي احد حكما الفرس اربعة اشيا ينبغي ان تنشر للفهم كما تنشر للبليد ولا تكل فيها على ذكا احد تاويل الدين واخلاط الادوية وصفة الطريق المخوف والراي في السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك الاخر نسي الاول فارحامهم منقطوعه وحبالهم مصرومة الا من رضوا عنه في وقتهم وساعتهم واذا رايت من الوالي خلالا لا تعجبك فلا تكابره على ردها فانها رياضة صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رايه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطايا اكثر من تبصيرك والعدل برحكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا امكن اقلع الخطا ولا تطلب ما قبل الوالي المسيلة ولا تستبطيه وان ابطا ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستثنيا فانك اذا استحققته اتاك من غير طلب واذا لم تستبطه كان اعجل له وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المراة العاقلة القبيحة الزوج الاحمق المبغض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تكل لي هرون الرشيد فقال له ارض بقليله من كثيره واياك ان تتخطه فيكون سخط منك

الباب السادس والاربعون

في سيرة السلطان مع الجند

اعلم ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والحد الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في نحره فهم يذبون عن الحريم ويومنون السبيل ويسدون الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والذادة عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند الجد عند اللقا والصبر عند البلا فان كانت لهم الغلبة فليمعنوا في الطلب وان يكن عليهم فليكسروا الاعنة ويحموا الاجنة ويذكروا اخبار غد وينبغي للملك ان يتفقد جنوده كتفقد صاحب البستان بستانه فليقلع العشب الذي لا ينفعه ثم العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافاة لهم على قدر عنايهم وبلاهم وجنود الملوك وعددها وقت على سعودها الامة ونحوسها وقال ابرويز لابنه شيرويه لا توسع على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطا قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع

عليهم في الرجا ولا توسع عليهم في العطا ولما افضى الامر الى ابي جعفر المنصور انفذ جيشا وقال لقواده بسيرة ادم كيلا يمثل هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجع كلبك يتبعك فقام ابو العباس الطوسي فقال يا امير المومنين اخشى ان يلوح غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ويروى ان كسرى صنع طعاما في سماط فلما فرغوا ورفعت الالات وتفرقوا عنه على رجل من اصحابه قد اخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الالات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال ما لكم قالوا افتقدنا جاما من الجامات فلما كان بعد ايام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحالة مستجدة فقال له كسرى هذا من ذاك قال نعم ولم يقل له شيا وسئل عمرو بن معاذ وكان على الطوايف بم فتحت على جنوس الطابقة وكان يغزو في كل سنة ويجر الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهور والتعديد وكسر الكعك وروى ان بعض امرا العرب كان ظالما لرعيته شديدا الاذى لهم فلما لم تعوتب في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به بعض الحكما فقال ربما اكل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه ۞

الباب السابع والاربعون

في سيرة السلطان في استجبا الخراج ۞

ايها الملك من طال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن ونتاجه العدل هو حصن السلطان ومادة الملك والمال اقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يوخذ من حقه ويوضع في حقه ويمنع من سرف ولا يوخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشهم ومصالحهم ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها فيا ايها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام ۞ ايها الملك من جباية الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقه تنال من الدم اذا ولا اسماع صوت ما لا تنال البعوضة بلسعتها وهول صوتها ولما عزل عثمن عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي السرح فحمل من المال اكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمن يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم اعجفتم اولادها وقال زياد احسنوا الى المزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا وفي منثور الحكمة من جاوز في الحلب حلب الدم وفي الامثال اذا استقصا الحالب حتى اماه رضعته وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم واسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج الجور والتحامل ومثل السلطان اذا حمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه وياكله من الجوع فهو وان قوي من ناحية ضعف من ناحية وما ادخل على نفسه من الوجع والضعف اعظم مما دفع عن نفسه من الم الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذي يطين السطح بتراب اساس بيته ومن يدين جذع العمود لو شك ان يضعف فتقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب البلاد وتهرب الزراع فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعدا في السلطان ايها الملك كن بما يبقى في يد رعيتك افرح منك بما تاخذ منهم لا يقل مع الصلاح شي ولا يبقى مع الفساد شي وصيانة القليل فليس بتربية للجليل فلا مال لاخرق ولا عيلة لمصلح وروي ان المامون ارق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه بحديث فقال يا امير المومنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا انكحك ابنتي الا ان تجعل في صداقها ماية ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر عليها الان ولكن اذا دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المامون وجلس للظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد امر الولاة وسمعت

بعض

بعض شيوخ الجند لبس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال اهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وامر العدو في ضعف وانتقاص لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرتفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في اخر ايام ابن ابي عامر فرد عطايا الجند مشاهرة تقبض الاموال على التقطع وقدم على الارض جباة يجبونها فاكلوا الرعايا واجتحفوا اموالهم واستضعفوهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى اخذ الكثير منها ولم يزل امر المسلمين في نقص وامر العدو في ظهور الى ان دخلها المتلثمون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم ولا ادري ما يكون وراء ذلك ۞

الباب الثامن والاربعون

في سيرة السلطان في بيت المال ۞

وهذا باب سلكت فيه ملوك الطوايف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبيا والمرسلين والخلفا الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحجبها عن الرعية وتعدها ليوم كريهة على ما بيناه في الباب قبله وكانت الرسل والخلفا بعدهم تبذل الاموال ولا تدخرها وتصطنع الرعية وتوسع عليهم وكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمتم ان جوعه كان اكثر من شبعه وانه مات ودرعه مرهونة في صاع من شعير عند يهودي وكذلك الخلفا الراشدون بعده ابو بكر وعمر وعثمن وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز وكان النبي عليه السلام لما فتح الله اليه كانت تجبى له الاموال فيفرقها ليومها وقد توضع في المسجد وتعرض للانتطاع ويفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال وروى ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشا الاخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وفي يديه خريطة فيها ذهب فقسمه ثم قال ما ظن ال محمد لو ادركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفا الراشدين بعده وانما كان الخلفا تقسم الاموال التي تجبى من حلها بين المسلمين وربما كان يفضل منها فضلات فتجعل في بيت او يجيء بها الناس غدا في ذلك الوقت فتجعل في بيت فمن حضر من غايب او احتاج من حاضر قسم له حظه ثم تفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضا يا حمرا ابيضي واحمري وغري غيري ثم امر فقسم جميع المال الذي فيه على المسلمين وامر قنبر ان يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثير من الملوك ساروا في بيت المال على نحو هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما اهلك بلاد الاندلس وسلط عليها الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم يكن لهم بيوت اموال وكانوا ياخذون الجزية من بلاد الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم على رجاله بالطاس ويأخذ مثل ما ياخذون وقد لا ياخذ شيا منها ۞ وانما كانوا يصطنعون بها الرجال وكانت ملوكنا تحجز الاموال وتضيع الرجال فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت اموال فبهذه الحيلة قهرونا وظهروا علينا وكان من يذهب بهذا المذهب ولا يحجز الاموال تضرب به الامثال ويقول العدو والملك بيت المال وصديقه جند فاذا ضعف احدهما قوي الاخر واذا ضعف بيت المال بذله للحماة قوي الناصر واشتد باس الجند وقوي الملك واذا قوي بيت المال واستلاب الاموال قل الناصر وضعف الحماة فضعف الملك فوثب عليه الاعدا وقد شاهدنا في بلاد الاندلس شاهده واذا كان الدفاع في الرجال لا في الاموال وانما يدفع بالاموال بواسطة الرجال فلا شك ان بيت رجال خير من بيت مال وقال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع الاموال لتقوى بها على الاعدا فان في جمعها تقوية الاعدا يا بني انك اذا جمعت الاموال اضعفت

الرجال فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو وانما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيه عين معينة فاقام
قاما على البستان فاحسن تدبيرها فشد من ارضها وغرس اشجارها وحظر على جوانبها ثم ارسل عليها الماء حتى عودها
فقويت اشجارها واينعت ثمارها وزكت بركاتها فكانوا جميعا في امان من الضيعة ولا يخافون فقرا ولا شتا فان هو
رغب في غلتها وجباها فلم ينفق فيها ما يكفيها ولا ساق لها من الماء ما يرويها رغبة في الغلة وظنة بالمال ضعفت
عمارتها ورقت اشجارها وقلت ثمارها وذهبت غلتها ومحق الدهر ما جاء من غلتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا
ومثل الملك في جمع المال ليقوى على عدوه مثل طاير ينتف ريشه ويمص اصولها ويأكل ما نبت منها فلذ له طيبها
واعجبه خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى حف ريشه فسقط الى الارض فاكلته الهوام
والحشرات **ورايت** في اخبار بعض الملوك ان وزيره اشار عليه بجمع الاموال واقتنا الكنوز وقال ان الرجال
ان تفرقوا عنك يوما فمتى احتجتهم عرضت عليهم الاموال فيها هفتوا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد
قال نعم قال هل بحضرتنا الساعة ذباب قال لا قال فامر باحضار جفنة فيها عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب
لوقتها فاستشار السلطان بعض اصحابه في ذلك فنهاه عنه وقال لا تغير قلوب الرجال فليس في كل وقت اردتهم حضروا
قال هل لذلك من دليل قال نعم اذا امسينا ساخبرك فلما اظلم الليل قال الملك هاتا الجفنة فحضرت ولم تحضر ذبابة
واحدة **وقد روينا** عن سيرة بعض السلاطين في ارض مصر وكان قد ملكها وكان اسمه بلدقوز انه كان يجمع الاموال ولا
يحفل بالرجال فقال له اصحابه ان امير الجيوش بالشام يتوعدك وكاتبه وقد قدم عليك فاستعد الرجال وانفق فيهم
الاموال فاومى الى صناديق موضوعة عنده وقال الرجال في الصناديق فغزا امير الجيوش ذلك الملك في مصر وقتله
وتسلم الصناديق والملك وكان رايه رايا فاسدا لان رجالا لا نفقهم لوقته ليس فيهم غنا ولا عندهم دفاع ولا
ممارسة للحروب **ومن التبصر** المروية في هذا الباب انه لما فتحنا العراق جي بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال
ادخله بيت المال قال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى تقسمه فغطي في المسجد بالانطاع وحرسه رجال
من المهاجرين والانصار فلما اصبح نظروا الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدر تبلالا فبكا فقال له
العباس او عبد الرحمن بن عوف والله يا امير المؤمنين ما هذا بيوم بكا ولكنه يوم شكر وسرور فقال اني والله ما
ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم الا وقع باسهم بينهم ثم اقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم
اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني اسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال اين سراقة بن جعشم
فاتي به اشعر الذراعين دقيقهما فاعطاه سواري كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله اكبر فقال الله اكبر ثم قال
قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة بن جعشم اعرابيا من بني مدلج ثم قلبهما وقال ان الذي ادى هذا
لامين فقال له رجل انا اخبرك انت امين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما اديت الله تعالى فاذا رتعت رتعوا قال صدقت
وانما البسهما سراقة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة وقد نظر الى ذراعيه كاني بك وقد لبست سواري
كسرى ولم يجعل له الا السوارين **ولما ولي** ابو بكر الصديق رضي الله عنه جاءه مال من العمال فصب في المسجد
فامر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضر قال ابو ايوب الانصاري فجيته فقلت
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي عليه السلام قال لي لو قد جاني مال اعطيتك هكذا وهكذا واشار
بكفيه فسكت ابو بكر فانصرفت ثم عاودته فسكت عني ثم انصرفت وعاودته فقلت له اما ان تعطيني واما ان تبخل
عني فقال اما ابخل عنك اذهب فخذ حفنة حفنة فاعدها فعددتها فوجدت فيها خمسماية دينار فقال عد مثليها
فانصرفت بالف وخمسماية دينار وابو ايوب من اغنيا الانصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم فدل الحديث
على ان بيت المال للغني والفقير ودل ايضا انه لا يجب ان يساوي فيه جميع المسلمين بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام

فصل

فصل قال الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي قال وجدت في كتاب قبطي بالاقلام الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ
ما كان يستخرج لفرعون يوسف من اموال مصر بحق الخراج مما يوخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والاجمال نصاف
والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للمتعاملين ونحو
ذلك من العين اربعة وعشرون الف الف واربعماية الف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد لحفر الخليج
والانفاق على الجسور وسد الترع واصلاح المنشيات ثم في تقوية ما يحتاج اليه تقويته من غير رجوع عليه بها
لاقامة العوامل والتوسعة في البذار وغير ذلك من الالات واجرة من يستعان به وحمل البذار وساير نفقات تطبيق
الارضين ثمانماية الف دينار وما ينصرف في ارزاق الاوليا الموسومين بالسلاح ومن في جملتهم من الشاكرية والغلمان
واتباعهم وعدة جميعهم مع الف كانوا موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم ماية الف
واحد عشر الف ثمانية الاف الف دينار وما ينصرف للارامل والايتام مرضونة من بيت المال وان كانوا
غير محتاجين حتى لا يخلوا من بر فرعون اربع ماية الف دينار وما ينصرف في هيئة براتبهم وساير بيوت صلواتهم
ماتا الف دينار وما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا وينادي برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة
لا احضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والا مثا جلوس فاذا راوا انسانا لم يجر رسمه بان ياخذ افرد بعد قبضه
ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطايفة عدد دخل بها فرعون فهنوه بتفرقة المال ودعوا له بطول
البقا ودوام العز والسلامة وانهى اليه حال تلك الطايفة فيامر بتغيير شعثها بالحمام والباس ثم يمد لها
السماط فياكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من افة الزمان رد عليه
مثل ما كان له وان كان من سو راي وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه وياخذ بالادب المعرفة الى ان يصلح
ماتا الف دينار وما ينصرف من نفقات فرعون الراتبة لسنته ماتا الف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها
تسعة الاف الف وثمانماية الف دينار ويحصل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام ويحمله
لفرعون في بيت المال للنوايب لزمان اربعة عشر الف الف وستماية الف دينار **وقال** بوزهم كانت ارض مصر ارضا
مدبرة حتى ان الماء يجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاوا ويرسلونه كيف شاوا وذلك قول فرعون
اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض ملك اعظم من ملك
مصر وكانت الجنات بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها شي عن شي والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر
كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا في جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من اولها الى اخرها وذلك
قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان
لها الف منبر **وقال عبد الله** بن عمر استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل
اهل القرى يسالونه ان يجري الخليج تحت قريتهم ويعطوه ما لا وكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق والى
الغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف اراد وليس في مصر خليجا اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك اموال
عظيمة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم
من خزاينه وذخايره ولا يرغب فيما بايديهم رد على اهل القرى ما اخذت منهم فرده عليهم اموالهم **فهذه سيرة**
من لا يعرف الله ولا يرجو لقاه ولا يخاف عذابه ولا يومن بيوم الحساب **فكيف** يجب ان تكون سيرة من يقول
لا اله الا الله ويومن بالحساب والثواب والعقاب **وقال** ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى اجعلني
على خزاين الارض اني حفيظ عليم قال على خزاين مصر وكانت اربعين فرسخا في مثلها ولم يطع يوسف فرعون بعد
وبنوته الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم الخبيثة قال اجعلني على خزاين الارض **ولما** استوى

امر يوسف الصديق عليه السلام وكمل وصارت لا شيا اليه واراد ربك ان يعوضه على صبره لما لم يرتكب
محارمه وخلت سنو الغلامات العزيز وذهبت الذخاير وافتقرت زليخا وعمي بصرها وجعلت تتكفف الناس
فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويعينك فطال ما حفظتيه واكرمتيه ثم قيل لها لا تفعلي فانه ربما
يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسي اليك ويكافيك فيما سبق منك اليه فقالت انا اعلم بحلمه وكرمه
وجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زها مايه الف من عظما قومه واهل مملكته
فلما احست به قامت وقالت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف
ومن انت قالت انا الذي كنت اخدمك على صدر رقدمي وارجل جمتك بيدي واكرم مثواك بجهدي وكان مني
ما كان وذقت وبال امري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت اسال الناس فمنهم من يرحمني ومنهم
من لا يرحمني بعد ما كنت مغبوطة اهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم هذا جزا المفسدين فبكا يوسف
عليه السلام بكا شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شيا فقالت والذي اتخذ ابرهيم خليلا لنظرة
اليك احب الي من ملي الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف عليه السلام وارسل اليها وقال ان كنت ايما تزوجناك
وان كنت ذات بعل اغنيناك فقالت للرسول الملك اعوذ بالله من ان يستهزئ بي هو لم يردني ايام شبابي وجمالي
فكيف يقبلني وانا عجوز عميا فقيرة فامر بها يوسف عليه السلام فحملت الى قصره فتزوجها وادخلت عليه فصفت
قدميه وجعل يصلي ودعا الله تعالى باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شبابها وجمالها وبصرها كهيئتها
يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افراثيم بن يوسف وميشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما
حتى فرق الدهر بينهما فيجب للقوي ان لا ينسى الضعيف وللغني ان لا ينسا الفقير فرب مطلوب يصير طالبا
ومرغوب اليه يصير راغبا ومسول يصير سايلا وراحم يصير مرحوما فهذا يوسف الصديق عليه السلام انظر
الى ضعفه في يد اخوته يوم الجب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع وهذه زليخا ملكة مصر وسيدة اهلها عادت
تتكفف في الطرقات قال الله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فكان يوسف
عليه السلام بعد هذا يجوع ويأكل خبز الشعير ولا يشبع فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض قال اخاف ان اشبع
فانسى الجايعين **وقد رايت** ان الحكمة منتقبة في مثلها يتنافس العقلا ويرغب فيها الملوك والوزرا **وذلك**
انها كانت بالعراق وكان الوزير نظام الملك الغالب على القابه خواجا بزرك رحمه الله قد وزر لالب ارسلان
ملك الترك بن الب ارسلان وكان قد وزر لابيه من قبله فقام بدولتيهما احسن قيام فشد اركانها وشيد بنيانها
واستمال الاعدا ووالى الاوليا واستعمل الكفاه وعم احسانه العدو والصديق والبغيض والحبيب والبعيد والقريب
حتى القى الملك بجرانه وذل الخلق لسلطانه وكان الذي مهد له ذلك باذن الله تعالى وتوفيقه انه اقبل بكليته على
مراعاة حملة الدين فبنا دور العلم للفقها وانشا المدارس للعلما واسس الرباطات للصوفية والعبادوالزهاد
واهل الصلاح والفقرا ثم اجرى لهم الجرايات والكسا والنفقات واجرى الخبز الى من كان من اهل طلب العلم
مضافا الى ارزاقهم وعم بذلك سابر اقطار مملكته فلم يكن من اول الشام وهي بيت المقدس الى ساير بلاد الشام
الاعلى وديار بكر والعراقين وخراسان واقطارها الى سمرقند من وراء جيحون مسيرة زها مايه يوم حامل علم او
طالبه او متعبد او زاهد في زاويته الا وكرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من بيوت امواله
في هذه الابواب ستمايه الف دينار في كل سنة فوشى بها الوشاة الى ابي الفتح واغروا صدره عليه وقالوا ان هذا
المخرج من بيوت الاموال يقيم به جيشا يركز رايته بسور قسطنطينية فاثر ذلك في قلب ابي الفتح فلما دخل عليه
قال له يا ابت بلغني انك تخرج من بيوت الاموال كل سنة ستمايه الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني عنا فبكى نظام الملك

وقال يا بني انا شيخ اعجمي لو نودي علي فيمن يزيد لم احفظ خمسة دنانير وانت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ
ثلاثين دينارا وانت مشتغل بلذاتك ومنهمك في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعاتك
جيوشك الذين تعدهم للنوايب اذا احتشدوا كافحوا اعداك باسياف طولها ذراعان وقوس لا ينتهي مدى مرماه
الا مايه ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزامير والطنبور وانا اقمت لك جيشا يسمى
جيش الليل اذا نام جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على اقدامهم صفوفا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا
بالدعا السنتهم ومدوا بالابتهال الى الله تعالى اكفهم بالدعا لك ولجيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون
وبدعايهم تثبتون وببركاتهم تمطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السما السابعة بالدعا والتضرع فبكى ابو الفتح بكا
شديدا ثم قال شاباش يا ابه شاباش اكثر لي من هذا الجيش **ومن مناقب** هذا الرجل وفضايله ان رجلا قصد
لقايه ابو سعيد الصوفي فقال له يا خواجا اني اريد ان ابني لك مدرسة ببغداد مدينة السلام لا يكون في معمور الارض
مثلها يخلد بها ذكرك الى ان تقوم الساعة قال افعل وكتب الى وكلايه ببغداد ان يمكنوه من الاموال فابتاع بقعة
على شاطي دجلة وخط المدرسة النظامية وبناها احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها اسواقا
تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وحمامات واوقفت عليها فكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسؤددا
وذكرا جميلا طبق الارض جميعها وعم المشارق والمغارب اشره وكان ذلك في سنى عشر الخمسين واربع مايه من الهجرة
ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ ما يقارب ستين الف دينار ثم نمى الخبر الى نظام الملك من الكتاب واهل
الحساب جميع ما انفق فيه نحو من تسعة عشر الف دينار وان ساير الاموال احتجبها لنفسه وخانك فيها فدعاه
نظام الملك الى اصبهان للحساب فلما احس ابو سعيد بذلك ارسل الى الخليفة ابو العباس يقول لها للك في ان
اطبق الارض بذكرك وانشر لك فخرا لا يمحوه الايام قال وما هو قال تمحو اسم نظام الملك عن هذه المدرسة
وتكتب عليها اسمك وتزن له ستين الف دينار فارسل اليه الخليفة يقول له انفذ من يقبض المال فلما استوثق منه
مضى الى اصبهان فقال له نظام الملك انك انفقت عليها نحوا من ستين الف دينار نفقة واجاب اخراج الحساب
فقال له ابو سعيد لا تطل الخطاب ان رضيت والا محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك وارسل
معي من يقبض المال فلما احس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قد سوغنا لك جميع ذلك كله ولا تمح اسمنا ثم ان ابا
سعيد بنى بتلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور واوقف
جميع ذلك على الصوفية والصوفية الى يومنا هذا في رباط ابي سعيد الصوفي واوقافه يتقلبون ببغداد ففي
مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الاخرة وحسن
الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيا يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا

وقال الشاعر

ولا شي يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر وساعة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا واذكر بالصالحات كما ذكروا واحذر
لنفسك كما ادخروا واعلم ان الماكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر اي الثلاث شيت والسلام
وكان بن ابي دواد الوزير واسع النفس مبسوط اليدين يعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سوال الاوبندي
بالنوال فقال له الواثق امير المومنين يوما قد بلغني بسط يدك بالعطا وهذا يتلف بيوت الاموال
فاطرق ساعة ثم رفع راسه وقال يا امير المومنين ذخاير اجرها واصل اليك ومفاتيح شكرها موصولة بك
وانا عاجز من ذلك تعشقي في ايصال الثنا اليك فقال له الواثق بالله انت جد بالعطا واكثر بالشكر والثنا

الباب التاسع والاربعون

في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسير العمال

اعلم ان يوسف عليه السلام لما ملك خزاين الارض كان يجوع وياكل خبز الشعير فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايعين وروي البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اين تريد قال السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلني عن عيالي قال نفرض لك بالمعروف قال فانفق في سنتين وبعض اخرى ثمانية الاف درهم ووصى ان يرد من ماله في بيت المال وروي هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرت ابا بكر الوفاة قال انظروا كم انفقت من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانية الاف درهم وقال اقضوها عني فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضا الله ما ترون ولا بد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم فان شئتم اجتمعتم وائتمرتم وان شئتم اجتهدت لكم فوالله الذي لا اله الا هو ما الوكم ونفسي خيرا فبكوا وقالوا انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا قال اخترت لكم عمر وروى مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغني ان ابا بكر لما ولي لم ينفق من مال الله تعالى شيئا وغدا يوما من بني عمرو بن عوف وكانت له هناك امراة من الانصار وجمال له يرعى بهم فلقيه بعض المسلمين فقالوا له ما تصنع هذا يشغلك عن الناس وعن النظر في امورهم قال كيف اصنع قالوا تفرغ للنظر في امورهم وتستنفق من هذا المال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال فكان ينفق من المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليه عمر بن عبد العزيز فلم ينفق منه فقيل له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمت قال اجل ولكني اخذت من هذا المال ما لم يكن لي منه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لفعلت قال ابن غانم قلت لمالك فاين قولهم عن عمر انه رد ثمانين الفا قال كذبوا انما يقول هذا اعداء الله هو لم يجز لولده سلف ابي موسى اياه حتى اخذ منه نصفه فكيف ياخذ من مال الله ثمانين الفا فلما توفي ابو بكر استرجع علي رضي الله عنه وجاء مسرعا باكيا ثم قال رحمك الله ابا بكر كنت والله اول القوم اسلاما واكملهم ايمانا واشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى واحوطهم على رسوله صلى الله عليه وسلم واشبههم به هديا وسمتا وخلقا وفضلا واكرمهم عليه وارفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جا بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون واسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته في الشدة حين تفرقوا اكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة وخلفته في امته احسن الخلافة فقويت حين ضعف اصحابك وبرزت حين استكانوا وقمت بالامر حين فشلوا ومضيت بقوة اذ وقفوا كنت اطولهم صمتا وابلغهم قولا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في امر دينك متواضعا في نفسك عظيما محبوبا الى اهل السموات والارض فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا وقال عمر رحم الله ابا بكر لقد اتعب من بعده تعبا شديدا وروي البيهقي عن عمر رضي الله عنه انه قال انزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وفي رواية اخرى ان احتجت اخذت منه فاذا ايسرت رددته وفي رواية اخرى الا اخبركم بما احل من مال الله تعالى وما قال يحل لي الا حلتان حلة في الشتا وحلة للقيظ وما احج عليه واعتمر وقوتي وقوت عيالي كقوت رجل من قريش ليس باغنيائهم ولا بفقرائهم ثم انا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبني ما اصابهم وقال انس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر رضي الله عنه فاكل خبز الشعير وكان لم يكن ذلك لا ياكله فاستنكر بطنه فصوت

فضربه

فضربه بيده وقال هو والله ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين وقال ابو عثمان النهدي رايت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة احداها بادم احمر وقال عطا بن السايب استعمل عمر بن الخطاب السايب بن الاقرع على المداين فدخل ايوانا من ايوان كسرى فاذا صنم يشير باصبعه الى الارض قد عقد اربعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وثم شي فحفروا فاستخرجوا سفطا فيه جوهر فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اما بعد فاني دخلت ايوانا من ايوان كسرى فرايت كذا وكذا فاحتفرت فاخرجت سفطا فيه جوهر فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم اجد احق به منك يا امير المومنين لم يكن من فيء المسلمين فاقسمه بينهم انما اصبنا شيئا تحت الارض فلما قدم السفط على عمر وعليه خاتم السايب ان قدم علي فقدم عليه وهو يطوف في ابل الصدقة فطفت معه الى نصف النهار ثم دعا بماء فاغتسل ودعا لي بماء فاغتسلت ثم ذهب الى منزله فاتي بلحم غليظ وخبز متهشم فقال انظر من على الباب فاذا اسودان من الصوفية فاذن لهم فجعلا ياكل معهم فاذا لحم غليظ لا استطيع ان اسيغه وقد كنت تعودت درمك اصبهان اذا وضعته في فمي خالط بطني ثم دعا بالسفط وقال تعرف خاتمك قلت نعم قال كنت ترتقي لي ترهم اي احق به من اين اصبته فاخبرته قال الذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى اقسمه بينهم وقال قتادة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقرا المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير فقال خالد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا وقال عبد الله بن عمر العمري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم الشام قال لابي عبيدة اذهب بنا الى منزلك قال ما تريد الا ان تعصر عينيك علي قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر اين متاعك لا ارى الا لبدا وشنا وصحفة وانت امير اعندك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فاخرج منها كسرات فبكى عمر فقال له ابو عبيدة قد قلت لك انك ستعصر عينيك علي يا امير المومنين يكفيك من الدنيا ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بعدك يا ابا عبيدة وقال النخعي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فابطوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاوا بالصدقات فقام فيها متزر بعباءة يتخلل في اولها وآخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان الى ان انتصف النهار ورجع ودخل بيته حتى اذا امكن اكله قال شيخ قال من ادخله بطنه النار فابعده الله وقال طاوس اجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما اكل سمنا ولا سمينا حتى اكل الناس وقال سعيد بن جبير ان عليا رضي الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازار قطرياني قد رقع ازاره بخرقة لبست بقطربة من ورايه فقال له امير المومنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت او مقتول قال ان هذا خير لي في صلاتي واصلح لقلبي واشبه بسنة الصالحين قبلي واجدر ان يقتدي بي من بعدي وقال الحسن ان عمر بن الخطاب بينما هو يعس في المدينة بالليل اذ لقي امراة من الانصار تحمل قربة فسالها فذكرت ان لها عيالا وان ليس لها خادم وانها تخرج في الليل فتسقيهم الما وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغدي على عمر غدوة يخدمك خادما قالت لا اصل اليه قال انك ستجدينه ان شا الله تعالى فغدت عليه فاذا هي به فعرفت انه الذي حمل قربتها فذهبت تولي فارسل في اثرها وامر لها بخادم ونفقة ولما حج عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتنا يا يرفا قال ثمانية عشر دينارا يا امير المومنين قال ويلك اجحفنا ببيت مال المسلمين وقال شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام فطاف بكورها حتى نزل حمص فقال اكتبوا لي فقراكم فرفعوا اليه الرقعة فاذا فيها سعيد بن عامر فقال من سعيد بن عامر فقالوا اميرنا فتعجب عمر كيف يكون اميركم فقيرا فقالوا انه لا يمسك شيئا فبكى عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين بها في حاجاته فجعل يبين جمع فقالت له امراته ما لك اصابك يا امير المومنين شي قال اعظم من ذلك اتتني الدنيا دخلت علي الدنيا اني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنياهم بخمس مائة عام فوالله ما يسرني ان لو
حبست عن الرعيل الاول وان لي ما طلعت عليه الشمس قالت فاصنع فيه ما شيت قال هل عندك معونة قالت نعم
فاتيته بخمارها فصرّ الدنانير فيه صررًا ثم جعلها في مخلاة وبات يصلي ويبكي حتى اصبح فاعترض جيشا من جيوش المسلمين
فامضاها كلها فقالت امراته رحمك الله لو حبست منها شيا تستعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لو اطلعت امراة من نساء اهل الجنة الى الارض لملات الارض من ريح المسك واني والله ما اختارك عليهن فسكتت
وروي ان عمر استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشعر به
عمر ان قدم حافيا عكازته واداوته ومزودته وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير اخُبثنا
ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المومنين اما نهاك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وما ترى من سوء الحال
وقد جيتك بالدنيا اجرها بقرابها قال وما معك من الدنيا قال عكازة اتوكا عليها وادفع بها عدوا ان لقيته
ومزودي احمل فيه طعامي واداوتي هذه احمل فيها ماء اشربه لصلاتي وقصعتي هذه اتوضا فيها واغسل فيها
راسي واكل فيها طعامي فوالله يا امير المومنين ما الدنيا بعد الا تبعا لما معي قال فقام عمر من مجلسه الى قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر ثم بكى وقال اللهم الحقني بصاحبي غير مفتتن ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه
ثم قال ما صنعت قال اخذت الذهب من اهل الذهب والابل من اهل الابل واخذنا الجزية من اهل الذمة عن يد
وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقرا والمساكين وابنا السبيل فوالله يا امير المومنين لو بقي عندي منها شي
اتيتك به فقال له عمر عد الى عملك فقال يا عمير انشدك الله ان تردني الى عملي ولم اسلم منه حتى قلت لذمي اخزاك الله
وقد خشيت ان يخصمني له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول انا حجيج المظلوم فمن حاججته حججته ولكن
ايذن لي ان آتي اهلي ليلا فاذن له فاتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بماية دينار فقال ائت عميرا فانزل عليه
ثلاثا فان يك خاينا لم يخف عليك في عيشه وحال اهل بيته وان لم يك خاينا لم يخف عليك فادفع اليه الماية
فاتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاث قال يا حبيب ان رايت ان تحول
الى جيراننا فلعلهم ان يكونوا اوسع عيشا منا اما نحن فوالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع له الماية
وقال بعث بها اليك امير المومنين فدعا بفرو خلق لامراته فصرها الخمسة والستة والسبعة فقسمها فقدم حبيب
على عمر فقال يا امير المومنين جيتك من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا لا قليل ولا كثير فبعث اليه عمر وقال
ما صنعت في الماية يا عمير فقال لا تسلني عنها فقال لتخبرني قال قسمتها بيني وبين اخواني المهاجرين والانصار
قال فامر له بوسق طعام وثوبين فقال اما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند
اهلي صاع من تمر هو كافيهم حتى رجع اليهم وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرّ اربع مائة دينار وقال
للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تلكا ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها الغلام اليه
وقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي
بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها ورجع الغلام الى عمر فاخبره ووجده قد اعد مثلها
لمعاذ بن جبل وقال له مر بها الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه
وقال ان امير المومنين يقول لك اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال يا جارية اذهبي
الى فلان بكذا والى فلان بكذا فقالت امراة معاذ ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران
فدحا بهما اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

الباب الموفي خمسون

في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال

اعلموا ارشدكم الله ان اول من اتخذ الدواوين واجرى الاعطية على ما راى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وكان يفضل اهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى اجرى على العامة شيا واجرى ثلاث مائة واربع مائة وفرض للعيال
مائة درهم في كل سنة وكان ابو بكر يساوي بين الناس في العطا ولا يفضل اهل السابقة ويقول انما عملوا لله فاجورهم
على الله وانما هذا المال عرض حاضر ياكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم وكان عمر يقول لا اجعل من قاتل رسول الله
كمن قاتل معه ولم يعد عمر الارزاق الا في ولاية عمار فاجرى على عمار ستمائة درهم مع عطايه لولايته وكاتبه ومؤذنه
ومن كان يلي معه في كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمن بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه في كل يوم نصف شاة
وراسها وجلدها واكارعها ونصف جريب كل يوم واجرى على عثمن بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه في كل
يوم نصف شاة ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطايه واجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر
وربع شاة في كل يوم واجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة اجربة وانما فضل عمارا عليهم لانه كان
على الصلاة قال مالك وكان عمر لا يفرض لصغير رضيع فاذا فطم فرض له فمر بالليل وصبي يبكي يبغي الرضاع وامه لا ترضعه
فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر فقال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر بعد ذلك للمولود مائة درهم في كل سنة
قال نجيب وفرض عمر للعيالات لكل عيل من ذكر وانثى جريبين من بر في كل شهر وقسطين من زيت وقسطا من خل
ومائة درهم في كل سنة قال والجريب قفيز بالقرطبي والقسط قدر ثمن ربع الزيت بالقرطبي قال الحسن وكان عطاء عمر
خمسة الاف وكان على ازهد الناس الخشن وكان يخطب الناس في عباءة يلبس نصفها ويفترش نصفها فاذا خرج عطاوه
امضاه وكان يرقع لخوص ويأكل من سفيف يديه وقال الحسن قدم على عمر بن الخطاب وفد من اهل البصرة مع ابي
موسى الاشعري قال فكنا ندخل عليه وله كل يوم خبز يلت فربما وافقناها مادومة بسمن واحيانا بزيت واحيانا باللبن
وربما وافقنا القديد اليابس قد دق ثم اغلي عليه بماء وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل فقال لنا يوما اني والله
لارى تقذيركم وكراهيتكم لطعامي فاني لو شيت لكنت اطيبكم طعاما وارفهكم عيشا اما والله ما اجهل كراكر واسنمة
وعن صلا وصنابي وصلايق قال صلا الشوي والصناب الخردل والصلايق الخبز الرقاق ولكني سمعت الله
تعالى عيّر قوما بامر فعلوه فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا ابو موسى فقال لو كلمتم امير
المومنين يفرض لنا من بيت المال طعاما ناكله فكلمناه فقال يا معشر الامرا اما ترضون لانفسكم ما ارضاه لنفسي
فقلنا يا امير المومنين ان المدينة ارض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغنينا ولا يوكل طعامك وانا بارض ذات
ريف وان اميرنا يغنينا وان طعامه يوكل قال فنظر ساعة ثم رفع راسه فقال قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين
فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى الجريبين فكل انت واصحابك ثم ادع بشراب فاشرب ثم اسق الذي
عن يمينك ثم الذي يليه ثم قم لحاجتك فاذا كان بالعشي فضع الشاة الغابرة على الجريب الغابر فكل انت واصحابك الا وادعوا الناس في بيوتهم واطعموا عيالهم
والله ما اظن رستاقا يوخذ منه كل يوم شاتان وجريبان الا يسرع ذلك في خرابه وكان عمر قد الحم حروبين بالخل والزيت
للاثنين رجلا فكانوا يجري على كل رجل في كل شهر من كان في الديوان مكان ما كانت فاحس عمر به على جوعهم وانا ورهم
وقال سعيد بن المسيب وابو سلمة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابو العيال يسلم على ابوابهن ويقول الكن حاجة
وايكن تريد ان تشتري شيا فيرسل معه بحوايجهن ومن لم يكن عندها شي اشترى لها من عنده واذا قدم الرسول
من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب ازواجهن ويقول ازواجكن في سبيل الله وانتن في بلدة رسول الله
ان كان عندكن من يقرا والا فاقربن من الابواب حتى اقرا لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث

بكنسكن ثم يدور وعليهن بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فادنين من الباب حتى اكتبكن ويمر الى المغيبات
فياخذ كتبهن فيبعث بها الى ازواجهن **وقال الربيع** بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه
عمر بن الخطاب يامره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت يرفا فقلت يا يرفا
مسترشد وابن سبيل اي الهيات احب الى امير المؤمنين ان يرى فيها عماله فاومى الى الخشونة فاتخذت خفين مطارقين
ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على راسي فدخلنا على عمر فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم ياخذ عينه
غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من اعمالنا قلت البحرين قال وكم ترزق قلت الفا
قال كثير قال فما تصنع به قال اتقوت منه شيا واعود على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقرا المسلمين قال فلا باس
ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال كم سنك
قلت خمس واربعون سنة قال الان حين استحكمت ثم دعا بالطعام واصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعنا له
فاتي بخبز واعضا بعير فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت اكل وجعلت انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة
تمنيت اني سخت في الارض ولم اقلها فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام
الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت اقول يا امير المؤمنين لو تنظر الى قوتك من الطحين ان يخبز لك قبل
ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذا فيوتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غضبه ثم قال ها هنا زغت قلت
نعم قال يا ربيع انا لو شينا لملانا هذه الرحاب من صلائق وسنابك يعني خبز الحواري ولكني رايت الله تعالى عاب
على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم امر ابا موسى باقراري على عملي وان يستبدل باصحابي
وقال قبيصة بن ذويب دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن سعيد وكان على اهل حمص فقال على ما يجد
اهل الشام قال اني احبهم واحبوني قال لم لكا اليوم قلت عندي فرسي وبغل وخادمي قال فما ذا تلبس في الشتا
قلت عصابة اشد بها راسي وجبة وكسا قال فما ذا تلبس في الصيف قلت قميصا وريطة فاعطاه عمر الف دينار
وقال خذها واستنفق منها واعط منها قلت لا ارب لي فيها وستجد من هو احوج اليها مني قال خذها فان النبي
صلى الله عليه وسلم دفع لي مالا وهو دون الذي اعطيتك فقلت له كما قلت لي فقال يا عمر ما اتاك الله من هذا
المال عطا من غير ان تعرض له او تشرف له نفسك فاقبله فاخذه فانطلق به الى امراته فقال اترين رجلا
له هذا من فقرا المهاجرين هو ام من الاغنيا فقالت بل من الاغنيا فقسمه حتى بقيت منه صرة اظن فيها ثلاثين
او نحو ذلك فقالت له امراته البس لي ناحيه فاعطاها اياها **وقال** رجا بن حيوة بينا نحن بخناصرة اذا بامراة
تسال عن دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فارشدناها الى الدار فرات دارا مستهشمة فقالت لخباط هناك
استاذن لي على فاطمة امراة عمر بن عبد العزيز فقال ادخلي وصوتي لها فانه لا باذن لك فدخلت فلما ابصرت ما
هنالك قالت تحببت ارم فقري من بيت الفقرا واذا برجل يعمل في الطين فسالته عن امير المؤمنين فقالت
هو ذا الذي يعمل في الطين فقالت له يا امير المؤمنين مات زوجي وترك لي اربع بنات فبكى عمر بكا شديدا ثم
قال لها ما تريدين قالت تفرض لهن قال نفرض لكبري ما اسمها قالت فلانة فكتبه فقالت الحمد لله قال فما اسم
الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا امير المؤمنين فطرح
القلم من يده وقال لها اما انك لو وليتيه لاهله لا تممنا هن لك من يرى السبع فليواسين هذه الثامنة ن

الباب الحادي والخمسون
في احكام اهل الذمة

روي

روي عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم ن
هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا وذرارينا
واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدايننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا
صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل
وان ننزل بها من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا ناوي في كنايسنا ولا في مجالسنا جاسوسا ولا نعلم اولادنا القران ولا
نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان ارادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من
مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شي من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم
ولا نتكنا بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا
بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رووسنا وان نلزم زينا حيث ما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا وان لا نظهر صلبانا
وكتبنا في شي من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنايسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا
بالقراة في كنايسنا في شي من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باعوثنا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران
في شي من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على
منازلهم فلما اتيت عمر رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب احدا من المسلمين شرطنا ذلك على انفسنا واهل
ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا عن شي مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل
من اهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان امض ما سالوه والحق فيه حرفين اشترطهما عليهم مع ما
شرطوه على انفسهم ان لا يشتروا شيا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده **وروى نافع** عن اسلم
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان عمر كتب الى اهل الشام في النصارى ان يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان
يركبوا في شق وان يلبسوا خلاف زي المسلمين ليركبوا **وروي** ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير
المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الي حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من ارديتهم
حزما يحتزمون بها وامرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا الاكف من شق واحد **وروى** ان امير المؤمنين المتوكل
اقصى اليهود والنصارى فلم يستعملهم واذلهم واقصاهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وجعل على ابوابهم مثال
الشياطين لانهم اهل ذلك وقرب منه اهل الحق وباعد عنه اهل الباطل والاهوا فاحيا الله به الحق وامات
به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا **وكان عمر** بن الخطاب يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى
فانهم اهل رشا في دينهم ولا تحل الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري من البصرة وكان عاملا عليها
للحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستاذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه
وليت ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا
بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذ اهانهم
الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثر
وان الجزية قد كثرت فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم اعدا الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث
انزلهم الله ولا تردوا اليهم شيا وقال الامام ابن اسد انا ناكاتب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنتشر اما بعد فانه
بلغني ان في عملك رجلا يقال له حسان بن يزري على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اوليا واتقوا الله ان كنتم مومنين
واذا اتاك كتابي هذا فادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابا فلا تستعين به ولا تاخذ من غيره

اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فاسلم ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر تبعه رجل
من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اردت ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين
بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له قوة وجلد فقال جئتك لاتبعك فاصيب معك
قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال
نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في انه لا يستعان بمشرك هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف
نستعملهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم
خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير فصل ومتى نقض الذمي العهد بما فيه
شيء من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى مأمنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال اصحاب الشافعي ويلزمهم
ان يتميزوا عن المسلمين في اللباس وان لبسوا القلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير في اوساطهم ويكون في
رقابهم خاتم من نحاس او رصاص او جرس يدخل معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمائم والطيلسان واما المرأة فتشد الزنار تحت
الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم تدخل معها الحمام ويكون احد خفيها اسود والآخر ابيض ولا يركبون
الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤون بسلام ويلجؤون الى
اضيق الطرق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البنا وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان ملكوا دارا عالية اقروا عليها
ويمنعون من اظهار المنكر والخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة
واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحلاهم ويستوفي جميع ما يؤخذ منهم من الشروط وان امتنعوا
من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنى احدهم بمسلمة او اصابها بنكاح او آوى عينا للكفار او دل على عورة
المسلمين او فتن مسلما عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز فقيل ينتقض وان فعل ما يمنع
مما لا ضرر فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما اشبههما عزر عليه ومتى فعل ما لا يوجب نقض العهد رد الى مأمنه في احد القولين
وقيل في الجزء في القول الآخر فصل وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فقيل انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر
الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية واربعين درهما وعلى من دونه اربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما
وهذا مذهب ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي جعلوه كانه حكم امام فلا ينقض وقيل انها مردودة للاجتهاد في الزيادة
والنقصان وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدر عمر ولا يجوز ان ينقص منه
وقيل يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من الموسر اربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم
ويخرج على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على القدر المأخوذ منهم هل هو تقدير شرعي لا يجوز الزيادة
والنقصان والجائز وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك اما بعد فان اهل الكوفة قد اصابهم
بلاء وشدة وجور من العمال وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء فامر عليهم ارضهم ولا يحمل خرابا على عامر ولا عامرا على
خراب ولا يأخذون من الخراب الا ما يطيقونه ولا من العامر الا وظيفة الخراج الا وزن سبعة ليس لها اثر ولا اجور الضرابين ولا
اذابة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا اجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من اسلم
من اهل الارض والواجب ان يؤخذ ما ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب
نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهم ومن كل جريب حنطة شعير درهمان فصل واما الكنائس فامر عمر بن الخطاب
ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث كنيسة وامر ان لا يظهر عليه خارج من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من
كنيسة الا كسر على راس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين اجمعين وشدد في ذلك عمر بن
عبد العزيز وامر ان لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري من السنة ان تهدم

الكنايس التي في الامصار القديمة والحديثة ويمنع اهل الذمة من بناء ما خرب قال الاصطخري ان طينوا ظاهر الحائط منعوا
وان طينوا داخله الذي يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البنا وتجوز المساواة وقيل لا تجوز

الباب الثاني والخمسون

في بيان الصفات المعتبرة في الولاة

اعلم ارشدك الله ان منزلة العمال من الوالي بمنزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهدك في ابتغاء صالح العمال واذا فقد الوالي
عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى اصناف العدة فمنها الدرق والمجان
والسيف للمناجزة والرمح للمطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصن ولكل منها موضع ليس للآخر والرجال للملك كالادوات للصانع لا
يسد بعضها مسد بعض كذلك طبقات الرجال للملك منهم للرأي والمشورة ومنهم لارادة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال
ومنهم لحفظها ومنهم للحجابة ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر ومنهم للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ
اساس الملة ولا يجمل للملك ملك الا بجميع هذه الطبقات وقال ابو بكر رضي الله عنه لما مات كسرى وبلغ موته رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لمن استخلفوا قالوا ابنته بوران قال لن يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة
من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال ابن عباس هلك والله القوم وليس
يشترط النسب الا في الامامة العظمى دون سائر الولايات ولما استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء
قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن امة قال زيد فقد كان اسماعيل بن ابراهيم ابن امة واسحق ابن حرة وخرج محمد
صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل ثم اتقه في امره فقال له يا زيد انا الخليفة قال هشام ومن يعتد فيك قال زيد انه ليس احد
فوق ان يؤمر بتقوى الله ولا احد دون ان يأمر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل استعمله على امر قد اهمني قالوا وكيف تريد
قال اذا كان في القوم وليس اميرهم كان كانه اميرهم واذا كان اميرهم كان كانه رجل منهم قالوا ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها
ويروى ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض اصحابه عليك باهل العذر قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهو ما رجوت
وان قصروا قال الناس اجتهد عمر ولما قدم ابو بردة بن […] بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر قال يا امير المؤمنين هو
الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف قال عبد الملك ذلك الاعز الاجود الذي كان زياد […] البري ويخاف لديه السقيم
ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الحكيم
اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسامهم فان النسر مع عظمه يأكل الجيف وطير الماء مع ضعفه يتحامى ميت السمك ويأكل الحي منها
وفي حكم الهند السلطان الحازم ربما احب الرجل فاقصاه واطرحه مخافة ضرره كالملسوع يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم
في جسمه وربما ابغض الرجل فاكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده فيه وعنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه
الا ان للاسلام شروطا فلا تستقيم هذه السيرة عليها الا ترى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان
معاوية واليا على الشام من قبل عمر ثم عثمان فاستشار في امره فقال له بعضهم اقره على امرته وارسل اليه بعهده فاذا دخل
في بيعتك فاعزله فقال رحمه الله اتأمرني ان اطلب العدل بالجور ثم عزله وكان سبب عصيانه وهكذا اشاروا عليه فقالوا
يا امير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن تخوف منهم وانما الناس اصحاب دنيا حتى اذا استوثق الامر عدلت في التسوية
فقال اتأمروني ان اطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مالهم
واعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله في الآخرة ولن يضع امرؤ ماله في غير
حقه وعند غير اهله الا حرمه الله تعالى شكرهم ويصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم من يظهر له الود والشكر فانما هو ملق

وخديعته لينال منه فان زلت به النعل يوما ما فاحتاج الى معونته ومكافاته ما سلف من مبرته فمن خليل والاحر حذار
واياك ايها الوالي وحب المدح فان من احب المدح هو كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس سلما لقضاء حوائجهم
منك لحينئذ تكون قضاء الحوائج لنفسك لالهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد
رجلا يمدح عثمن بن عفان رضي الله عنه فاخذ كفا من تراب فالقاه في وجهه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا
فقال قطعت ظهر اخيك لو سمعها ما افلح بعدها ووصف اعرابي اميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وارسل العيون
على عيونه فهو غايب عنهم شاهد معهم فالمحسن راجي والمسيء خايف وقال عبد الله بن الزبير لا يبعدن ابن هند ان كانت فيه المخارج
ما نجدها في احد بعده ابدا والله ان كنا لنفرقه وما الليث الحرب على براثنه باجرى منه فيتفارق لنا وان كنا لنخدعه وما
ابن ليلة من الارض بادهى منه والله لوددت انا متعنا به مادام في هذا حجر واشار الى ابي قبيس لا يتحيز له عقل ولا تنتقص
له قوة وقال الصابي كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة كتابا في مثل اذن الفارة اما بعد فانه لا يقيم امر الله
في الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة لا تطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على الجراة ولا يخاف في الله لومة
لايم وقال ابن ملكجا رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وساله ان يكتب له كتابا في امر فقال اذهب الى منزلنا فائتي
بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيئا فذهب فلم يجد عندهم الا اذن مزود فكتب له في تلك الاذن
ولما ولى المامون يحيى بن اكثم قضاء البصرة بعد ان استحن عقله وعلمه وامتحنه بمسايل فوجده فوق ما يريد فتلقاه وجوه
اهل البصرة فراوا شابا صبيا ما فقلت لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم الى بعض يقلبون الاكف ويتغامزون بالحواجب فقال
له بعضهم كم سن القاضي اصلحه الله قال مثل سن عتاب بن اسيد لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة فبهتوا
لجودة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن اسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة وكان عمر يقول لا يصلح ان يلي
امور الناس الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد من غير عنف لين من غير ضعف جواد من غير سرف
لا تاخذه في الله لومة لايم وقال ايضا ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور
ويكون عنده من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يتحرج من قتل عصفور بغير حق ويروى ان الرشيد احضر رجلا ليوليه
القضاء فقال اني لا احسن القضاء ولا انا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه
من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه وانت رجل تشاور في امرك ومن يشاور كثر صوابه
واما الفقه فينضم اليك من تتفقه به فولي فما وجدوا فيه مطعنا وقال اياس بن معاوية استحضرني عمر بن هبيرة فحضرت
فما كلمني فسكت فلما اطال قلت ايه سل عما بدا لك قال اتقرأ القران قلت نعم قال هل تفرض من الفرايض قلت نعم قال هل تعرف
من ايام العرب شيئا قلت انا بها اعلم قال فهل تعرف من ايام العجم شيئا قلت انا بها اعلم قال اني اريد ان استعين بك قلت ان في
ثلاثا لا اصلح معهن للعمل قال وما هن قلت انا دميم كما ترى وانا حديد وانا عيي قال اما الدمامة فاني لا اريد ان احاسن
بك واما العي فاني اراك تعرب عن نفسك واما سوء الخلق فيقومك السوط فولاني واعطاني الف درهم فهو اول مال تمولته
وقال سليمان بن داود عليهما السلام ما ملاقاة ليوث سلبت عن اشبالها باصعب من لقاء جاهل راض عن نفسه

الباب الثالث والخمسون

في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال

اعلم ارشدك الله انه يجب ان يولى على الاعمال اهل الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغني
لا للهوى ومدار الولايات وسياستها ان لا يولى الاعمال طالبها ولا راغب فيها روى البخاري في صحيحه عن ابي موسى

الاشعري قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجلان فكلاهما سالا عليه فقال صاحباي يا رسول الله استعملنا فقال عليه السلام
انا لا نستعمل على عملنا من اراده فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقد قيل له ما بال ملوك ال ساسان صار امرهم الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال ولله در عمرو بن العاص
حيث قال موت الف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وقال الاحنف بن قيس غضب المامون على بعض اصحابه غضبا شديدا
ثم قال له لا ابالي الله او لعلك ولد السفل وقال رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد اذاه ادركتك امرة الصبيان
وقال السعتري الحكم وكان قد عمر في الجاهلية ثلاثماية سنة

وما سقطت يوما من الدهر امة * الى الذل الا ان يسود دنيها
اذا ساد فينا بعد ذل لئيمنا * نصحنا لنا ذاك وقد ادنيها
وما قادها الخبير الا مجرب * عليم باقبال الامور كريمها
وما كان ذي لب لعارف بفضله * ولكن لتدبير الامور حكيمها

اعلموا ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال اهل الحرص عليها لانه لا يطلبها الا طمع او نوب ماله او دني
وسلاح عابد حريص على الدنيا نابذ لدينه ومروته فيبتغي عرض الحياة الدنيا وقد سبق المثل والحرص على الامانة دليل على
يخونون عباد الله خولا واموالهم دولا واذا اهتضمت حقوق المسلمين واكلت اموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم فكانت
الامور وحب الفساد الى الممالك وقد ذكرنا في اول كتاب الاثار في كراهية الولايات وقال المامون ما نفق على قط انفق في
الجودت سببه من جور العمال فان قيل فما معنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فانما يوسف
كان نبيا من انبيا الله تعالى واثنى من نفسه بالكفاية والامانة ومن يري من لا يتحقق بواطن اسراره ولا يعلم خصايصه وفضايله
ويرى الامور والاعمال والولايات في ايدي من ليسوا اهلا لها وهم من مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما
عنده من الخصال والفضايل ان يذكر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيتكلم بذلك من شيء ومن هذا قال بعض اصحاب الشافعي اذا
كان القضاء في يد من لا يصلح وجب ان يصلح يخطبه او من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وقال الحصار على خلاف هذا الراي
يحتمل ان يكون يوسف عليه السلام تداوى اليه بالوحي امرا اليه من الملائكة العدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا اثنى على نفسه
ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمن الحكيم كان عبدا اسود حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين لامراة من بني الحسحاس
وكان نجارا لداود عليه السلام فاتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي يصطفي لنبوته من يشاء فقال لقمن
يا جبريل ان خيرني ربي فسمع وطاعة وان خيرني اخترت الحكمة فرضي الله تعالى قوله واعطاه الحكمة وصرفها لرساله لداود
عليه السلام وكان داود يقول طوبى لك يا لقمن اوتيت الحكمة واوتي داود البلية وروي انه جالس داود عليه السلام وكان
داود يعمل الدروع فاقام حولا يبصر صنعة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يساله عن ذلك فلما تم حولا لبس داود الدرع
وقال الدرع حصينة ليوم حرب فقال لقمن الصمت حكمة وقليل فاعله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط
عليه اربعة لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا ياكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوايج الناس وما يصلحهم
ويقول له اني لا استعملك على ابشارهم ولا اعراضهم ولا اعمالهم وانما استعملك لتصلي بهم وتقضي بينهم بالعدل وروى
عباية بن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن ابي وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال انقطع التصويت فارسل عمر
محمد بن مسلمة وكان عمر ان يؤتى بالامر كما هو بعثه فقال له ايت سعدا فاحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما اتى الباب اخرج
زنده واستورى نارا ثم احرق الباب فاتى سعدا الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ امير
المومنين انك قلت انقطع التصويت فحلف سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد نفعل الذي امرنا به ونودي عنك ما تقول
ثم ركب راحلته فلما كان ببطن البرية اصابه المخمص والجوع ما الله به اعلم فابصر غنما فارسل غلامه بعمامته فقال اذهب

فابتع منهم شاة فجاء الغلام بالشاة وهو يصلي فاراد ذبحها فاشار اليه ان يكف حتى قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة بثمنها
فاردد الشاة وخذ العمامة وان كانت سرقت فاردد الشاة فذهب فاذا هي مملوكة فرد الشاة واخذ العمامة فاخذ بخطام ناقته وجعل
لا يمر ببقلة الا خطمها حتى اواه الليل الى قوم فاتوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شيء غير هذا اتيناك به فقال بسم الله كل حلال
اذهب السغب خير من ماكل السوء حتى قدم المدينة فنزل باهله فانبرد من العام ثم راح فلما ابصره عمر رضي الله عنه قال له لولا
حسن الظن بك ما رايناك ادبت وذكروا انه اسرع السير فقال لقد تقلب وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال فقال عمر هل لك
الى بني عدي فقد رايت مكانا ان يابر في فقال عمر انا رمز العراق رقيقة وان اهل المدينة يموتون حولي من الجوع فخشيت ان تامر
لهم بشيء يكون لك بارده ولي الحار وروي زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى
فقال له يا هني اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وادخل رب الصريمة والغنيمة واياي
ونعم بن عوف ونعم بن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيته
ياتيني ببنيه فيقول يا امير المومنين افتاركهم انا لا ابا لك فالماء والكلا ايسر علي من الذهب والفضة وايم الله انهم ليرون
اني قد ظلمتهم انها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية واسلموا عليها في الاسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي احمل عليه في
سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا ومر يوما ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكروا انه لعامل من عماله على البحرين
فقال ابت الدراهم ان تخرج اعناقها وقاسمه ماله وكان يقول لي على كل خائن امينان الماء والطين وكان انوشروان يكتب على عهد
العمال سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالمخافة وقال سليمان بن داود عليهما
السلام كما يصلح الملح للعجين والرسن للحمار كذلك يصلح التضبيب لظهور الجهال وفي الامثال من لم يصلح باللين اصلح بالتليين
وقد بلغنا ان استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم
كيف رايت الامارة ابا معبد قال خرجت يا رسول الله وما ارى الا فضلا على القوم فرجعت وكانهم عبيد لي قال
وكذلك الامارة ابا معبد الا من وقاه الله شرها قال والذي بعثك بالحق لا اعمل على عمل ابدا وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
ما يمنعك ان تولي العمل اهل الفضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال لهم اجل من ان ادنسهم بالعمل وقال ابراهيم
كان عمر اذا قدم عليه الوفد سالهم عن حالهم واسعارهم وعمن يعرف من اهل البلاد وعن اميرهم هل يدخل عليه الضعيف
وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه ان اقبل ومثل السلطان ذو الظالمين مثل من
يسترعي غنمه الذئاب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه ومن العامة فشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك
بن مروان لانه الذي استرعاه الرعية وفيه قيل ومن يربط الكلب العقور ببابه * فعقر جميع الناس من رابط الكلب
وكان لعلاء بن ايوب لما ولي فارس من قبل المامون يكتب عهد العامل فيقراه على من بحضرته من اهل ذلك العمل ويقول انتم عيوني عليه
فاستوفوه منه ومن تظلم اليه منه فعلى انصافه ونفقته جائيا وراجعا ويامر العامل ان يقرا عهده على اهل عمله
في كل جمعة وان يقول لهم هل استوفيتم ٥

الباب الرابع والخمسون

في هدايا العمال والرشا على الشفاعات

روى ابو داود في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شفع لاخيه شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها
فقد اتى بابا عظيما من ابواب الربا والسر فيه انك اذا قدرت على قضاء حاجته من عند السلطان الظالم والبلد
القاهر صار ذلك واجبا عليك وروى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية
فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا لي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من

اعمالنا يقول هذا لكم وهذا لي افلا قعد في بيت امه وابيه فينظر هل يهدى له ام لا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يشاطرهم وياخذ نصف اموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من اين لك هذا المال فقال ابو هريرة دواب تناتجت ن
وتجارات تداولت فقال لا اشاطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم اموال لم تكن تعرف لهم وروى مالك عن عمر انه اشترى
هو وعبيد الله اخوه ابلا فبعث بها الى الحمى فرعت فقال لهما عمر رعيتما في الحمى فشاطرهما وشاطر سعد بن ابي وقاص حين قدم
من الكوفة كانه راى ان ما اصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لانه بالامارة قوة على ان ينال من الحلال
ما لا ينال غيره فجعله كالمضاربة للمسلمين ولما دفع ابو موسى الاشعري من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب
بالبصرة اشتريا منه بضاعة فربحا بالمدينة فاراد عمر ان ياخذ جميع الربح فراجعه عبيد الله فحكم بينهم بنصف فاخذا
جميعا نصف الربح واخذ عمر النصف لبيت المال وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم منعهم
الحق حتى يشترى وبسطهم حتى يفتدى الملك بالدين يقوى والدين بالملك يبقى وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يامر اذا
تقدم عليه العمال ان يدخلوها نهارا ولا يدخلوها ليلا كيلا يحجبوا شيئا من الاموال وقال عتاب بن اسيد والله ما اصبت في عملي
الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان وروي ان عليا رضي الله عنه استعمل
ابا مسعود الانصاري على السواد فرجع الى داره وقد امتلات فقال له ما هولاء قالوا اكرمك يصنعون بالرجل اذا استعمل
قال كل هولاء يريدون ان ياكلوا في امانتي وبرئ في امارتي فرجع الى علي وقال لا حاجة لي في العمل وقد ذكرنا ان النبي صلى
الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله اختر لي قال اقعد في بيتك وفي الحكم لان الهدية
تعمي وتصم وقال بعض الحكماء الرشوة رشا الحاجة وانشد بعضهم ٥

اذا اتت الهدية دار قوم * تطايرت الامانة من كواها

ولبعضهم

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا * تدني البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا * وترد مضطغن العداوة

وما قلته في الرشوة

واكرم من يعقد بالبخس * تغل الحمل مشغول اليدين
بنوه اذا مشى نفسا ونخا * ويبطح بابه بالركبتين
واكرم شافع يمشي عليها * ابو المنقوش فوق الصفحتين

وقلت ايضا

اذا كنت في حاجة مرسلا * وانت بانجازها مغرم ن
فارسل باكمه خلابة * به صمم اغطش ابكم ن
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم ن

وكتب عبد الملك بن مروان الى عامله الحارث بن حكم وقد ارتشى بكرمه ٥

اذا رشوة من باب بيت تقحمت * لتسكن فيه والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كانها * حليم تولى عن جواب سفيه

الباب الخامس والخمسون

في معرفة خبث الخلق

اعلموا ارشدكم الله ان هذا الباب مما غلط فيه الخلق وقلبوا القوس ركوة فعمدوا الى اخلاق العامة وخلائق

الغوغا والدنا ومايجري بينهم اذا التقوا وتعاشروا من الاختلاط في مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق
والمراياه والمعاريض عن الامور المكنونة التي يسوء اظهارها والانخراط في سلك المزاح والمماشرة فهذا وما اشبهه عندهم
من حسن الخلق وهو عندنا نقيض ما نص الله عليه ورسوله من حسن الخلق فاول ذلك ان تعلم انه لم تحتو الارض على بشر
احسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من تخلق باخلاق رسول الله او قارنها او بعضها كان احسن الناس خلقا وكل
ليس بعيد من اخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهو عندنا نقيض ما نص الله عليه ورسوله من حسن الخلق
وهذا فصل الخطاب في هذا الباب لمن عقل وانما اوتي الناس في هذا الباب بجهلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم
وها انا اتلوا عليك من اخلاق الانبيا والمرسلين والاوليا والاصفيا والعلما والصالحين ما نرجو ان ينفعنا الله واياك
قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم خص الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق
من الحيا والكرم والصفح وحسن العهد ما لم يوته غيره ثم ما اثنى الله تعالى عليه بشي من فضايله بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق
فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعى الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه عليه السلام من
حسن الخلق فقال سعيد الله بن عمير قلت لعايشة ام المومنين صفي لي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست
تقرا القران كان خلقه القران وحسبك هذا القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق
فاذا كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القران فالقران يجمع كل فضيلة ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة
ويوضحها ويبينها ولذلك لما انزل الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا يا جبريل قال ان الله تعالى يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من حسن الخلق
كما ترى فانظر الى اخلاق العامة من هذا النمط وان احدهم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويظلم من سالمه ويغضب
على من سالمه ويغضب على من ائتمنه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها اصول الفضايل وينبوع المناقب لان في اخذ العفو
صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطا المانع وفي الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان
وغض الطرف عن المحرمات وفي تقوى الله عز وجل يدخل جميع اداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين
الصبر والحلم وتنزه النفس عن مماراة السفيه ومجازاة اللجوج فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع
نصا وتنبيها وضمنا واعتبارا وروى انس قيل يا رسول الله اي المومنين افضل قال احسنهم خلقا وروى ابو داود في
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم محاسن الاخلاق اقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث الى امة انما بعث
ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم محاسن الاخلاق اذ الخلق اشال الشرايع
باسرها وروى البخاري عن عمران النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن متفحشا ولا متفحشا قال ان من احبكم الي احسنكم اخلاقا
وكان النبي عليه السلام في بعض اسفاره وعليه رد انجراني غليظ الحاشية فجبذه اعرابي جبذة شديدة حتى اثرت حاشية
الردا في عنقه وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي اتاك قلت تامر لي بمالك ولا بمال ابيك فالتفت اليه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشي وروي معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احسن خلقك للناس معاذ
بن جبل واعلموا ان الخلق الحسن افضل مناقب العبد وبه تظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه الا ترى ان
الله تعالى خص نبيه عليه السلام بما خصه به من الفضايل ثم لم يثن عليه بشي منها بمثل ما اثنى عليه بخلقه وقال بعض المفسرين
في قوله وانك لعلى خلق عظيم قال لا تخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقيل لم يوثر فيك جفا الخلق بعد معرفتك بالحق
قال المحاسبي كظم الغيظ واظهار الطلاقة والبشر الا للمبتدع او فاجرا الا ان يكون فاجرا اذا انبسطت اليه استحيا واقلع
والعفو عن الزلل الا لتاديب او اقامة حد وكف الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا لتغيير منكر او اخذ مظلمة لمظلوم فهذا من حسن
الخلق وقيل حسن الخلق لا يتغير من يقف في الصف بجنبك وقيل للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقري

قد

قد رايته يوما وهو ذات يوم جالس في داره اذ جاته خادم له بسفود عليه شوا فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت
الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى وكان ابن عمر اذا راى احدا من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك
منه فكانوا يحسنون الصلاة مراياة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له وقال الفضيل لو ان
امرا احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة واسا اليها لم يكن من المحسنين وقال المحاسبي فقدنا ثلاثة اشيا حسن الوجه مع
الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخا مع الوفا وقال الحسن بن علي رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق
وكان عبد الله بن محمد الرازي يقول حسن الخلق استصغار ما منك واستعظام ما اليك وقال سهل حسن الخلق ان لا تطيع لها
غير الحق وليس بهذه الصفة احد الا الله تعالى وقيل حسن الخلق تحمل اثقال الخلق وقال كيا الهراسي علامة حسن
الخلق كف الاذى واحتمال المون وقيل حسن الخلق ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك
من جفا الخلق وقضا الحق بلا ضجر ولا قلق وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي
فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وفي الحديث ان النبي عليه السلام قال لن تسعوا الناس باموالكم ولكن
ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وروي ان ابا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فالقي عليه من فوق سطح طشت رماد
فتغير اصحابه وبسطوا السنتهم في الملقي فقال ابو عثمان لا تقولوا شيا من استحق ان يصب عليه النار فصولح على الرماد لم
يجز ان يغضب وقيل لابرهيم بن ادهم هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما كنت قاعدا ذات يوم فجا انسان فبال
علي والثانية كنت جالسا فجا انسان فصفعني وكان اويس القرني اذا راه الصبيان رموه بالحجارة وهو يقول ان
كان لا بد فارموني بالحجارة الصغار كي لا تدموا ساقي فتمنعوني الصلاة وروي ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم
يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي
قال امنت عقوبتك فتكاسلت قال امض فانت حر لوجه الله وهذا كما ترى قوة الاهية يفرغها الله على المصطفين من
عباده واهل الصفوة من اوليايه الا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك جرده من خلايق البشرية والبسه من نعوت الربوبية حتى قواه على صحبتهم وصبره على تبليغ الرسالة فيهم مع الذي
كان يقاسيه من اخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلا الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشا وقال النبي عليه السلام المومن
الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وانما سمي ادم لانه يالف من الجواهر والالوان وقال عليه السلام لرجلين
متباغضين ادام الله بينكما اي الف بينكما ومنه سمي الادم الماكول لانه يولف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم لرجل اراد ان يتزوج امراة انظر اليها فانه احرى ان يودم بينكما اي يولف بينكما وروي ان معروف
الكرخي نزل الدجلة يتوضا ووضع مصحفه وملحفته فجات امراة فاخذتهما فتبعها معروف وقال يا اختي انا معروف لا
باس عليك الك ابن يقرا قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتي المصحف وخذي الثوب وروي ان ابا ذر كان على حوض يسقي ابله
فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه امرنا اذا غضب الرجل
ان يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا النصائح اكثا ترى قطعها وقال ابو الدردا انا لنكشر
في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحارث بن يحيى من الفرا اكل طليق معطان فاما الذي يلقاه ببشر ويلقاك بعبوس
يمن عليك بعمله وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة يا بني لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقا تكن احب الى الناس ممن
يعطيهم العطا ومن يصحب صاحب السو لا يسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم وروي ان ابرهيم بن ادهم خرج الى بعض البراري فاستقبله
جندي فقال له اين العمران فاشار الى المقبرة فضرب راسه واوضحه فلما جاوزه قيل له هذا ابرهيم بن ادهم زاهد خراسان
فجاء يعتذر اليه فقال انك لما ضربتني سالت الله لك الجنة فقال لم فقال لاني علمت اني اوجر على ذلك فلم اردت ان يكون نصيبي
منك الخير ونصيبك مني الشر وحكي ان ابا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال الاستاد ليس لي وجه في

اخوانك وقد ندمت فانصرف رحمك الله فرجع ابو عثمن فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال يا استاد ندمت واخذ يعتذر الى الحضرة الساعه فقام ابو عثمن ومضى معه فلما وافى داره قال مثل ما قال في الاولى واخذ يعتذر ثم كذلك فعل في الثالثة والرابعه وابو عثمن ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاد انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال ابو عثمن لا تمدحني على خلق تجد مثله مع الكلاب فالكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر وروي ان بعض الفقرا نزل على جعفر بن حنظله وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل انت لو لم تكن يهوديا فقال ابو جعفر عقيدتي لا تقدح فيما تحتاج اليه من الخدمة فسل لنفسك الشفا ولي الهداية وروي ان ابا جعفر الفودي المتعبد لقيه بعض الاجناد ومعه كلب للصيد فقال له احذر هذا الكلب وقدم خلفي فابا فضرب راسه بالسوط حتى ادماه فقال له بعض الحاضرين ويحك هذا ابو جعفر الفودي العابد فنزل عن فرسه وجعل يقبل يديه ويعتذر له فقال له انت في حل قال ابرهيم بن الحسين عن ابرهيم الفودي ليالي عدة اذا فرغ من حزبه في جوف الليل يدعوا ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه وقيل مكتوب في الانجيل عبدي اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا اي كلمة لينة فقال له حسنا من القول وقال لقمن الحكيم لابنه ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة الحلم عند الغضب والشجاع في الحرب والاخ عند الحاجة اليه وروي ان عبد الله الخياط كان له مجوسي يخيط عنده الثياب ويدفع دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها فجا المجوسي يوما بالدراهم فلم يجده فاعطاها لتلميذه فلم يقبلها فدفع له صحاحا فلما رجع عبد الله قال التلميذ هذه دراهم المجوسي وذكر قصته فقال عبد الله بيس ما فعلت انه يعاملني بهذه المعاملة منذ اعوام وانا اصبر عليه والقيها في البير لئلا يغر بها غيري وروي ان معاوية نظر الى ابنه يزيد يضرب امة له فقال اتضرب من لا يمتنع منك لقد حالت القدرة بيني وبين ولي التراب وقال بعضهم اصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين ادناه واهونه ان لا يتبع لمراد الخلق واقصاه وشره ان لا يتبع لمراد الخالق وقال المحاسبي اصل سوء الخلق الاعجاب وقيل سيئ خلق الرجل الاحمق عجبه وتكبره ولا يرى فوقه احدا ولا يعرف قدر نفسه فيداخله العجب وقال الحسن في قوله تعالى وثيابك فطهر اي وخلقك فحسن وكان لبعض الناس شاة فراها على ثلاث قوايم فقال من فعل هذا فقال الغلام انا فعلته قال ولم قال لاغمك قال لاغمن من امرك اذهب فانت حر وروي البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال راى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له اسرقت قال كلا والذي لا اله الا هو فقال عيسى عليه السلام امنت بالله وكذبت عيني وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه فساد الاخلاق معاشرة السفها وقيل الخلق السيئ يضيق قلب صاحبه لانه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه ويقال من سوء خلقك ان يقع بصرك على سوء خلق غيرك وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشوم فقال سوء الخلق وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا ولما وصى يعقوب عليه السلام اولاده قال احفظوا عني خصلتين ما انتصفت من ظالم قط قولا وفعلا وما رايت حسنة الا وافشيتها وما رايت سيئة الا وسترتها كذلك فافعلوا وقال ابن عمر اذا سمعتموني اقول لمملوك اخزاه الله فاشهدوا انه حر وقال السيئ الخلق هو الذي لا يملك نفسه عند الغضب وقيل اصل سوء الخلق مطالبة غيرك ان يوافقك دون ان تطلب نفسك بموافقة غيرك وعلامة حسن الخلق ان تحتمل معاملة سيئ الخلق لنفسك سوء الخلق وقيل العارف يعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامة من بينه وبين نفسه عتاب ان لا يكون بينه وبين خلقه عتاب وروي ان عبد الله بن عمر كان في جمع بينهم سيئ الخلق فمات فحزن عليه فقيل له انك تحزن عليه قال احزن لي بمثل سوء خلقه وكان يحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيئ الخلق وقيل ليس ثم تروى ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقاني ضاحكا كانك

امن فقال عيسى وانت تلقاني عابسا كانك ايس فاوحى الله تعالى اليهما ان احبكما الي ابشكما بصاحبه فلذلك يستحب له ان يكون المؤمن وليس اطلاق الوجه والتبسم في وجه صاحبك منهي عنه وانما المكروه ما ذكرناه في اول الكتاب من الملق والتصنع وفصل الخطاب في هذا الباب ما روى هند بن ابي هالة في صفة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان اصحابه كانما على رؤسهم الطير ومعلوم ان من كان على راسه طاير لا يبرح فانه لا يتحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينيه حذرا ان ينفر الطاير وقال ابن المقفع كان لي صديق من اعظم الناس في عيني وكان راس ما عظمه الله في عيني صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجده كان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعوا اليه مونة ولا يستخف له رايا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم ابدا الا على ثقة لمنفعة كان اكثر دهره صامتا فاذا قال بز القايلين وكان متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا كان لا يدخل في دعوى ولا يشترك في مرا ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكوا وجعا الا الى من يرجوا عنده البر ولا يستكثر ولا يتبرم ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن الولي لا يخص نفسه دون اخوانه بشي من اهتمامه وحيلته وقوته فالزم هذه الاخلاق وان لم تطق فاخذ القليل خير من ترك الجميع وروي ان حكيما سمع رجلا يذم الزمان واهله وانه قد فسد الناس ولم يبق احد يصحب فقال يا هذا ان كنت طلبت صاحبا اتوذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف وتاكل رحله فلا يحرك الشي وتجفوه عنه فلا ينتقم وياكل رحلك فلا تنال منه شيئا وجدت اصحابا واخوانا وخلانا وانا اول من يصحبك

فصل في الفرق بين المداهنة والمداراة من داراه سلم ومن داهن اثم وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون فالمداهنة منهي عنها والمداراة مامور بها قال الله تعالى في المداهنة ودوا لو تدهن فيدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداراة راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمداراة الناس كما امرت باداء الفرايض واعلم انه اذا استعملت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة ان تداري الناس على وجه يذهب فيه دينك والمداراة مخالقتهم على وجه يسلم لك فيه دينك وذلك ان هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قالت قريش يا محمد اعبد الهتنا سنة ونومن بك فابا فقالوا فنحن ابايه لو انبوك فابى قالوا فاعة فابا قالوا فاستلم بيدك ونومن بك فوقف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وطمع ان نعل ان يومنوا فانزل الله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ومنع له ان يقول للظالم ابقاك الله ومن دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله سبحانه وهذا ينبغي ان يروى الدين حفظه وقد راى بعض الفقها الخروج من هذه العهدة بالتعريض كان الفقيه ابن الحصار بقرطبة له جار نصراني يقضي حوايجه وينفعه وكان الفقيه يكثر ان يقول له ابقاك الله وتولاك اقر الله عينك يسرني الله ما يسرك جعل الله يومي قبل يومك لا تزين على حب الكلمات فيبتهج النصراني بها ويسر فعوتب الفقيه في ذلك فقال انما ادعوا بمعاريض قد علم الله ذلك من نيتي اما قولي ابقاك الله وتولاك فاريد ان يبقيه الله تعالى للعزم الجزية ويتولاه بالعذاب واما قولي اقر الله عينك فاريد ان تقر حركتها بستر يعرض لها فلا تتحرك جفونها واما قولي يسرني الله ما يسرك فان العافية تسرني كما تسره واما قولي جعل الله يومي قبل يومك فاريد ان يجعل الله تعالى اليوم الذي ادخل فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذي يدخل فيه النار بكفره ۝

الباب السادس والخمسون

في الظلم وشومه وسوء عاقبته

قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون

وقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله ورسوله كملت فيه هذه الخصال الثلاثة
الكفر والظلم والفسق وقال سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال احمد بن خضرويه لو اذن لي في الشفاعة
ما بدات الا بالظالمين لتعزية الله تعالى في قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال لا اغتنم سفرا لا يكون فيه من
يوذيني ويظلمني شوقا مني لتعزية الله تعالى المظلومين وقال ميمون بن مهران كفى بهذه الاية وعيدا للظالم وتعزية للمظلوم
وقال الحبر لابي هريرة في التوراة من يظلم يخرب بيته فقال ابو هريرة وذلك في كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
وان الظلم ادعى شي الى سلب النعم وحلول النقم وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه قال يا عبادي
اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع
الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا
اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني
فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم
اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه يرويه ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر مسندا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حدث به جثى على ركبتيه وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله
حجاب وروى ابو هريرة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض او شي فليتحلله منه قبل ان لا يكون
درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه
وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا طوقه من سبع ارضين قال ابو جعفر
الطحاوي معناه انه يقلب شجاعا اقرع فيطوقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يجي يوم القيامة شجاع اقرع
يتبعه ويقول انا مالك انا كنزك وكان هذا داخلا في قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وروى ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم وروى ابو موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم
حتى اذا اخذه لم يفلته وقرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وروى انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انصر اخاك ظالما او مظلوما قال يا رسول الله كيف هذا انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تاخذ فوق يديه
وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من امتي لم ارهما ناس معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء
كاسيات عاريات مايلات مميلات على رؤوسهن مثل اسنمة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها وقال الله تعالى واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وفي الاية تاويلان احدهما امرناهم بالطاعة ففسقوا
اي خرجوا عن الطاعة والثاني قراه الحسن اي كثرنا عددهم واسبغنا النعم عليهم فعصوا وبغوا ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج واعلموا ان حشرات الارض وهوامها تلعن العصاة وقال
مجاهد اذا اشتدت الارض تقول البهائم هذا من اجل عصاة بني ادم فذلك قوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجعل ليموت بذنب ابن ادم يعني ان ذنوب الخلق يمنع القطر فلا تخصب الارض
فتهلك الدواب والحشرات وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود خطيئة ابن ادم قتلت الجعل وروى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل وان كان شيا

بيرا يا رسول الله قال وان كان قضيبا من اراك وقال ابن عباس ما ظهر الغلول في قوم قط الا القى الله في قلوبهم الرعب ولا
فشا الزنا في قوم قط الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم
الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط الله عليهم العدو وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة
الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين يسفك الدماء فان له قاتلا لا يموت وروي ان بعض الملوك ذم على بابه ملوك

وانشدنا قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني رحمه الله ببغداد

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا … فالظلم مصدره يفضي الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه … يدعو عليك وعين الله لم تنم

اذا ما هممت بظلم العباد … فكن ذاكرا هول يوم المعاد
فان الظالم يوم القصاص … لمن يدنو ودها شر زاد

وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حكيم يقول ما هبت شيئا قط هيبتي رجلا ظلمته وانا اعلم انه لا ناصر له الا الله فيقول
وقال سحنون بن سعيد حسبك الله الله بيني وبينك وقال بلال بن سعد اتقوا الله فيمن لا ناصر له الا الله وقال ابو سليمان
الداراني لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فلا يكبرهم وكان من خزانته فقال لهم اوصاكم
ابوكم قال يا ربيع قال وما هي قال يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا
تكن منطلقا فيما لا يعنيك فتسقط من عينه ولا تتبع بريد النظر فلا يستحي لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين
وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة

ولمحمود الوراق

اني وهبت لظالمي ظلمي … وتركت ذاك له على علمي
ورايته اسدى الي يدا … لما ابان بجهله حلمي
رجعت اساءته عليه … واحساني فعاد مضاعف الجرم
وغدوت ذا اجر ومحمدة … وغدا بكسب الذم والاثم
ما زال يظلمني وارحمه … حتى بكيت له من الظلم
فكانما الاحسان كان له … وانا المسيء اليه في الحكم

وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري وقال ابن مسعود جلس
الله تعالى العذاب عن قوم يونس ترادوا المظالم حتى ان كان الرجل ليقلع الحجر من اساسه فيرده الى صاحبه وقال ثور بن يزيد الحجر
في البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال الغيرم لوان الجنة وهي دار البقا اسست على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب وقال
الحكيم العدل رحمة والظلم ظلمة فالعدل يجر اليك الحوايج وبالجور تنجر عليك الجوايح فاحذر من لا حجة له الا نقمة برد
الغير ولا سلاح له الا الابتهال الى مقلب له وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب يا معشر الظلمة لا تجالسوا اهل الذكر
فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي واذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي وقال ابو امامة يجي الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم
لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا حتى ينزعوا ما بايديهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حمل عليهم
من سياتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الى الدرك الاسفل من النار وفي صحيح مسلم ان هشام بن حكيم مر باناس على ابواب وقد اقيموا في الشمس
وصب على رؤوسهم الزيت فقال ما هذا قالوا يعذبون في الخراج فقال اما اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين
يعذبون الناس في الدنيا وصلى رجل مع كان يعين العمال بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عينا للمكاسين يدو وحولهم
فرايته في النوم بعد وفاته فقلت له من ان تجي فقال للمكاسين الا عن عليه فقال الاسالته فقال من الجحيم فقلت له

قال ابن وهب قال لي مثل الدار التي خرجت منه قلت فكيف لقيت قال وماذا لقيت كان يحيى جعل في هاوون ودق حتى صار كمثل الملح وتحيرني رجل من اهل العلم والدين قال رايت فلانا البياع بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال انا محبوس عن الجنة قلت فبماذا قال كنت ابيع في الدكان فيزدحم على الناس فاخذ دراهمهم فاضعها في فمي وكلما تفرغت وزنتها واعطيت كل انسان حقه فاختلطت في فمي الدراهم ووقعت لاحدهم نقصة الاخر وكانت انقص من نقصته بحبة ثم حوسبت فبقي على حبة قلتاه فاد فع الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من اين ادفع له من اين ادفع له فكررها مرات ويروى ان يونس عليه السلام لما نبذ بالعرا قابنت الله عليه شجرة من يقطين كان ياوي الى ظلها فيبست فبكى عليها فاوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم وقيل لابن السماك الحميري ايام معاوية كيف تركتنا الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي وقال لبعض الحكما افتقر الناس اكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فذكر الحجاج فسبته ووقعت فيه فقال عمر ان الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسبه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم الفضل عليه وقال عمرو بن دينار ادركت رجلا في بني اسرائيل من راني فلا يظلمن احدا واذا رجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكي ويقول من راني فلا يظلمن احدا فسئل عن حاله فقال بينما انا اسير في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطي قد اصطاد تسعة الوان فاخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت راسه فعض النون ابهامي عضة يسيرة ثم اكلناه فوقعت الاكلة في ابهامي فاتفقت الاطبا على قطعها فوقعت في كفي ثم ساعدي ثم عضدي فمن راني فلا يظلمن احدا فخرجت اسيح في البلاد واريد قطع عضدي اذ رفعت لي شجرة فاويت الى ظلها فنعست فقيل لي في المنام لاي شيء تقطع اعضاك رد الحق الى اهله فجيت الصياد فقلت يا عبد الله اني غلام فاعتقني فقال لا اعرفك فاخبرته فبكى وتضرع وقال انت في حل فلما قالها تناثرت الدود من عضدي وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت علي فقال لما ضربت راسي واخذت السمكة نظرت الى السما وبكيت فقلت يا رب اشهد انك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وانك الحق تحب الحق وهذا منك حق وخلقتني وخلقته وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا فاسالك بالذي خلقته وخلقتني ان تجعله عبرة لخلقك وقال معاوية اني لاستحي ان اظلم من لا يجد علي ناصرا الا الله وقال بعض الحكما الظلم على ثلاثة اوجه ظلم لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبا الله به شيئا فاما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك بالله واما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم الذي لا يعبا الله به فظلم العبد بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته ان يخرج منها فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت ان يخرج من مظلمته وقال يوسف بن اسباط توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا ذلك الى المسيح عليه السلام فوقف على قبره ودعا فاحياه الله تعالى وفي رجليه نعلان من نار فسئل عن ذلك فقال والله ما عصيت الله تعالى قط الا اني مررت بمظلوم فلم انصره فنعلت هاتين النعلين واما انا فاوصيك اذا فعلت باحد مكروها فادع الله تعالى واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام لما اخذ هرون واخذ براسه ولحيته ثم تبين له براءته وان بني اسرائيل غلبوه عليه وعلى عبادة العجل فقال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين وروي ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال فاهلكهم الله بها كانوا يتغوطون في الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفي المياه الجارية وفي شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصا فيعورونهم واذا اجتمعوا في المجالس اظهروا المنكر باخراج الريح منهم والتطلع على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل ان يتغوطوا وياتون الطامة الكبرى وهي اللوطية قال الله تعالى انكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر والنادي المجلس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق وضرب الدف وشرب الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس الحرير وتزيد عليهم هذه الامة باتيان النسا بعضهم بعضا وانما حملهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة في منازلهم وحوائطهم وحظ وقلة من الثمار فقالوا باي شي نمنع ثمارنا حتى لا يعلم

أحد

احد من الناس فاصطلحوا على ان من وجدوه فيها نكحوه وغرموه اربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم بها من احد من العالمين قال ابن عباس فكان بدو الفاحشة فيهم انهم هموا بذلك فجاءهم ابليس في هيئة صبي اجمل شي راه الناس فنكحوه وجروا على ذلك

وقال ابو العتاهية

اما والله ان الظلم لوم • ولكن المسيء هو الظلوم
الى الديان يوم الدين نمضي • وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد اذا التقينا • غدا عند المليك من الظلوم

وروي ان انوشروان كان له معلم حسن التاديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشروان عليه فلما ولي الملك قال له ما حملك على ما صنعت من ضربي يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رايتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد ابيك فاحببت ان اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال انوشروان زه زه

الباب السابع والخمسون
في تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول اليه امرهما من الافعال الردية

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر الله تعالى في القران اصنافا اهل الكفر والالحاد واهل التثليث والدهر والظلم والفسوق واشباههم ولم يرتب سبحانه احدا منهم الا النمام وفي هذه الاية ولم يرتب سبحانه احدا منهم الا النمام وفي هذه الاية وحسبك بها خسة ورذيلة وسقوطا وضعة وهذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة في اصح الاقوال الهماز المغتاب الذي ياكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز بجانبه في المجلس وهو الهمز اللمز والعتل في اللغة الغليظ واصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال علي رضي الله عنه والحسن البصري العتل الفاحش السيء الخلق وقال ابن عباس العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد الله بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال ابن هو الجافي القاسي اللئيم العشرة وقال مقاتل العتل الضخم وقال الكلبي هو الشديد في كفره وكل شديد عند العرب عتل وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذي لا يعرف من ابوه قال حسان بن ثابت

وانت زنيم نيط في ال هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال عنتره

زنيم ليس يعرف من ابوه • بغي الام ذو حسب لئيم

وقال اكثر النقلة هذا رجل انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة ومن هذا قالت الحكما لا يكون نماما الا من في نسبه شي وسعى رجل الى بلال بن ابي بردة برجل كان امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو لغير رشدة يعني ولد زنا وقال ابو موسى الاشعري لا يسعى على الناس الا ولد بغي وقيل الزنيم الذي له زنمة في عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بتلك الصفات المذمومة لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف لانه كانت له زنمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها ومن ذلك قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة نزلت في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم ففزع ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم كشف امرهم فوجد ما قاله كذبا فنزلت هذه الاية وسماه الله تعالى فاسقا ومن ذلك

قوله سبحانه سماعون للكذب اكالون للسحت فشرك الله تعالى بين السامع والقايل في التهم وساوى بينهم في الذم
فكان فيه تنبيه على ان السامع نمام في الحكم واما ما روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى مسلم في الصحيح ان همام كان
مع حذيفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال حذيفة سمعت النبي عليه السلام يقول لا يدخل
الجنة قتات وفي لفظ آخر نمام وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال ان شراركم
المشاوون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للعيوب وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشر
ملعونة ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل منان فالشغار المحرش بين الناس
يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال
انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الاخر فكان يمشي بالنميمة ثم اخذ جريدة فشقها نصفين
فغرز في كل قبر واحدة قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم
واما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والحالقة لانه يجمع الى الخصال المذمومة الغيبة
ولوم النميمة التغرير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال ويسلب العزيز عزه ويحط المكين عن مكانته
والسيد عن مرتبته فكم دم اراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة باغ وكم من صفيين تقاطعا وكم من متواصلين تباعدا
ومن محبين تباغضا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته الايام وامكنته القدرة ودرأت
عنه الاقدار ان يصيخ لساع او يستمع لنمام وروى قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث
ولا قلاع قالوا الديوث الذي يجمع بين النسا والرجال سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامرا وانما
لانه يقلع الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه وقد اصاب الناس قحط شديد على عهد
موسى عليه السلام فخرج موسى يستسقي في بني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا
لمن معك فان فيكم نماما فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا فارسل
الله تعالى عليهم الغيث ولما اتى اسقف نجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له يا امير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال
ومن قاتل الثلاثة قال الرجل ياتي الامام بالحديث الكذب فيقتله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال
عمر ما اراك ابعدت ووجدنا في حكم القدما ابغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعى بالنميمة باخيه الى الامام
فيهلك نفسه واخاه وامامه وذكر السعاة عند المامون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم اصدق ما يكونون ابغض ما
يكونون عند الله تعالى وقال الحكيم العربي الصدق يزين كل احد الا السعاة فان الساعي اذم واثم ما يكون اذا صدق وروي ان رجلا
سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد اما انت فتخبرنا انك جار سوء ان شئت ارسلنا معك فان كنت صادقا
ابغضناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك قال تاركني يا امير المؤمنين قال قد تاركناك ولله در الاسكندر
حين وشي اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت قبلنا قولك على صاحبك بشرط ان نقبله عليك وان شئت اقلناك
قال اقلني قال قد اقلناك كف عن الشر يكف عنك الشر ومن العجب الذي لا عجب بعده ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل
فلا تقبله حتى تسال الناس عنه هل هو من اهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم ينم عندك بحديث فيه الهلاك
وفساد الاحوال فتقبله وقال يحيى بن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما لما سقي السم اخبرني من سقاك فقد تعينا ه
وقال انا في آخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة تامرني ان اغمز وقال رجل للمهدي عندي نصيحة يا امير المؤمنين قال
لمن هذه النصيحة لنا ام لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك يا امير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا
اقبح حالا ممن قبل سعايته ولا تخلو من ان تكون حاسد نعمة فلا نشفي لك غيظا او عدوا فلا نعاقب لك عدوك ثم اقبل على
الناس وقال ايها الناس لا ينصح لنا ناصح الا بما لله فيه رضا وللمسلمين فيه صلاح وروي ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل

توقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية شرا منها لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل واجاز
لان من نقل شرا من قال ويروى ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها هذه نصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى ولا
جواب عندنا لمن اثرنا على الله تعالى ويروى ان رجلا قال للمامون يا امير المؤمنين الله الله في اصحاب الاخبار فانهم قوم ان
اعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا ان اعطوا مدحوا وهم كاذبون وان حرموا ذموا وهم كاذبون فقال المامون لله درها كلمة
ما اصدقها وابين فضلها وامر ان تثبت في امور اصحاب الاخبار وقال مروان بن ربيع العبسي يا بني عبس احفظوا عني ما احكي
من نقل اليكم نقل عنكم واياكم في التزوج في البيوتات السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو
ما استطعتم فان استكثاره ممكن وقال بعض الحكما احذروا اعدا العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون
اذا سرق اللصوص المتاع سرق هؤلاء المودات وقال الحكيم العربي اياك والسعاة فانهم اعدا عقلك ولصوص عدلك
فيفرقون بين قولك وفعلك وفي المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فتنبت ويقطع اللحم
بالسيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه واحق الناس برعاية ما رسمته من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكم
واستودعته من هذه السير من اتاه الله سلطانا ومكن له في الارض قدما فذووا القدرة اذا اطاع الواشي هلك العالم
وكان بعض الحكما يقول من اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فيجعل نفسه بينه وبينهم قاضيا عدلا يحكم بالعدل
ولا يقبل احدا الى احد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فانا لو ما احببنا بقول القوام وابغضنا بقول الاخرين فاصبحنا نادمين
ومن لطيف حكمة الله تعالى في النميمة لما علم من شؤمها واستطارة شررها وعموم مضرتها في الورى حكم بفسق النمام حتى
لا يقبل له قول فيستريح الخلق من شره وقال ابن عمر وفد الله الحاج ووفد الشيطان قوم يرسلهم الشيطان الى الناس يسالونهم
عن حالهم فيخبرونه ان الناس راضون ويبلوا براضين واعلموا ان الله تعالى خلق الانسان على انحاء شتى لسنا نذكرها
الان لكثرتها وطول تتبعها خلق الله الحواس الشريفة والاعضا النافعة النفيسة فمن افضل ما ركب فيه اللسان الذي
هو آلة المنطق والبيان وبه فضل بينه وبين البهايم ثم فضله على ساير الحيوان وامتن به في اول سورة الرحمن فقال
تعالى الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان وجعل ايضا فيه اعضا تذال وتستر ثم جعلها مجرى لفضول
الطعام والشراب فمن تتبع سقطات الكلام ويروى عثرات الانام التي هي كالعورات الواجب سترها ودفنها كان
قد استعمل اشرف الالات في اخس المستعملات فصار كمن لطخ بلسانه سوءة اخيه وجعل اكرم جوارحه لاخس اخراج
المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطين يتبع الجسد ويتجافى صحيحه وقد كان له في نشر المحاسن شغل
ولكن اهل كل ذي حال اولى به وفي هذا سبق المثل انه لم يكن طهما فلا كوذبا يفسد ومن لم يقتدر على جميع الفضائل فلتكن
همته ترك الرذايل واذا تتبع الحكام عورات الناس افسدهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما
فسمع قوما من اصحابه يحكون فامتنع من الخروج اليهم حذرا ان يغيظه قلبه عليهم ولو علم الذي يسمع اخبار الناس ما جنا
على نفسه لعلم ان الصمم كان اهنى لعيشه وانعم لباله من سماع الاخبار ما واخذ ما ذا حمل نقلة الاخبار حملوا الكذب
الصدق والكذب فيكون في سماع الكذب ممن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب اكالون للسحت ويكون في سماع الصدق
حمالا لهم حرج الصدر وهل الخلق معاديا لهم مستتبعا لعثرات الخلق وخزانا لسقطاتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره
وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصفة من قابل لانك ان كنت ذا قدرة اهلكت الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك
جميع الرعية وان كنت سوقة لم تشتغل ثم افسدت اخوانك وابغضت من يجب ان تحبه واجنبت من يجب ان تقربه
ثم لا تزال تتحمل الضغاين وتزيد الاحقاد والضغاين وترصد لكل قايل يوما تشفي صدرك فيه فما اغنى العاقل عن هذه
البلية ولله در عمرو بن العاص روي انه لاحاه رجل يوما فقال له الرجل اما والله ان عشت لا تفرغن لك فقال له
عمرو بن العاص الان وقعت في الشغل يا ابن اخي والسلام ه د د

الباب الثامن والخمسون
في القصاص وحكمته

قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يعني اذا علم القاتل والقاطع انه يقتص منه احجم ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياة الذي هم به روى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس في الدماء وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاخيه مظلمة فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه وطرحت عليه وهذا حديث صحيح رواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فكيف يوخذ الظالم بذنب ركبه المظلوم قلنا معنى الاية انه لا يعاقب احد بذنب احد ابتدا فاما في مسالتنا فظلمه بقيت عنده ليس له وفاها فهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله تعالى وليحملن اثقالا مع اثقالهم وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لاحدهم اهدى لمنزلته في الجنة منه بمنزلته في الدنيا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فلياتي حتى اقصه من نفسي فقام سواد بن غزية فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني ليلة العقبة فاوجعتني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص فقال يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو كالقباطي يعني ثياب مصر فانكب عليه يقبله فقال يا سواد ما حملك على هذا فقال يا رسول الله دنا لقا هولاء يعني المشركين فاردت ان يكون اخر العهد بك ان اقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه مع ان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لعلمه بان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى عدل لا يدع مظلمة احد عند نبي ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة انا الظالم ان فاتني ظلم ظالم وروي ان داود عليه السلام يقدم خصمه الى الله يوم القيامة فيقضي له عليه فيدفعه الى اوريا ثم يستوهبه الله تعالى من اوريا فيهبه لداود ثم يعوض اوريا على ذلك الجنة وفي الحديث دخل عثمن بن عفان رضي الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له فراى في علفها شيا فاخذ باذن غلامه فعركها ثم قال له اعرك اعرك وهو يقول له شد شد حتى عرف عثمن انه قد بلغ منه ثم قال واها لقصاص الدنيا قبل قصاص الاخرة وروى عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه وكان بيده سواك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا القود لاوجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطاه عن ابن شهاب قال اقاد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتان من انفسهم ليستن بهم ولم يتعدوا احيفا وكانوا سلاطين ومن حديث مسلم روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ذلك وبلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة ضرب رجلا ثم ندم فقال ما لي ولهذا الا اردد عليه فمنعته عايشة رضي الله عنها فارسلت الى عمر فجاء عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معافا من هذا ان ضربت فقال لعمر كذلك الاحكام قال فما المخرج قال ان ياتي الرجل فيساله ان يجعلك في حل فاتاه فاستحله دلنا الاثار على ان الامير والمامور في القصاص سوا اذ انما احدهما على الاخر وان الامير اذا ظلم المامور رد الناس عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المومنين عليهم حتى يتحاكموا في ذلك الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثنا امراي ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم فيهم ويعدلوا بينهم ولم ابعثهم ليضربوا ابشارهم ويحلقوا اشعارهم فمن ظلمه اميره فلا امرة عليه دوني حتى اخذ له بحقه فقال عمرو بن العاص الله الله يا امير المومنين

ان

ان ادب رجل رجلا من رعيته انك لتقصه منه فقال عمر وانا لا اقصه منه وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه فاما القصاص بين البهايم فاختلف الناس في حشرها وجريان القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال لا يحشر كل شي الموت الا الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيمة وقال المعظم المعتبر انها تحشر ويقتص منها قال ابن حبيب تحشر البهايم وقال قتادة يحشر كل شي حتى الذباب وقال ابو الحسن الاشعري لا يقطع باعادة البهايم والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة ويجوز ان يعادوا ويدخلون الجنة ويجوز ان لا يعادوا والدليل على ثبوت الاعادة في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم الى ان قال ثم الى ربهم يحشرون وروى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتودن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا وقال ابو ذر انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون فيما انتطحتا قلت لا ادري قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما قال ابو ذر لقد تركنا النبي عليه السلام وما يقلب طاير جناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما وقال ابو ذر ان الحجر ليسال عن نكبه اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتين احدكم على رقبته شاة يعر ثم تبسط لها بقاع قرقر فتطوه باظلافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه اولاها عادت اخراها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال ابو الحسن لا تجوز المقاصة بين البهايم لانها غير مكلفة ولا يجري عليها القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله عليه السلام يقتص للجما من القرنا ويسال العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقصي في الحساب وانه لابد ان يقتص للمظلوم من الظالم واباه ذلك الاستاد ابو اسحق الاسفرايني قال في الجامع الكلي يجري القصاص بينها ويحتمل انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلهذا اجري فيه القصاص وكذلك الاستاد له وجه في الصحة لان البهايم تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل الى العلف وينزجر الكلب اذا زجر ويستاسد اذا اشلي والطير والوحش تفر من الجوارح استدفاعا لشرها ثم ان لم يجر عليها القتل في الدنيا وقع القتل عليها في الاحكام فان قيل القصاص انتقام وهو جزا على جناية وقصد من مخالفة الحجر والبهايم ليست مكلفة ولا لها عقول ولا جا لها رسول والعقول عندكم لا يجب بها شي على العقلا فضلا عن البهايم وفي هذا انفصال عن قول الاستاد انها كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل شي ويشهد له قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والجواب انها ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول والمرسل وهذا من خصايص العقلاء الثقلان واذا لم يكونوا مكلفين كانوا في المشية يفعل الله بها ما اراد كما سلط عليهم في الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليه والله تعالى له ان يفعل في ملكه ما اراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يولم البهيمة ابتدا جاز ان يولمها بعد حياتها والاية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجر عليهم القلم في الدنيا فانما رفع القلم عنها في الاحكام ولكن فيما بينهم يواخذون به وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابرهيم عليه السلام فهذا عوقبت على سو جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب بحكمه لا بالمعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر الذي فر بثوبه وبني اسرايل ينظرون عورته رواه البخاري عن النبي عليه السلام قال فضربه بعصاه الحجر ندبا ويقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر قال ابو هريرة فوالذي نفسي بيده ان بالحجر ستة او سبعة وروي في تفسير قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التي تكسر الناس في الدنيا وروي ان المسيح عليه السلام مر بجبل فسمع انينه فساله عن ذلك فقال سمعت الله تعالى يقول وقودها الناس والحجارة فلا ادري اكون من تلك الحجارة ام لا وتاول بعضهم قول ابن عباس حشرها موتها تحشر لضرب من القصاص بينها ثم تصير ترابا قلت وتاويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس في موتها جمع بل فيه تفريقها وتفرقة اجزايها قال والى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها وجمعها الى الله

الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة

قال الله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي عليه السلام ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر ولن يغلب عسر يسرين ومعنى الآية انه لما عرّف العسر ونكّر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته فهو هو واذا نكرته ثم كررته فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن الكثر الزمان بلوى	عظمت عندها الخطوب وجلّت
وتلتها نوازع ناكبات	سئمت دونها الحياة وملّت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها	فالرزايا اذا توالت تولّت
واذا اوهنت قواك وجلّت	كشفت عنك حمله فتجلّت

وقال بن عليرد اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفّى ابرهيم منطلقا فاتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي هل ترى احدا فلم تر احدا ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف فقال النبي عليه السلام رحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف لكانت عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله

ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا وذلك ان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا الثلاثة قال فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الارض بما رحبت فما هي التي اعرف وكنت اطوف في الاسواق واشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمني احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه واقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا حتى اذا طال ذلك علي من جفوة الناس تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فلما تمت خمسون ليلة من يوم نهى رسول الله عن كلامنا صليت صلاة الفجر وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت وما كان من شيء اهم علي من ان اموت فلا يصلي علي النبي او يموت النبي عليه السلام فاكون من الناس بتلك المنزلة لا يكلمني احد ولا يصلي علي فانزل الله توبتنا فسمعت صوت صارخ من اعلى الجبل يا كعب بن مالك ابشر فخررت لله ساجدا وعرفت ان قد جاء الفرج فجعلت ثوبيّ على الصارخ لبشراه ووالله ما املك غيرهما ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال النبي عليه السلام امسك عليك بعض مالك فهو

خير لك

خير لك وروي ان ابرهيم عليه السلام لما شب ودرج في موضع ربي فيه فلما جن عليه الليل راى كوكبا فقال انه راى كوكبا فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل بعد طلوع الفجر قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما اصبح وراى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى الاسلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون قالوا يا ابرهيم اما تخاف من الهتنا ان تصيبك بسوء لانك تعيبها قال يا قوم ان تسبونها او تعيبونها قال وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع اصناما تعبدها قومه ثم يعطيها ابرهيم يبيعها فيكسرها ويذهب بها الى الخربان فيضربها فيه على رؤسها ويقول اشتري استهزاء بها واظهارا لقومه فسادها ما عليه ففشا ذلك عندهم من غير ان يبلغ ذلك نمرود فقال لما نادى قومه ان نظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى اصنامهم فظنوا انه مطعون وكانوا يفزعون من الطاعون اذا سمعوا به فتولوا عنه مدبرين فراغ الى الهتهم فدخل عليها وهم قد وضعوا لها طعاما وشرابا فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها وقطع ايديها وارجلها حتى جعلها جذاذا واراق طعامها وشرابها وعمد الى الفاس وعلقه بيد الهها العظيم ثم خرج عنها وتركها فلما رجع قومه من عيدهم ودخلوا بيت اصنامهم فلما راوا ما صنع بها راعهم ذلك وعظم وقالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم سمعناه يسبها ويستهزئ بها فقال نمرود فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون فلما اتي بابرهيم عليه السلام قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون انا قد ظلمناه بانسبناه اليه ثم قالوا وقد علموا انها لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون فقال له نمرود حين سمع ذلك منه صف لي الهك الذي تعبد وتدعو الى عبادته قال ابرهيم ان ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود وانا احيي واميت قال كيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل احدهما فاكون قد امتّه واعفو عن الآخر فاكون قد احييته قال ابرهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت بعد ان اخرج روحه من جسده من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم يرد الى ابرهيم شيئا وامر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو اهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر امره وفشا واتبعه قوم كثير على دينه فلما ارادوا ان يحرقوا ابرهيم واجتمع امرهم على ذلك بنوا حيزا طول جداره ستون ذراعا ووضعوه الى سفح جبل منيف لا يرام ولا يرقى وبلطوا فيه الحطب فلا يمشي فيه احد الا زلق عنه واذن مؤذن نمرود ايها الناس احتطبوا النار لابرهيم ولا يتخلفن عنها ذكر ولا انثى ولا حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك ألقي في تلك النار ففعلوا في ذلك اربعين ليلة حتى ان المراة منهم تنذر ذلك على نفسها لئن رجع ابنها او افاق عليلها حتى اذا كمل ذلك قذفوا فيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابرهيم في كفة المنجنيق قال وهب بن منبه فلقد عجت السماء والارض والجبال وما فيهن الى الله تعالى ضجة واحدة قالوا يا ربنا ليس في ارضك احد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فاوحى الله تعالى اليهم ان استغاث بشيء منكم فانصروه واعينوه وان دعاني فانا وليه وناصره فلما وضع في كفة المنجنيق وقذف قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار فاوحى الله تعالى الى النار ان كوني بردا وسلاما على ابرهيم فاطاعت النار ربها ولو لم يقل وسلاما لمات من شدة البرد ولبث في النار سبعة ايام وظن قومه انه احترق ثم قال نمرود انظروا ما ذا فعل بابرهيم فاني رايت

للثلة ان تجمد النار الحطب هذا الحين فتفقد م وخرج ابرهيم يمشي في رماد النار الذي اشتكت به بابل الحين واحرق الحطب زمنا
وما دام اطلعوا على ابرهيم فراوه صحيحا سليما وخرج الى الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما راوه خرج يمشي حتى قعد الى ابيه وهو في
الجمع واقبلت سارة وكانت اول من اتاه حتى جلست اليه فقالت يا ابرهيم اني انت بالذي جعل النار عليك بردا وسلاما فقالت
لها امر ابرهيم احذري لقتل على نفسك فقالت ليك عني فاني لا اخاف شيا وقد انت باكر ابرهيم وحول ابرهيم جمع من الناس لا
يحصى عددهم يامرون لحيدو والدهم عذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فنسفت رماد تلك النار في وجوههم وعيونهم فعبروا
عنه وقام ابرهيم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به وقال مجاهد وقتادة وغيرهم ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انطلق
الى الحمام ومعه جني يقال له صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الخلا بخاتمه فدخل واعطا الشيطان خاتمه فالقاه في البحر
فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه والقي على الشيطان شبه سليمان فجاء فجلس على كرسيه وسلط على جميع ملك سليمان
غير نسائه فجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون عليه قضاياه حتى قالوا لقد فتن نبي الله سليمان ومكث على ذلك اربعين يوما
ثم اقبل في حالته تلك وهو جايع نايح حتى انتهى الى صيادين في البحر فاستطعم احدهم من صيده وقال له انا سليمان فقام اليه
فوجاه ضربا وشج وجهه فجعل يغسل دمه على شاطي البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم اعطوا سليمان
سمكتين مما قد تغير عندهم ونتن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب دون ان قام الى شاطي البحر فشق بطونهما وغسلهما فوجد خاتمه
في بطن احدهما فغسله واخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاه وجات الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان
فقاموا يعتذرون اليه **وروي** وهب بن منبه ان الله تعالى وهب لابرهيم اسحق فلما كان ابن سبع سنين اوحى الله تعالى الى ابرهيم
ان يذبحه وان يجعله قربانا فكتم ذلك ابرهيم عن اسحق وامه وجميع الناس واسر الى خليل له يقال له العاذر وكان اول من امن به
من قومه يوم احرق فقال له ان الله تعالى رفع اسمك في الملا الاعلى على جميع اهل البلا حتى كنت ارفعهم بلية ليرفعك الله بقدر
ذلك والمنازل والفضايل وقد علمت ان الله تعالى لم يبتليك بذلك ليعنتك ولا ليضلك فلا تسون بالله ظنك واعوذ بالله
ان يكون ذلك تجنيا منك على الله تعالى او تسخطا بحكمه الذي حكم على عباده ولكن عند احسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك فكن
عند احسن علمه بك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فتعزى ابرهيم عليه السلام بقوله واشتد له رايه وبصيرته
وانطلق باسحق فلما صعد الجبل ومعه السكين والحبل واداة القربان فقال اسحق يا ابت اري معك اداة القربان ولا اري لك
قربانا قال ابرهيم يا بني القربان بعين ربك ينظر اليه وان شا رحم اباك فلم يفطن اسحق فلما وافى راس الجبل قال ابرهيم يا بني
ان الله تعالى امرني ان اذبحك واجعلك قربانا يرفعك اليه ويتقبلك فانظر ماذا تري فتهلل اسحق واستبشر فقال له
والله لقد فجعتك يا بني بامر ما فجع به والد ولده واني لا ارى سرورك بذلك وشكرك لربك امرا ارجو به العاقبة
والفرج فقال يا ابه لم يكن شي من الدنيا احب الي من التقرب لربي فاذا اردت ذبحي فاشدد وثاقي فاني اخاف حين تمارسني
عقلي واحبا لم الحديد ان يحرك مني عضو فيوذيك وانا اكره ان اختم بذلك عملي فاذا فرغت من امري فاقرا امي السلام وقل
لها لا تجزعي فقد اكرم الله ابنك في حياته فلما فرغ من وصيته عمد ابرهيم عليه السلام فعصبه بعمامته ما بين منكبيه الى
الكعبين بشركته لوجهه وكره ان يستقبل وجهه لكي لا تدركه له رحمة اذا هو شحط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يجز
انقلب السكين فاوجس ابرهيم في نفسه ثم عاد الثانية والثالثة فلما اراد ان يجز انقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت
الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فدا ابنك فذبحه فداه الله لك به فنظر
ابرهيم خلفه واذا بكبش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجهه ابرهيم الى القبلة وقبله يوميذ وكذ فذبحه ابرهيم
وقضية اسحق فلما فرغا منه وضحاه فرفعه الله اليه وتقبله **قال** ابو هريرة ولما صار يوسف عليه السلام الى
مصر واسترق بعد الحرية جزع جزعا شديدا وجعل يبكي الليل والنهار على ابويه واخوته ووطنه وما ابتلي به من الرق
فاتى ليلة من الليالي يدعو ربه وكان من دعايه ان قال يارب اخرجتني من احب البلاد الي وفرقت بيني وبين اخوتي وابوي ووطني

فاجعل

فاجعل لي في ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وحبب الي البلاد التي انا فيها وحببها الي كل من يحلها
وحببني الى اهلها واجعلهم الي ولا تمتني حتى تجمع بيني وبين ابوي واخوتي في يسر منك ونعمة وسرور وتجمع لنا به خير الدنيا
والاخرة انك سميع الدعا فاتى يوسف في نومه فقال ان الله تعالى قد استجاب دعاك واعطاك مناك وورثك هذه البلاد
وسلطانها وجمع اليك ابويك واخوتك واهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله تعالى لن يخلف وعده فبدعا يوسف عليه السلام
صارت مصر محبوبة يحب من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت نعم عليه تاق
الى لقاء ربه فقال رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة
توفني مسلما والحقني بالصالحين **ولما وجه** سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق اهل السجون ويقسم الاموال
ضيق على يزيد بن ابي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن ابي مسلم افريقية فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه
يزيد بن ابي مسلم فاتي به في شهر رمضان عند المغرب وفي يد ابن ابي مسلم عنقود عنب فقال له يزيد حين دنى منه محمد قال لم
قال اما والله لطالما سالت الله تعالى ان يمكنني منك بغير عهد ولا عقد فقال محمد وانا والله فطالما سالت الله ان يجيرني
منك ويعيذني فقال يزيد فوالله ما اجارك ولا اعاذك وان سابقني ملك الموت الى قبض روحك لقبضتها والله لا اكلت
هذه الحبة حتى اقتلك وقام الموذن الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم ليصلي وكان اهل افريقية اجتمعوا على قتله
فلما ركع ضربه رجل على راسه بعمود فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شيت فسبحان من قتل الامير واحيا الاسير
سنة الله التي قد خلت في عباده طلوع الحياة من شفار الموت وحضور الموت من معدن الحياة **ويروى** ان سلطان
صقلية ارق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قايد البحر وقال له انفذ الان مركبا الى افريقية ياتوني باخبارها فعمل القايد
المركب وارسله حينه فلما اصبحوا اذا بالمركب في موضعه لم يبرح فقال له الملك الم تكن قد فعلت ما امرتك قال نعم
امرك وانفذت المركب ورجع بعد ساعة وسيخبرك فجا مقدم المركب ومعه رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب
حيث امرتك قال ذهبت في المركب فبينما انا في جوف الليل والبحاريون يجذفون اذا انا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث
المستغيثين ونحن نجيبه بالبيداء لبيك فقذفنا بالمركب نحو الصوت فالفينا هذا الرجل غريقا في اخر رمق من الحياة
فاستنقذناه من البحر وسالناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام وما زلت اسبح
حتى وجدت الموت فلم اشعر الا بالغوث من ناحيتكم فسبحان من اسهر سلطانا وارق جبارا في قصره لغريق في البحر
حتى استخرجه من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله الا انت سبحانك **واخبرني رجل**
كان امام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت بصقلية ايام فتنة العدو فخرج الينا في البحر في شغر ثلاث مايه شيني
وارست في الساحل فراينا امرا مهولا وحوفنا الشيخ الصالح بن السمطاري فلجا الناس اليه واستجمعوا حوله يتبركون به
وينتظرون الفرج على يديه فقال انظروا الى الساحل وسجد وعفر خديه بالارض يقلبهما يمينا وشمالا فقال فوالله ما دمنا
حتى هبت ريح فرقتهم كل ممزق فلم يجتمع منها اثنان **واخبرني** ابو القاسم بن حابل رحمه الله قال كنت في طريق الحجاز
فعطش الناس في مفازة تبوك ففقدوا الماء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال الجمل يبيعه بالدنانير بارفع الاثمان فجاء
رجل كان موسوما بالصلاح عليه قطعه نطع يحمل ركوة ومعه شي من دنانير فتشفع بي الى الجمال ليبيعه الماء بذلك فابى
وكلمته فابا علي ثم عاودته فابا فانبسط الرجل النطع في الارض ونثر عليه الدنانير ثم رمق الى السما وقال الهي انا عبدك
وهذا دنيك ولا املك غيره وقد ابا ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى اشرب فوالله ما
تفرقنا حتى انشا السحاب فامطر الحين فشرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يوبه له
لو اقسم على الله لابره واخبرني شيخ مسن ممن كان يصحب العلما بالقيروان يقال له حرز قال اخبرني نجيبا الكاني الدباجي قال
رايت بالقيروان اية عظيمة وذلك ان رجلا اعجميا بعيني لم وقد اسكت فلا يتكلم فدخل به الى الفقيه ابي بكر بن عبد الرحمن فقال

له ان ابني هذا قد اسكت منذ ايام فادع الله تعالى ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة ثم مسح وجه الصبي فاستفاق الصبي
فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم التفت الى الرجل وقال اكتمه علي الى
الموت ثم التفت الى الجارية فقال اكتمي هذا علي الى الموت وانت حرة لوجه الله فلما كان يوم توفي الشيخ ابو بكر واجتمع الناس لجنازته
وتكاثرنا لاتم نغاما(?) الرجل فاستنصت الناس فسكتوا فقال يا اهل القيروان اسمعوا قصتي مع هذا الشيخ وذكر الحديث
كما سقناه **وحدثني** هذا الشيخ قال نزلت عندنا بالقيروان قصة لم يسمع في السالفين مثلها وذلك ان بعض الجزارين اضجع كبشا
ليذبحه فتخبط بين يديه فافلت منه وذهب فقام الجزار يطلبه وجعل يمشي الى ان دخل خربة فاذا فيها رجل مذبوح يتخبط
في دمه ففزع وخرج هاربا واذا صاحب الشرطة والرجالة عندهم خبر القتيل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فاصابوا
بيده السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة فقبضوه وحملوه الى السلطان فقال له انت قتلت الرجل قال نعم
فالحوا(?) لو ايستنطقونه وهو يعترف اعترافا لا اشكال فيه فامر به السلطان ليقتل فاخرج للقتل واجتمع الامم ليبصروا
قتله فلما هموا بقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمعين فقال لهم لا تقتلوه انا قاتل القتيل فقبض وحمل الى السلطان فاعترف
وقال انا قتلته فقال السلطان كنت معافى من هذا فما حملك على الاعتراف قال رايت هذا الرجل يقتل ظلما فكرهت ان القى
الله تعالى بدم رجلين فامر به السلطان فقتل ثم قال للرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل وانت بريء قال الرجل فما حيلتي
رجل مقتول في الخربة واخذوني وانا خارج من الخربة وبيدي السكين ملطخة بالدم فان انكرت من يقبلني وان اعترفت
من يعذرني فخلا سبيله وانصرف مكرما **ولما وزر** فخر الملك نظام الدين وكان لفخر الملك نديم يقال له شهاب الملك
وكان يخاف منه على منزلته فقال للملك سنجار لا حياة لي معك الا ان تقتل نديمي شهاب الملك فابا سنجار فما زال يراجعه
الى ان امر به فحبس في بلد يقال له حايسق(?) وكان والي ذلك البلد يكرمه لجلالته وجلالة اهل بيته واخلا له دارا
في القلعة مشرفة ثم جعل فخر الملك يفسد قلب سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك الى ان ارسل سنجار الى واليه بقتل
الملك فاستعظم الوالي قتله واخر اياما ثم لم يجد بدا من قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينا شهاب الملك يطلع من
طاقات الدار اذا بفارس يركض فاوجس في نفسه خيفة منه وقال هذا يريد قتلي فوصل الفارس وقال مات فخر الملك فخلي
شهاب الملك ثم وزر لسنجار مكان فخر الملك فسبحان الفعال لما يريد **واخبرني** ابو الفضل المعبر بمصر قال كان بمصر
ملوك بني حمدان وكان الرئيس امر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فاعيا الاطبا ولم يوجد له شفا ثم ان السلطان
دس على قتله فارصد له رجل معه خنجر فلما جا في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة
في خاصرته فاصاب طرف الخنجر المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط ثم عافاه الله فصح وبرئ كاحسن ما كان
ولما كنت بالاسكندرية نزلت سفن العدو باحل(?) مدينة برقة فاخذوا قوما من المسلمين وقتلوا بعضهم واسروا بعضهم
فاخذ رجل منهم وشد كتافه من خلفه فلما هبوا(?) السفينة تحكك اليه بعض الملاحين فرفعه والقاه في البحر ثم طعنه برمح
كان معه فلم يخطئ نصل الرمح حبل الكتاف فقطعه وانحلت يدا الرجل فسبح حتى لحق بالشاطئ سليما ووصل الى الاسكندرية
في عافية **وحدثني** بعض الشاميين ان رجلا خبازا بينما هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق اذ مر عليه رجل يبيع المشمش قال
فاشترى منه وجعل ياكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا فاذا هو ميت فجعلوا ينتظرون به ويحملون له
الاطبا فيلمسون دلائله ومواضع الحياة فقضوا بانه ميت فغسل وكفن وحمل الى الجبانة فبينما هم خارجون به من باب المدينة استقبلهم
رجل طبيب يقال له اليبرودي وكان طبيبا ماهرا حاذقا بالطب فتبع الناس يلحون(?) بتغسيله فقال لهم حطوه فحطوه حتى راه
وقال(?) حطوه وجعل يقلبه وينظر في امارات الحياة التي يعرفها ثم فتح فمه وسقاه شيئا او قال حقنه فاندفع ما هنالك واسهل
واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى حانوته وكان رجل يمشي ببغداد فبينما هو في الطريق اذا بدار وقعت عليه
فخرت كالجبل العظيم واذا في الحائط طاقة فما انحطت راسه فصارت الدار كوما وخرج الرجل من الطاقة سليما **وجرى**

ابو القسم الحضرمي قال كنت باليمن في ارض الصليحي فوشي بي الى السلطان فامر بي للقتل فاخرجت وقدمت للقتل وبرك بي
السياف ثم قال كم من قبيلك قد دت(?) عنقي بقضاء الله تعالى ثم قال لي السياف اشد فقلت دونك يا هذا فبينا نحن كذلك اذ اصيح
من اجل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه خلوا سبيله **وجرت** بقرطبة قصة غريبة في ايام المنصور بن ابي عامر وذلك ان رجلا
يعرف بقاسم بن محمد الشنتبيني شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور مع جماعة من الادبا من وجوه قرطبة يرمون بالالحاد
والزندقة وكان ينادي عليه في كل جمعة يوقفون اثر صلاة الجمعة بباب الجامع الاعظم من كانت عنده شهادة فيهم فليؤدها فثبت
على قاسم عند القاضي بجل(?) شهادات الشهود بانواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر وطلعوا الى القصر وعقد مجلس عظيم واستشهد
الفقها فيه فاوجبوا قتله فاستحضر قاسم فحضر وحضر ابوه وحضر ابنان صغيران لقاسم قد لبسوا ثياب الحداد وحمل ابوه معه
نعشا وحمالون وجعل ابوه والصبيان يبكون بباب القصر واحضر لضرب عنقه سياف يعرف بابن الجزري ودفعت له اسياف
من القصر فجعل يبرزها ويجرب شفارها وابوه وابناه ينظرون وحضر الفقيه ابو عمرو بن المكوي الاشبيلي وكان يابى
الحضور فاستفتوه فقال يا هولا ان الدما لا تسفك الا بالحق الواضح دون الشبهة احسبوا ان الشنتبيني فرج باذا تكلم
فقال القاضي الشرفي(?) هي بينة عندي واعتقد النظر فيه فقال الفقيه اوقفني عليه فاخذ السجل ونظر فيه فقال للحاضرين
ممن قبلته من هولا الشهود فقال سبعة او بعد احتسب بسبعة(?) قال الفقيه فجميعهم تقبله قال لا نعم قال فلو شهد منهم اثنان
كنت تقبله قال لا انما قوى بعضهم بعضا وزكى اكرم عندي فالتفت الفقيه الى الفقها المشاورين فقال يا هولا ابالدعائم تقتل
المسلمون عندكم وتسفك دماهم فلست ارى قتله ولا اشير به فرجع الفقها الى قوله ولم يروا عليه شيا بعدما افتوا بقتله
منذ ستة اشهر فانفض الجميع وشتم السياف وطار البشير الى ابن ابي عامر فاخبره بالمجلس فقال ابن ابي عامر معتبهم تسلون
الشنتبيني فقد ثبت(?) القاضي تداجحد(?) بالدين ولا في الحجل(?) فحبس اياما ثم اطلق وكان يذكرون ان الفقيه يقول للقاضي في مثل هذا
قال ان القائل ذا اشبيل من عرف ان الله قد بعثه عز ابي ومعنى الدعائم على لسان الفقيه هم الشهود الذي لو انفرد منهم اثنان
لم تثبت الحكم ولا عبلا حية(?) فاذا كثروا قوى بعضهم بعضا فلا تثبت الحكم بهم **وفي نقيض هذا** ما حدثني القاضي ابو مروان بن ادم
بطرطوشة وقد ولي قضاها قال تذاكرنا يوما فقال رايت قافلة بقرية خربة من اعمال دانية فاووا الى خراب هنالك
من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وفي تلك الخربة حائط مايل قد اشرف على الوقوع فقال رجل
منهم لاهل القافلة يا هولا لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا منه البقعة فابوا الا دخولها وبات الرجل منتبذا
خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم اصبحوا في عافية وحملوا دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل الرجل الخربة ليقضي بقية الشاد(?)
فخر عليه الحائط فمات مكانه **وبلغني** عن بعض الفقها ان حيا من الجيوش(?) كان بصقلية فاشار بكار الى مكان فقعدوا
ساعة لبعض شانهم فاذا عقرب تدب فضربه بعض الاجناد بمقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا بالعقرب
قد نشبت باطراف المقرعة وهو لا يشعر فلدغته في عنقه فمات مكانه **واخبرني** القاضي ابو الوليد الباجي عن ابيه قال
قال كنت اقرا على الشيخ ابي حفص عمر بن احمد بن شاهين ببغداد جزءا من الحديث في حانوت رجل يبيع العطر فبينا انا جالس معه في
الحانوت اذ جاء رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فاعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع لي اشيا سماها من العطر
فاخذها في طبقه ومشى فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال ابو حفص لصاحب الحانوت
لعلك تجبر له بعض هذه الاسباب فقال نعم فنزل وجمع ما تجمع منه وجبر له ما نقص فاقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له
لا تجزع فامر الدنيا ايسر من ذلك فقال الطواف ايها الشيخ ان جزعي لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى اني كنت في القافلة
فضاع لي هميان فيه اربعماية دينار او قال اربعة الاف دينار لست ادري ومعه فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت
لضياعه ولكن طلع لي الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما يحتاج اليه النفسا ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم
فاشفقت ان اشتري حوايج النفسا ولم يكن عندي غيرها فابقى بغير راس مال ولا اقدر على التكسب فقلت اشتري

بماشيا واطوف به صدر الدار فهل تستفضل شيئا اسد به رمق اهلي ويبقى راس المال اتصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه
جزعت فقلت للجندي ما ارجع به اليهم ولا انا اكتسب به وعلمنا انه لم يبق لي الا الفرار منهم وتركهم على هذه الحال يهلكون بعدي
فهذا الذي اوجب جزعي قال الشيخ ابو ذر وكان رجلا من الجند جالسا على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ ابي حفص انا ارغب
اذا تممتم امره ان تدخل معه عندي وقام فظننا انه يريد ان يعطيه شيئا قال فدخلنا عليه فاذن لنا فقال الجندي للطواف
عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان بها من اعلام الناس فلان وفلان فعلم الجندي
صحة قوله فقال له وما علامة الهميان وفي اي موضع سقط منك فوصف المكان وذكر العلامة فقال له الجندي لو رايته كنت تعرفه
قال نعم فاخرج الجندي هميانا ووضعه بين يديه وقال هذا هميانى وعلامة صحة قولى ان فيه من الاحجار ما صفته كذا وكذا ففتح
الهميان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار قيمتها مثل الدنانير واكثر فخذ انت الدنانير
ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لاخذ على امانتي شيئا ودخل الطواف وهو من الفقرا وخرج وهو من الاغنيا فبكى الجندي
بكا شديدا وانتحب فقال له ابو حفص ما الذي تبكي وقد ادى الله امانتك وقد بذل لك مالا كثيرا وان شئت عرضنا عليه ان يعيد
عليك فقال ما ابكي لذلك وانما ابكي لاني اعلم انه قد حان اجلي فانه ما كان بقي لي امل ولا امنية الا هذا الان يا بني الله
بصاحب هذا الهميان فياخذ ما له فلما قضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبق لي امل علمنا انه قد حان اجلي قال الشيخ ابو ذر فما
انقضى شهر حتى توفي رحمة الله عليه قال القاضي وحدثني ابو القسم بن حبيش بالموصل قال قد جرت ههنا في هذا المسجد وهذه
الدار والحانوت واشار اليها قصة عجيبة كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى تكريت في تجارة الخز فبينما هو
يحمل الخز في خرجه على حماره وهو جميع ماله نزلت القافلة فاراد انزاله عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هناك فعاونه على
انزاله ثم جلس ياكل فاستدعى ذلك الرجل لياكل معه فاجابه واكل معه ثم ساله عن امره فاخبره انه رجل يخرج من الكوفة
لامر يحجه دون زاد فقال له التاجر تكون معي وتخدمني في سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني احرص على خدمتك ومحتاج
الى طعامك فسار معه في طريقه يخدمه على احسن حال حتى وصلا تكريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء
حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلنا حتى ادخل واشتري حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه فابطا فلما خرج فلم يجد
الرفقة ولا وجد صاحبه فظن انه لما رحلت الرفقة رحل معها فلم يزل يسعى حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسالهم عن صاحبه
فقالوا ما رايناه ولا راينا الحمار ولكنه ارتحل الاحمال على الحمار ودخل المدينة على اثرك وظننا انك امرته بذلك فكر
راجعا الى تكريت وسال عنه فلم يجد له اثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه وسار الى الموصل مسلوب المال فوافاها راجلا
عريانا فقيرا مجهودا فاستحيا ان يدخل نهارا فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقي حتى امسى ثم دخل فدق باب الدار فقيل من هذا
فقال فلان يعني نفسه فاظهروا السرور وعظيم الحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة
والحاجة والفاقة حملت جميع مالك وطال سفرك واحتاج اهلك وقد ولدت اليوم ولدا والله ما وجدنا ما نشتري
ولقد كانت هذه الليلة طاوية على حالها فقيل لها في دقيق ودهن يسرج به فلا سراج عندنا فزاده ذلك غما وكره ان يخبرهم
بحاله فيحزنهم واخذ وعا للزيت وجرابا للدقيق وخرج الى هذا الحانوت وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو
ذلك قد اغلق دكانه واطفا مصباحه ونام فناداه فاجابه وعرفه وشكر الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت افتح زادك الله
ارزاق الدراهم في دقيق وزيت وهل احتاج اليه الساعة وكره ان يخبره بتاخير الثمن فيمتنع منه فقدح البايع الزناد
واستصبح فقال له التاجر زن لي من الدقيق كذا ومن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن السمن كذا ومن الملح كذا اذ حانت منه
التفاتة الى قعر الحانوت فراى فيه خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب اليه والتزمه والتف بيديه في اطواق
صاحب الحانوت وجذبه الى نفسه وقال يا عدو الله اين مالي فقال له صاحب الحانوت ما لك يا فلان فوالله ما عرفتك
متعديا ولا جاهلا جنيت عليك ولا اهلي سواك فما هذا قال خرجي فيه خادم حرمني بجميع مالي بتجارتي قال ما لي

غير ان رجلا ورد علي بعد العشا فاشترى مني عشاه واستضافني فاضفته وجعلت هذا الخرج في حانوتي وهذا الحمار
في دار جارنا والرجل في المسجد بايت فقال له احمل معي الخرج وامض معي الى الرجل فرفع الخرج معه فالقاه على عاتقه ومشى به
الى المسجد فرفسه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له ما لك فقال له يا خاين قال اعوذ اهل عنقك والله ما تغادر منه
ذرة فقال اين الحمار والثيرة فقال هو عند هذا الحاجي معك فنهض الى ان فوجد متاعه سليما واستخرج الحمار من الموضع الذي كان فيه
ومضى على اهله واخبرهم بقصته فزاد اهله فرحا وتبركوا بذلك المولود ولما وفى موسى عليه السلام لشعيب عليهما
السلام الاجل الذي اجله له في رعي غنم شعيب التي رعاها موسى عوضا من مهر ابنته اخذ موسى عليه السلام زوجته وكر
راجعا من مدين فلما وافى الوادي المقدس عند جانب الطور اجنهم الليل بظلمته فاسوا بائتين فبينما هم كذلك اذ ضرب زوجته
الطلق وكانت حاملا ولم يكن عندهم ما يحتاج اليه النفسا من الغذا والدوا وما يصلح به شانهم فبقي في صنوف الحال وقلة من الجلد
فخرج موسى عليه السلام يلتفت يمينا وشمالا عسى يجد لما اسوا فيه من الضر اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا
لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها اضيق ما يكون ذرعا واحرجه قلبه وانسه من رفيق نودي من شاطي
الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة يا موسى اني انا ربك وهكذا لطايف الحق سبحانه مع من سلم لامره وتجاه له
وتكلم بالهدى والبشرى ينجز الله امله ويعطيه فوق ما سال له هذا موسى عليه السلام خرج يقتبس نارا فنودي بالنبوة وعز من
قال العلماء ليس في خصال الخير وان جلت ولا في انواع الاعمال وان عظمت اعلا من حسن الظن بالله ونظم بعض الشعرا فقال

ايها العبد كن لما لست ترجو • من نجاح ارجى لما انت راجي
ان موسى مضى ليقبس نارا • من ضياء راه والليل داجي
فاتى اهله وقد كلم الله • وناجاه وهو خير مناجي
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد • دنت منه راحة الانفراج

وروى ان العدو نزل بساحل افريقية في عدد كثير من المراكب فغنموا وعطشوا فنفر المسلمون اليهم في خلق عظيم من الملك
والحصون فمنعوهم النزول والاستقا الماء وراسلوا المسلمين ان يخلوهم واستقا الما فابوا فتضاعف عطشهم حتى هموا
بالهلاك فصححوا اناجيلهم واجتمعوا في الدعا والاستسقا الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يكن باوشك من ان السما انفتحت
بامطار ارخت كثيرا فسبغلوا من انطاعهم وجفانهم وانيتهم فشربوا وملئوا انيتهم ففزع المسلمون عند ذلك
وقالوا اوصلهم كفار اعدا الله ورسوله فاخلصوا الى ربهم واثابوا اليه وسالوه ما يحول به منعهم فانهم احق بالدعا
والتضرع الى الله تعالى واولى بالاجابة منهم ثم اخذ المسلمون في الدعا والتضرع والصلاة والانابة الى الله تعالى فكان
برهان يريهم الله تقوى به قلوب الضعفا ويتزايد به شكر اهل المعرفة والاوليا فبينما هم كذلك اذ ارسل الله عليهم ريحا
فبددتهم ومزقتهم كل ممزق وكسرت مراكبهم ولم يجتمع منهم اثنان ومن عجايب صنع الله تعالى في هذا الباب ان رجلا
من ديار بكر جا الى بيت المقدس وزار قبر الخليل عليه السلام واكل من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام
في خيشومه ورام خروجها بكل حيلة فاعجزته حتى تركته مضنى ثم رجع الى بلاده فبينما هو جالس اذ عطس فطارت الحبة
في الارض فاذا طاير التقطها لوقته وبرى الرجل فسبحان من جعل انف هذا الرجل حرزا لقوت هذا الطاير على بعد الشقة
وطول المسافة واما انا فقد هممت بالرحيل من بغداد الى المشرق في طلب العلم وكنت لا اعرف التجارة ولا لي حرفة ارجع اليها
فجزعت من الخروج وكنت اقول ان ذهبت نفقتي ماذا افعل وكان قوي الاحتمال في نفسي ان احفظ الباب من الجوع وادرس العلم
بالليل ثم استخرت الله سبحانه ورحلت وكانت معي نفقة وافرة في همياني على وسطي وكنت اسمع المسافرين يقولون من نام
بالقبل في الفيافي وله نفقة على وسطه فليجعلها فان اللصوص اذا كابدتا الناس يبتدروا اوساطهم فلما خرجت من بلاد السويدية
الى انطاكية اخذتني عيني وحللت الهميان ونمت ولم استيقظ الى الضحى فاستيقظت ومددت يدي الى الهميان فلم

فجعلت انظر الى القافلة والتفت الى وجوه الناس وقد اسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت ورفعت امري الى الله سبحانه واذا رجل من اهل القافلة ملتفتا الى موقع وجهي في وجهه فاذا هو يضحك واذا رجل من اهل القافلة ملتفتا الي موقع لما رأى ما بي فقال ما لك ايها الفقيه قلت خيرا واحجمني فقلت خيرا فقام الي وقال خذ هميانك فانا الذي لنه كيف ظفرت به رايتك قد تدحرجت دراهمك وثلثه فالتفت فرايت سوادا في الموضع الذي كنت فيه نايما فسرت اليه واخذته فاذا هو الهميان رحمه

الباب الستون

في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه

وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس قالت الحكماء واصل الخيرات كلها في ثبات القلب ومنه يستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجبه العدل والعلم والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله والشجاعة حالة متوسطة بين الجبن والتهور سُئل الاحنف عن الشجاعة فقال الصبر ساعة وسئل ابو جهل عن الشجاعة فقال الصبر على حر السيوف فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين واعلم ان القادم للقتال طريدة من طرايد الموت فاستقبال الموت خير من استدباره وقد قال الاول رب حياة سببها التعرض للوفاة ووفاة سببها طلب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شفرة من شعار الموت والفار يمكن من نفسه والمقابل يدفع عن نفسه وقالوا ثمرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل مدبرا اكثر ممن قتل مقبلا وقالوا انا خير الاجل حسن المحارب وقيل لبعضهم في اي جنة تحب ان تلقى عدوك قال في اجل متأخر وقيل لاخر في اي سلاح تشتهي ان تلقى عدوك قال في ادبار دولته وانقضاء مدته ان الشجاعة لمن كانت له الدولة واذا انقضت المدة لم تغن كثرة العدد وقال علي رضي الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحيلة واعلم ان لكل كريهة تدفع او مكرمة تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى انك اذا هممت ان تمنح شيئا من مالك خار طبعك ووهن قلبك وعجزت نفسك فتحمد به وان احققت عزمك وقويت نفسك وقهرت ذلك العجز اخرجت المال المظنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس باخراجه او كراهية النفس لاخراجه مع اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل متى لم تقارنها قوة نفس لم تتحقق وكانت مخروجة وروي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والجبن غرائز يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده والجبان يفر عن ابيه وامه والشجاع يقاتل عن من لا يؤوب به الى رحله فبقوة القلب يصاب امتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر وبقوة القلب يصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضمخ بالرذائل قال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه • ما احسن المحراب في المحراب

وبقوة القلب يصبر الجليس على اذى الجليس وجفا الصاحب وبقوة القلب تكتم الاسرار وبدفع العار وبقوة القلب تقتحم الاهوال الصعبات وبقوة القلب يتحمل اثقال المكاره وبقوة القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة وروية اوجبها الحزم والعدل وبقوة القلب تضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبها مشحونة بالضغائن والاحقاد كما قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال علي بن ابي طالب انا لنصافح اكفا نرى قطعها وليس الصبر وقوة النفس ان يكون مصرا في المحال لجوجا في الباطل ولكن ان يكون جلدا عند الضرب صبورا على التعب معتصما على التعزير والهوان فان هذه صفة الحمير والخنازير ولكن ان تكون صبورا على اداء الحقوق عليك صبورا على سماعها والقاها اليك غالبا لهواك مالكا لشهواتك سالكا للفضائل بجهدك عاملا في ذلك على الحقيقة التي لا تجد عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخير الذي اشار به العلم واوجبه العدل خيرا من البقاء على ما اوجب رفض العلم والعدل كما قال علي للحسين رضي الله عنه يا بني ما يبالي ابوك لو ان الخلق خالفوا اذا كان على الحق وهل الخير كله الا في الحق لا تبعد الموت عن هذا قال لست كالهند الا لم

يكن

يكن الملك من نفسه معينا كان في جميع اموره ضعيفا مخذولا واعلم ان الجبن مقتلة والحرص محرمة والجود زكاة والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يفر عن امه وابيه وصاحبته وبنيه واعلم ان لكل كريهة ما بين الحليتين والشجاع يحمي من لا يناسبه ويقي الجار والرفيق بمهجته والجبان يخاف ما لا يحترز به والجبان حتفه من فوقه واعلم ان الشجاعة عند القاتل لا اوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثاني اذا اتاه القوم واختلطوا ولم يدر احد من اين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهش ولا خالطته الحيرة فيتقلب تقلب المالك لامره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم اصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب اصحابه ويرجي ضعيفهم ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع اقامه ومن وقف حمله ومن كردس عن فرسه كشف عنه حتى ييأس العدو منهم وهذا احمدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن اكرم الكرم الدفاع عن الحريم وقالوا لكل واحد يومان لا بد منهما احدهما لا يعجل عليه والثاني لا يتعمل عنه فلم الجبان والفرار وكان شيوخ الجند يحكون في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قد ثلثها بما حولها من الراس فيقال انهم لم يروا قط ضربة اقوى منها وكان شيوخ الجند في بلد ناطوشه يحكون انهم خرجوا في ثيابهم سبعمائة في سرية الى بلاد العدو فبينما هم يسيرون اذ لقيتهم سرية الروم يريدون ما نريد منهم فقال بعضهم لبعض وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم فتواقفنا ساعة ثم شددنا وشدوا فاقتتلنا وتجالدنا ساعة ثم منحنا الله اكتافهم فجعلناهم حصيدا كانهم جزر في الاوضام وكان هناك بقربهم قرية فيها شيء من الخمر فشربناه وسكرنا ثم اشتهينا شرايح اللحم فجعلنا نقطع من لحومهم ونجعل على النار واكلنا منها فنفرح من كان اسرناه وبلغ الحديث الى الروم فانقلبت النصرانية بتحجانا وقذف الرعب في قلوبهم وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو بن معدي كرب فقال له يا عمرو اي السلاح افضل في الحرب فقال عن ايه تسال قال ما تقول في السهام قال منها ما يصيب ويخطي قال فما تقول في الرمح قال اخوك وربما خانك قال فما تقول في السيف قال ذاك الذي لا امر لك قال فما تقول في الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر وكان عمرو هذا من ابطال الجاهلية وشجعان العرب نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه اني عابر على الجسر فان اسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي اقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وانا قايم بينهم وان ابطاتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما ندري ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها وان الفارس ليضربها فما تقدر الفرس ان تتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال انا ابو ثور كدتم والله تفقدوني قالوا اين فرسك قال رمي بنشابة فشب وصرعني ويروى ان عمرا حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستما على فيل فجذب عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه اربعون الف دينار فقتل رستما وانهزمت العجم ويروى ان القاتل لرستم رجل من فلان واما الضربة التي حكيناها التي جازت تلك البيضة بجملة من الراس فلم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملها الروم وعلقوها في كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا اقواما هذا ضربهم فرحل ابطال الروم اليها ليروها وانما كانت لم يكن في هذا الباب بقول المتنبي في وصف ضربة سيف

ابقى الحوادث والايام من نمر • اسناد سيف قديم اثره باد
تظل تحفر عنه ان ضربت به • بعد الذراعين والقيدين والهاد

ونُنشد قول ابن نباتة في السيف

يبقى السلو في المضاجع نجمه • ويرشقنا بصفاح نار الحاجب

وأين هذا من قد الحديد بالحوار من الرأس وأين الثريا من الثرى وأين الحسام من المنجل ولولا كراهة التطويل لذكرنا من
أين هذا ما فيه العجب وكفانا لواء السيف ظل الموت والسيف لعاب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل الانوا
من رسلها والرمح أخوك وربما خانك والدرع مشغلة للراجل منعة للفارس وإنه لحصن حصين والترس مجن وعليه تدور
الدوائر

الباب الحادي والستون

في ذكر الحروب وحيلها وأحكامها وتدبيرها

ومن حزم الملك أن لا يحقر عدوه وإن كان ذليلا ولا يغفل عنه وإن كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا
جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك ● وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب ● وتعجز عما تنال الإبر

وفي الأمثال لا تحقرن الذليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار إن تداركت أولها سهل إطفاؤها
وإن تركت حتى استحكم ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها ومثله أيضا مثل الجرح الذي إن تداركته سهل برؤه
وإن أغفلته حتى تفاقم عظمت بليته وأعضل الأطباء برؤه واعلموا أن الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا
فيها ترتيبا فلا تجمع أهل سائر الأقاليم إذ لكل أمة في الغالب نوع من التدبير وضرب من الحيلة وصنف من المكيدة وحتى من
اللقا والكر والفر وتعبية الجيوش والمواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نضمن منه لمعا تجري مجرى المعاقد لا تكاد تختلف
في أزمنة الحروب وبلادها وأول ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة
وفسر النبي عليه السلام القوة فقال على المنبر ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي
وكان بعض الصحابة إذا أراد الغزو لا يقص أظفاره ويرى كها عدة ويراها قوة قال ولذلك أن يقدم بين يدي اللقا عملا صالحا
من صدقة وصيام ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وتغيير منكر وأمر بمعروف وأشباه ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يأمر بذلك وقال إنما تقاتلون بأعمالكم وروي أن زيدا ورد عليه بفتح المسلمين فقال له عمر أي وقت لقيتم العدو قال غدوة
قال ومتى انهزموا قال عند الزوال فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون وقام الشرك للإيمان من غدوة إلى الزوال لقد أحدثتم بعدي
حدثا أو أحدثت بعدكم حدثا واعلم أن ذلك كله في استجادة القواد وانتخاب الأمراء وأصحاب الألوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود
ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد ولا ينبغي أن يقدم على الجيش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة
ثبت الجنان صارم القلب جريه رابط الجأش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ونازل الأقران وقارع الأبطال عارفا
بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب شحنه بالحماة والأبطال من ذلك بصيرا
بصنوف العدو ومواقع الفزع منه ومواضع الشدة فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنه مثله
فإن رأى افتراق الكتائب وجها والأراد الغنم الرزية واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء وآخر ما يجب ركوبه في
الكتائب وحمل الجيوش بعضها على بعض فلتجتهد في تصريف الحيلة في نيل الظفر قال نصر بن سيار كتب أمير خراسان من قبل
مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية قال كان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد العظيم القيادة أن يكون فيه عشرة أخلاق
من أخلاق البهائم شجاعة الديك وتحنن الدجاجة وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح
وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن بعير وهي دويبة بخراسان تسمن على التعب والشقا وكان يقال أشد ما خلق الله تعالى عشرة
فأشد ما خلق الله الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح يصرف السحاب

والإنسان

والإنسان يتقي الريح بجناحه والسكر يصرع الإنسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم
فأول ذلك أن تبث جواسيسه في عسكر عدوه يستعلم أخباره مع الساعات ويستعلم رؤساهم وقادتهم وذوي
الشجاعة منهم ويدس إليهم ويعدهم وعدا جميلا ويوجه إليهم بضروب الخديعة ويقوي أطماعهم في أن يعطيهم من
الهبات والتحف والولايات السنية وإن رأى وجها عاجلهم بالهدايا والتحف وسامهم إما الغدر بصاحبهم وإما
الاعتزال له وقت اللقا ويبني على ألسنتهم كتبا مدلسة إليه ويبثها في عسكره ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمي
في جيوشهم ويضرب بينهم بما في المقدور من ذلك فإن جميع ما ذكرنا تنفق فيه الأموال والحيل وفي اللقا تنفق فيه الأرواح
والرؤوس وحوق الخراج فيه لا تحصى والحاضر فيها أبصر من الغائب ولله در المهلب لما كتب إليه الحجاج يعجله في حرب
الأزارقة رد الجواب لقد قال إن البلاء أن يكون الرأي عند من يملكه لا عند من يبصره وقال المختار ليزيد بن أنس حين ولاه
الحرب وأمره بقتال عبيد الله بن زياد امض إلى عدوك برأي غير مشترك وحزم غير منكل ولا تركن إلى الدولة فربما
انقلبت واستشر من لا يطمع في عملك ولا تنشر تقلبك واستخر الله تعالى قبل إقدامك توفق وأوصت أم الذبال
العبسية ابنها القتال وهو من أشد العرب يا بني لا تنشب في حرب إن وثقت بشدتك حتى تعرف وجه المهرب
فإن النفس أقوى شيء إذا وجدت سبيل الحيلة وأضعف شيء إذا يئست منها واجعل أشد ما كانت الحيلة مدبرة لها إذا
لم يكن النصر من الله تعالى فابتدرها واحذر من تجارب خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فإن الحذر زمام الشجاعة
والتهور عدو الشدة وقال أبو السرايا وكان أحد القتال لابنه يا بني كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرك أفرح
منك بشجاعتك فإن الحرب حرب للمتهور وغنيمة الحذر واعلم أن الدول إذا زالت صارت حيلها وبالا عليها وإذا أذن الله
تعالى في زوال الدولة كانت الآفة في الحيلة وقالت الحكماء إذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة وإذا انقضت مدة
الدول دبت سنة الغفلة من سنة الحذر ويغلب الضعيف بإقبال دولته كما يغلب القوي بفناء مدته وقالوا
سعود الدول ونحوسها مقرونة بسعود الملك ونحوسه وقالوا أشقى كل امرئ دولته فإذا انقضت بدت عورته
وقال بعض الحكماء إذا ولت دولة ولت أمة وإذا أتت دولة نجحت أمة وقالوا رب حيلة أهلكت المحتال لقل الحزم المالك
عند سواس الحروب أن يكون عماد الرجال كماة الأبطال في القلب فإنه مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظرة إلى القلب
فإن كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوي إليه كل منهزم وإذا انكسر القلب تمزق الجناحان
مثال ذلك الطائر إذا انكسر إحدى جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين فإن كسر الرأس ذهب الجناحان ولا تحصى كثرة
انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع الفارون إلى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح
أو تراجع اللهم إلا أن يكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتعمدا ولا يعبأ به كثيرا حتى إذا توسطه
العدو استعمل بعضه وأطبق عليه الجناحان ومن أعظم المكائد في الحرب الكمين ولا تحصى كثرة كم من عسكر استبيح
بغتته وقل عزته بالكمين وذلك أن الفارس لأجل العمل حميته في الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بنداءه
أو يسمع ضرب الطبول الجنبية همته خلاص نفسه وتنكسر همتك وراء ذلك وعليه دمار الحروب في اصطناع الشجعان
واختيار الأبطال فاصطنع ذوي البسالة والإقدام والجراءة ولا عليك أن لا يكثروا وبعيد عليك أن يكثروا ولا تنس
بيت الشاعر والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنا بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف
وسأحكي لك من ذلك ما تقتضي فيه العجب منهم في الجيش وإن قلوا كالأنفحة في اللبن فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع
الطاغية ابن ردمير النصراني على مدينة وشقة في ثغور بلاد الأندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما نحو من
عشرين ألف مقاتل من خيل ورجل فحدثني رجل ممن حضر الوقعة من الأجناد قال نادى الطاغية ابن ردمير لم يبق بعقله
وممارسته للحروب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين يعرفهم كما يعرفونا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب

ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال ثم قال انظروا الآن من في عسكري من الجماعة المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم
فعددهم فوجدوهم ثمانية رجال الحديث فقال اما الطاغية فضاحكا مسرورا وهو يقول يا بيا ضالين يوم ثم ناشبا الحرب فهزمهم
فلم تزل المصابرة بين الفريقين لم يول احدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني اكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال المشاه
كان روحنا لم تعبر لنا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصاروا اشطرين فحالوا بيننا وبين
اصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا فلم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فاشار معتمد سواد
العسكر على السلطان ان ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشعثه فليعتبر ذو الحزم
والبصيرة من جمع يحتوي على اربعين الف مقاتل ولا يحس من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر رجلا وليعتبر بنقصان الجاه
بالظفر واستبشار بالغنيمة لما زاد في ابطاله رجل واحد وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله
يحكي قال بينا المنصور بن ابي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله قد ملئوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي فقال له كيف ترى هذا
العسكر ايها الوزير قال ارى جمعا كبيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يجزنا ان يكون في هذا الجيش الف مقاتل من
اهل الحمال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم خمسمائة رجل من الابطال قال لا فتعجب المنصور ثم انعطف عليه
فقال افيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال افيهم خمسون من الابطال قال لا فسبه المنصور واستخف به وامر به فأخرج
على اقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصافت الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاك في سلاحه يكر
ويفر وهو ينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب
لها المسلمون ثم خرج العلج يمرح بين الصفين وينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله
العلج وجعل يكر ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون
وكادوا يكونون كسرة فقيل للمنصور ما لها غير ابن المصحفي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور الا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب
منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال وما الحيلة فيه قال وما الذي تريده قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الآن ثم قصد
الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على فرس قد تشربت وراكبا هذا الاد هو يحمل قربة ماء بين يديه على
الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي الا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته
فماذا تريد منه قال اريد رأسه الآن قال نعم فحل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة فلم
ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يجر رأس العلج حتى القاه بين يدي المنصور
فقال له ابن المصحفي عن هؤلاء الرجال اخبرتك انه ليس في عسكرك منهم الف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا اربعة
ولا عشرة فرد ابن المصحفي الى منزلته واكرمه واعلم ان اول الحرب شكوى واوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب شعثاء
عابسة شرها كالحة حرور في حياض الموت تحوش في وطيس تتقد بالنفوس اولها الكلام وآخرها الكلام الحرب مرة
المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر
وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر قال الرسول عليه السلام الحرب خدعة وقالوا
الحرب غشوم سميت بذلك لانها تتخطى الى غير الجاني كما قال الشاعر

لما رأت رجالها عزلا الله • واني لحربها اليوم صالي

وقال آخر

ان الحرب يجنيها اناس • ويصلى حرها قوم براء

وقال آخر

الحرب اول ما تكون فتية • تسعى بزينتها لكل جهول

حتى

حتى اذا اضطرمت وشب ضرامها • عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء تنكر لونها وتغيرت • مكروهة للشم والتقبيل

قال بعض الحكما قد جمع الله تعالى اداب الحرب في قوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين واستوصى
قوم اكثم بن صيفي في حرب اداروها فقال اقلوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصياح فشل ولا جماعة لمن اختلف
وتثبتوا فان احزم الفريقين الركين وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا ترون اصحاب محمد جثيا على الركب كانهم خرس
يتلمظون تلمظ الحيات ورايت عمرو واحد من الف في الحرب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون ذكر الله تعالى في نفسه
واعلم ارشدك الله ان الله تعالى قد اوضح لنا في كتابه علة النصر وعلة الهزيمة والفرار فقال يا ايها الذين امنوا ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا رسوله ودينه واما الفرار فعلته المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا
منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اي بشوم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رتبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك انه عليه السلام رتب الرماة يوم احد على ثلمة الجبل ليمنعوا قريشا ان يخرجوا عليهم كمينا
من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنائم فاقبلوا على الغنائم وتركوا المركز فخرجت
خيل المشركين من هناك واقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة عظيمة ولا يخف قائد الجيش العلامة التي هو مشهور بها فان
عدوه قد استعلم حليته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ونهارا وليبدل زيه ويغير خيمته ويعمي مكانه
كيلا يلتمس عدوه غرته واذا سكنت الحرب فلا يمش في الغزاة يسير خارج عسكره فان عيون عدوه تتراكب عليه وعلى
الوجه كثير ما المسلمون جيوش افريقية عند حربها وذلك ان الحرب سكنت في وسط النهار وخرج مقدم العدو يمشي خارج
العسكر يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن السرح وهو نائم في قبته فخرج فيمن وثق من رجاله وحمل على العدو
فقتل الملك وكان الفتح ولما عبر طارق مولى نصير الى بلاد الاندلس ليفتتحها وموسى اذ ذاك بافريقية خرجوا في الجزيرة
الخضراء وتحصنوا الى الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في العدة تسعمائة رجل فقطعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة ايام
وكان على الروم يومئذ استخلفه لذريق ملك الروم وكان قد كتب الى لذريق يعلمه ان قوما لا ندري امن الارض هم ام من السماء
قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الي بنفسك فاتاه لذريق في سبعين الف عنان ولقيهم طارق على خيله معه
موسى الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة ايام باشد قتال فراى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فحثهم على الصبر ورغبهم
فيما لهم وبسط في امالهم ثم قال ايها الناس اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وانا فاعل شيئا
فافعلوا كفعلي والله لاقصدن طاغيتهم فاما ان اقتله واما ان اقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف حلية لذريق
وعلامته وخيمته ثم حمل مع اصحابه عليه حملة رجل واحد فقتل الله تعالى لذريق بعد قتال ذريع في العدو وحمى الله المسلمين
فلم يقتل منهم كثير شيء وانهزم الروم فاقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام واحتز طارق رأس لذريق وبعث به الى موسى وبعث
به موسى الى الوليد بن عبد الملك وصار يبعث الى قرطبة وصار طارق الى طليطلة ولم يكن له همة غير المائدة التي تذكر
اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام فدفع اليه بلا خيت لذريق المائدة والتاج فقومت المائدة بمائتي الف
دينار من الجواهر التي لم ير مثلها وبهذه الحيلة قتل الب ارسلان ملك الترك ملك الروم وقبضه وقتل رجاله وابادهم
جمعهم وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل ان يجتمع لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة الف مقاتل كتائب متواصلة و
مترادفة قتلوا بعضهم بعضا لا يحيد بصر الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والالة
المعدة لفتح الحصون في الحرب ما لا يحصى وقد قسموا البلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة
قد دارت لهم وان نجوم السعد قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت اخبارهم الى بلاد المسلمين واضطرب لها ممالك الاسلام

فاحتشد للقائهم الب ارسلان التركي وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان فاستعد بما قدر عليه ثم
خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عادت طلايع المسلمين الى المسلمين فقالوا للب ارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات
المسلمون ليلة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم الا الذي خلقهم وما هم في المسلمين الا اكلة جايع فبقي المسلمون واجمين لما
دهاهم فلما اصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما راوه من كثرة العدو وقوتهم والحرثم فامر
الب ارسلان ان يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر الف تركي واذا هم منهم كالرقعة في ذراع الحمار فجمع ذوي الراي من اهل الحرب
والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب فاستشارهم في استخلاص صواب الراي فتشاوروا برهة ثم اجتمع
رايهم على اللقا فتواقع القوم وتحاملوا وتناصحوا الاحلام واهلهم ناصبوا اهبة اللقا وقالوا للب ارسلان بسم الله
ونحمل على القوم فقال الب ارسلان يا معشر اهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر
يدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفات الفيا وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه
وان يربط على قلوبهم بالصبر وان يوهن عدوهم وان يلقي في قلوبهم الرعب وكان الب ارسلان قد استوثق من جهة ملك الروم
وعلاجه وقربه وبعده ثم قال للرجالة لا يتخلف احدكم ان يفعل كفعلي ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب بسيفي
وارمي بسهمي ثم حمل جميعهم حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونه وخلصوا اليه وقتلوا من حوله واسروا ملك
الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق
وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون اموالهم وغنايمهم واستحضر ملك الروم بين يدي الب ارسلان بحبل في عنقه فقال له
الب ارسلان ما كنت تصنع بي لو اخذتني قال وهل تشك اني كنت اقتلك فقال له الب ارسلان انت اقل في عيني من ان اقتلك اذهبوا
به وبيعوه فيمن يزيد فكان يقاد بالحبل في عنقه وينادى عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام
ومنازل المسلمين وينادى عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع احد فيه شيا حتى باعوه من انسان بكلب فاخذ الذي كان يتولى ذلك
من امر الكلب والملك وحملهما الى الب ارسلان وقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه احد شيا الا رجل
واحد دفع لي فيه كلبا فقال قد انصفك لان الكلب خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه امر بعد ذلك باطلاقه
فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم وكحلته بالنار فانظر ماذا اتى على الملوك اذا عرفوا في الحروب من الحيلة والتسديد
بالمكيدة واعلم ان القدما قالوا ان الكثرة للرعب والقلة للنصر وقد قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم
شيا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة ابدا يصحبها الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك وخير الاصحاب
اربعة وخير السرايا اربع مايه وخير الجيوش اربعة الاف ولن يغلب اثنا عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم فاما صفة اللقا وهو
احسن ترتيب رايناه في بلادنا وهو ارجى تدبير نفعله في لقا عدونا ان يقدم الرجالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال
والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الارض وصدورها شارعة
الى عدوهم وهم جاثون في الارض وكل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قايم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون
التي تمرق سهامهم الدروع والخيل خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيئتهم ولا قام رجل
منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فاخذوا يمنة و
يسرة فتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شا الله ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلاد طرطوشة
قال ربما صافقت الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا فبينا رجل منا كان في اخر الصف قام على قدميه فحمل عليه رجل علج من العدو
فاصاب غرته فقتله ولما برز المعتمد بالله يقصد ملك الاندلس من قرطبة في ثغور بلاد الاندلس للقا الطاغيه ردمير
عظيم الروم فكان كل واحد منهم قد احتشد بالي ميسوره فالتقى المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال وتصافوا ودام
بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران فانهزم المسلمون والمعتمد رذلك وفرق المسلمون من شر ذلك اليوم فدعا

المسلمون

المعتمد

المسلمون المعتمد رجلا من الثغور ولم يكن في الثغور اعرف منه بالحرب يسمى سعداده فقال له المعتمد كيف ترى
هذا اليوم فقال هو يوم اسود ولكن قد بقيت لي حيلة فذهب سعداده وكان زيه زي الروم وكلامه كلامهم
لمجاورته لهم وكثرة مخالطتهم فانغمس في عسكر الكفار ثم قصد الى الطاغية ردمير فالفاه شاكا في السلاح مكفنا في الحديد
لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتحيله ويترصد غرته الى ان امكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه في عينه فخر صريعا لليد
والفم ثم جعل ينادي بلسان الروم قتل الروم قتل السلطان يا معشر الروم فشاع قتله في العسكر فتخاذلوا وولوا
منهزمين وكان الفتح باذن الله ولما استضعف الروم صقلية وضربوا عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون
الاموال الى العرب بافريقية ويستنجدونهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثلي ومثلكم يا اهل صقلية مثل
رجل له زوجتان عجوز وصبية فكان اذا بات عند الصبية تلقط الشيب من لحيته واذا بات عند العجوز تلقط الشعر
الاسود من لحيته لتشبهه فبقي هذا الصبية فيه فيوشك ان دام هذا ان يصبح اطلس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا
اديتم المال الي ولم يوشك ان تفنى اموالكم فتبقوا فقرا ضعفا فاسلكم واسلم البلاد ويروى انه لما هم بحصار
صقلية امر ان يبسط بساطا في الارض ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من اخذ منكم هذا الدينار ولم يطا
البساط علم انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل اليه احد فلما اعياهم ذلك طوى ناحية من البساط من عنده وامر
كل واحد ان يطوي ما يليه حتى طوى البساط فمدوا ايديهم فلقطوا الدينار الخبيث قال لهم اذا اردتم مدينة صقلية
خذوا ما حولها من الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى حتى اذا ضعفت اخذتموها وكان بسرقسطة فارس يقال له
ابن فتحون وكان زمانه سبقي قنبع خالد الدين وكان انجع العرب والعجم وكان المستعين ابو المعتمد يرى له ذلك ويعطيه وكان
يجري له في كل عطية خمسماية دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاه فيحكى ان الرومي اذا سقى
فرسه فلم يشرب يقول له اشرب او ابن فتحون رايت في الما فحسده نظراوه على كثرة العطايا ومنزلته من السلطان فاغروا
صدر المستعين فنكد اياه ثم ان المستعين انشا غزوة الى بلاد الروم فتواقف المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج
الى وسط الميدان ينادي هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي وصاح الكفار سرورا
وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الرومي يكر بين الصفين وينادي اثنان لواحد فلم يستجر احد من المسلمين ان يخرج اليه وبقي
الناس في حيرة فقيل للسلطان ما لها الا ابو الوليد بن فتحون فدعاه واستلطفه وقال له اما ترى ما يصنع هذا العلج
فقال هو بعيني قال فما الحيلة فيه فقال ابو الوليد فاذا اتى بيده لاكف المسلمين شره فقال الساعة يكون ذلك ان شا الله
فلبس قميص كتان واستوى على سرجه بلا سلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقد معقودة ثم برز اليه
فتعجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة
الفرس ونزل الى الارض ولا شي منه في السرج ثم طفر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط في عنقه فالتوى على عنقه
واخذ بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجا به يجره فالقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين انه كان قد اخطا في
صنيعه معه فاكرمه ورده الى احسن حواله ايها الاجناد قللوا الخلاف على الامرا فلا ظفر مع اختلاف ولا جماعة لمن اختلف
عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم فاول الظفر الاجتماع واول الخذلان الافتراق وعماد الجماعة
السمع والطاعة وانما اتى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوم صفين وكان قد ظهر اهل العراق على اهل الشام وتضعضعت
صفوف معاوية فاحس بالشر وانه مغلوب فقال لعمرو بن العاص اذهب فخذ لنا الامان من زعيمك يعني عليا فادار عمرو الحيلة
وامرهم ان يرفعوا المصاحف في اطراف الرماح وينادون يدعوكم الى كتاب الله فلما راى ذلك اصحاب علي لقواعز الحرب فقالوا لعلي
علي رضي الله عنه اي قوم صنع مكيدة منهم ولم يبق في القوم دفاع فعصوه وتركوا القتال وكان ذلك سبب التحكيم واعلموا
ان من احزم مكايد الحرب اذكى العيون واستطلاع الاخبار وافشا الغلبة واظهار السرور وابانة الجذل والاحتراس

من العدو وان لا تخرج هاربًا الى قتال ولا يضيق اماما على مستامن وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقا فشل غضوا
الاصوات وتجلببوا السكينة واكملوا اللوام واحملوا الجحف وادرعوا الليل فانه اخفى للويل الليل يجعل الجبان ونصف
الشجاع الليل المرد الاعظم الحازم يحذر عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان كشف والاستطراد
اذا ولى الجهل قوة الجرأة من اغتر بقوته فقد وهن اجبن من القوة التورط في الهوة لكن اشد ما كنت حذرًا ما كنت عند
نفسك اكثر قوة وعددًا من استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفر به عدوه اشعروا قلوبكم في الحرب الجراة فانها سبب
الظفر واذكروا الضغائن فانها تبعث على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب ادفع اللقا بالقبر ما لقضا اذا التقى
السيف السيف من الخيار رب مكيدة ابلغ من نجدة رب كلمة هدمت عسكرا الصبر سبب النصر الظفر مع الصبر
اجعل اقبالك عدوك اخر حيلك النصر مع التدبير لا ظفر مع بغي ولا تغتر بالانويا الفضل قوتك على الضعفا
لا تجبنوا عند اللقا ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغلوا عند الغنائم ونزهوا الجهاد عن عرض
الدنيا

الباب الثاني والستون
في القضاء والقدر والتوكل والطلب

اعلم وفقك الله ان مذهب اهل الحق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات متيسر ولا يخرج
من علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث ثم خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم وقد تباين الخلق فيه وتشعبت
وتشتتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم نضع هذه الترجمة لاستيعاب ما قالوا
والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات واسفارا وانما نذكر في هذا الكتاب احكاما ظاهرة قريبة من الفهوم
لتقرب الغاية على الناظر فيه فاعلم اولا ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر
وطاعة ومعصية وكذلك فلا يطير طائر بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه ورجليه ولا تطرف عين ولا تسقط
ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به ثم اعلم ان القدر والطلب
لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك انا نعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى
انه يكون فهو كائن ومن خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم فرب امر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طلب
فهو واصل ورب امر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب ايضا من القدر ولا فرق في الامر المعلوم
وبين الطلب في انهما مقدوران فمن ههنا قلنا انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب لان التوكل محله القلب
والكسب محله الجوارح ولا يتضادان في محلين بعد ما يتحقق العبد ان المقدور من قبل الله تعالى فان تعسر شيء فبتقديره
وان اتفق فبتيسيره وقال انس جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله ادعها واتوكل فقال اعقلها وتوكل والتوكل والاحتجاج
بالقدر يستمدان من العقل والطلب والكسب يستمدان من الامر فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما ضمنه والقطع بوقوع
ما حكم به فمن رام امرا من الامور ليس الطريق في تحصيله ان يغلق بابه عليه ويفوض امره اليه وينتظر حصول
ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين
درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويحترس من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوا من خلفه لئلا يلي الوليد وكان
يلبس لامة الحرب ويعبي الجيوش ويأمرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترقى وامر بالاسترقا وتداوى وامر بالدواء وقال
انزل الدواء الذي انزل الداء فان قيل فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى واكتوى فقد برئ من التوكل قلنا
اليس قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين وسائر ما ذكرناه انفا فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى واكتوى

متكلا

متكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير
الله تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية وتعاطا تدبير الامور بنفسه واعوانه وماله على ما جرت به سنة الله تعالى
في ارضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل هو واثق القلب ان ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتقديره معتمدا
في ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يمشي في ذلك كله مع الامر ولا يسلك طريقا فيه معصية
فليس يستدر ما عند الله تعالى بمعاصيه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ابتغى امرا بمعصية الله كان ابعد لما رجى
واقرب لمجيء ما اتقى ومن ظن ان الطلب والاكتساب ينافي التوكل فقعد في بيته واغلق بابه متكلا على الله تعالى في زعمه
كان من العقل خارجا وفي تيه الجهل والجا ويقال له فيجب من هذا اذا جئت وحضر الطعام ان لا تمد يدك اليه وان لا تمضغ
ثم تمد له فان تمادى على ذلك كان الى العقل احوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله ان يداووه الا ترى ان الله تعالى قال لمريم
وهزي اليك بجذع النخلة فهلا امرها بالسكون ثم حمل الرطب اليها وهكذا القول فيمن له دابة او بستان يؤمر بسقي
البستان وحفره واصلاح شانه ويؤمر بان يعلف الدابة ويسقيها وانشدوا

الم تر ان الله قال لمريم ... اليك فهزي الجذع يساقط الرطب
ولو شاء احنى الجذع من غير هزها ... اليها ولكن كل شيء له سبب

وهكذا قال الرسول عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فاذا
لم يجعل رزقها في اوكارها بل الهمها طلبه بالغدو والرواح وقد كان جميل من الفهد هار يرى من تصديق
القدر وتكذيب الطلب دون اهل زمانه من الملوك ما يخرج عن الطلب والتدبير فاخرجه اخوه من سلطانه وقهره
على مملكته فقال له بعض الحكما ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه صائر الى اخلاق ذوات الحجرة
من الحيوانات كالضب وسائر الحشرات تمشوا في اجحرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما
كالعدلين على ظهر الدابة ان خف واحد منهما ارجح بما في الاخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل
بينهما سلم ظهره ونجح سفره وبلغ بغيته وضربوا فيه مثلا لا نجيا فقالوا ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر
لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم
يزالا في عافية الى ان هلك المحتسب فاقاما بعده اياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رايهما على ان يحمل
الاعمى المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره ويستقل المقعد بحمل الاعمى اياه ويدورا في القرية يستطعمان اهلها
ففعلا ونجح امرهما ولو لم يفعلا لكان هلاكهما وكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما
معين لصاحبه فاخذ جميل في الطلب فظفر باعدائه ورجع الى ملكه وكان جميل يقول لا تدع من الطلب اتكالا على القدر
ولا تجهدن نفسك بالطلب بجوع التدبير المجوده مقصد فبالقدر ملكت ما تحاوله ولم تلتو عليك الامور وان علمت
بذلك فالتوى عليك امر من مطلوبك فذلك من اعاقة القدر وانك قد اتيت ذنبا فتفقد جوارحك واستكشف ظاهرك
وباطنك وتب الى الله تعالى من كل ذنب اتيته بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمتها فاذا فعلت ذلك فاترك الحظ
يساعدك القدر ان شاء الله واعلم ان على هذا الاصل الذي قررناه يخرج كل ما ورد في القران وحديث الرسول عليه السلام
من الامر بالتوكل على الله والتسليم اليه والتفويض له من ذلك ان سليمان الخواص تلى يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلجا الى احد غير الله تعالى قلنا معناه لا يلجأ الى الاسباب باعتماده عليها
ولكن يلجأ اليه واثقا بان الله تعالى يفعل كما يشاء ثم امر النبي عليه السلام بعقل الناقة وبدرعين الا ترى ان من يطلب
الزرع والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولا يبذر ارضه معتمدا في ذلك على الله تعالى واثقا به ان يكون له اسرابه
من غير وقاع وتنبت ارضه الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله تاركا وللائمة والحكما في القدر الفاظ

بأنه عقد سليمة على السير والامتحان منها ما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه سئل عن القدر فاعرض عن السائل فابى الا الجواب فقال له علي اخبرني اخلقك الله كما شاء او كما شئت فامسك الرجل فقال علي للحاضرين اترونه يقول كما شئت اذا والله اضرب عنقه فقال الرجل كما شاء قال علي أيميتك كما شئت او كما شاء قال كما شاء قال أيبعثك كما شئت او كما شاء قال كما شاء قال أيحشرك كما شئت او كما شاء قال كما شاء قال أيدخلك الجنة حيث شئت او حيث شاء قال حيث شاء قال قم فليس لك من الامر شيء وروي ان رجلا قدريا ومجوسيا تناظرا فقال القدري للمجوسي لم لا تسلم فقال المجوسي لو اراد الله تعالى لاسلمت فقال القدري قد اراد الله ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسي فانا مع اقواهما وروي في الاسرائيليات ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال الطائر يا نبي الله هل رأيت اقل عقلا من هذا الذي نصب هذه الفخة ليصيدني فيه وانا انظر اليه فذهب عنه ثم رجع واذا الطائر في الفخ فقال له عجبا لك او لست تقول كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم تبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ارأيت من جنبني سبيل الهدى وسلك بي سبيل الردى أأحسن الي ام اساء فقال له علي ان كنت قد استوجبت عليه حقا فقد اساء وان كنت لم تستوجب عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء وقال ميمون بن مهران لغيلان القدري سل ما تروي ما تكون اذا اسألتم فقال غيلان اشاء الله ان يعصى فقال أيكون ايعصى كارها فانقطع جواب غيلان وروي ان رجلا قال لابن جهيم تعال نتناظر في القدر فقال وما نصنع بالمناظرة في القدر رأيت ظاهرا استدللت به على الباطن ورأيتم احتكام رزق وعافيتم ومتى تعلمت ان التدبير ليس الى العباد ٥

وقال بعضهم

يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه ۞ ويعطى المنى من حيث يحرم طالبه

ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال موسى ان الهدهد يهتدي الى الماء في الارض الغيبا ويبصر القريب منه من البعيد على بعده في الجو ثم ينصب له الفخ بالدودة او الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهدهد كانت رائد سليمان عليه السلام الى الماء فيتقدم معسكره ثم ينظر الارض فيقول الماء هاهنا على كذا قامة او اقل واكثر فيأمر الجن فتحفر فلا يلحق سليمان الا وقد استعملوا الماء واعلم ان الهارب مما هو مقضي مقدر كالمنقلب في كف الطالب وانشد بعضهم ٥

واذا خشيت من الامور مقدرا ۞ وفررت منه فنحوه تتوجه

ولبشار

طبعت على ما فيّ غير مخير ۞ هواي ولو خيرت كنت المهذبا

اريد فلا أعطى وأعطى ولم ارد ۞ وقصر علمي ان انال المغيبا

واصرف عن قصدي وعلمي مقصر ۞ وامسي وما اعطيت الا التعجبا

ولما وقع الطاعون بالكوفة فر ابن ابي ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا ينشد ٥

لن يسبق الله على حمار ۞ ولا على ذي منعة طيار ٥

او يأتي الحتف على مقدار ۞ قد يصبح الله امام الساري ٥

فكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام الساري فلا حين مهرب وانشد بعضهم ٥

اقام على المسير وقد انيخت ۞ مطاياه وغرد حاديا ها

وقال لا اخاف عادية الليالي ۞ على نفسي وانا الفي رداها

ومن كنت منيته بارض ۞ فليس يموت في ارض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر طباعا فالثقة

بكل

بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازل فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال عطاء بن جعفر بن محمد والحسن البصري في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان ذلك الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يرى بدنيا ول رزقه بتدبيره وهو يرى نقص تدبيره ورجل شغله هم غده وعالم مفتون يعيب على جاهل مغبوط ومن عجيب ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته اياما فقبضه الشرطي وحمله الى دار السلطان فانساب منهم في بعض الطريق وتوارى في بئر والمدينة مسربة تحت الارض باسراب يمشي الماشي فيها فاما يخترقها ويدورها لان في دورها ابار على كل الدروب فما زال الرجل يمشي الى ان لاح له بئر مضيئة فطلع فيها واذا البئر في دار السلطان فادته الى السلطان وكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب في يد الطالب وقال ابن مسعود ان الرجل ليشرف على الامر من الامارة والتجارة او غيرها فذكره الله تعالى فوق سماواته فيقول للملك اصرفه عن عبدي هذا الامر فاني ان يسرته له ادخلته جهنم فيظل يتغيظ على جيرانه فيقول سبقني فلان وحسدني فلان وما صرفه عنه الا الله تعالى   وانشدوا

قالوا تقيم وقد احاط بك العدو ولا تفر ۞ فاجبتهم والشيء ما لم يتبع بالعلم غر ٥

لا الملك تخبر اما يغيب ولا عدا انى لدهر شر ۞ ان كنت اعلم ان غير الله ينفع او يضر

استاذن العقل على الجد فقال له اذهب لا حاجة لي بك فقال العقل لم قال لانك تحتاج الي ولا احتاج اليك واوصى حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جدا تخدمك به ذوي العقول لا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود وكان يقال افراط العقل مضر بالجد وروي ان رجلا اختبر في امر فقال ان الجبان وقال الا يجدي اوثق مني بعقلي فاقرعوا ن وقال الحمال اسع بجد لا بكد اسع بجد او دع جدك لا كد لك الجد لا الجد الجد اغنى من الكد واعلم ان زمام الامور بيد التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض اقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة كتابي في الاسرار هل التوفيق مكتسب او موهبة بلا سبب بلا مزيد عليه ومن لطيف ما وقفت عليه في مجاري القضاء والقدر وان الهارب من المقدور كالمتقلب في يد الطالب ما نزل لنا من مدينة الاسكندرية في قضية الرجل الذي تقدم ذكره ٥

الباب الثالث والستون

وهو جامع لاخبار الملوك وحكاياتهم ويشتمل على خمسة فصول

الاول يشتمل على اخبار ونعتنا لها بعد الفراغ من الكتاب فالحقناها **والثاني** يشتمل على حكم الحكيم العرب خاصة **والثالث** يشتمل على حكم الحكيم السند خاصة **والرابع** يشتمل على حكم الحكيم الروم خاصة **والخامس** يشتمل على حكم مجموعة منتخبة رسمنا ذلك لننظر في عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم في كتاب جاويدان خرد الفارسي ثلاثة لا يصلح فساد شيء من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة في العقول وثلاثة لا يستفسد صلاحهن بنوع من الحيل والمكر العبادة في العلماء والقنوع في المستبصر والسخاء في ذوي الاخطار وثلاث لا يشبع منهن الحياة والعافية والمال وقال العلي لاخيه يا ابه ما العناء الاعمى قال رعونة مولودة قال فما الجرح الدوي قال المرأة السوء قال فما الحمل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية ابو عباد الكاتب وكان طريقا في اخباره قال لكن والله الغضب اخف علي من ريشة وكان من اسرع الناس غضبا فقيل له انما نعني من احتمال الغضب ثقيل فقال له والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب يوما على بعض اصحابه فرماه بدواة فشجه فجعل الدم يسيل فقال ابو عباد صدق الله حيث قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فبلغ ذلك المأمون فاستدعاه فقال له ويلك لا تحسن ان تقرأ آية من كتاب الله تعالى

العقل

قال بلى والله يا امير المومنين الى الاخر من سورة واحدة الفاتحة فضحك المامون وامر باخراجه وقيل لانوشروان ما
العقل قال القصد في كل الامور وقيل في المروة قال ترك الريبة قيل فما السخاوة قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحق قال الاخذ
في الامور بالحد وقيل لبعض الحكما ما الحزم قال سوء الظن قال اذا ساء الظن بنفسه لا بغيره قيل فما الصواب قال
المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال كف مبذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب
والبغض وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان العثرة كامنة واجعل للرجوع
والنزوع بقية من قلبك واحذر صولة الانهماك فانه تودي الى الهلاك وهو مثل قول علي بن ابي طالب رضي
الله عنه احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك يوما ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما

ومن ذلك قول القائل

واحبب حبيبك حبا رويدا • فليس يعولك ان تصرما

وقال اخر

ولا تمش الدهر من حب مفرط • ولا تامن الدهر صرم حبيب

وسئل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعني قيل فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عند المقدرة
قيل فما الشرف قال ملك الغضب قيل فما الحرق قال الحب مفرط والبغض مفرط وقيل لبعض الملوك وقد بلغ في المنزلة والقدر
ما لم يبلغه احد من ملوك زمانه ما الذي بلغ بك هذه المنزلة قال عفوي عند قدرتي ولين بعد شدتي وبذل الانصاف
ولو من نفسي وابقائي في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال وقال بعض الحكما وقد اراد سفرا ارشدني الى الحزم امري قال
لا تمكن قلبك محبة الشيء ولا تستولي عليك بعينه واجعلها قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في القلب ينزع
ويرجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ ولا تعدم الاجتهاد المشورة فانه نعم الدليل فاذا فعلت ذلك ملكت
قلوب رعيتك ملك استعباد قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لانسه • ولا القلب الا انه يتقلب

وقيل لبعض الحكما ما الدليل الناجح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما النائب الشفوق قال حسن النطق قيل فما الغنى المعيد
قال تطيعك من لا تطيعه وقال الفضل بن مروان سالت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم قال بذل عرفه وجرد سيفه
فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا ينتهي من جنده ولا يحرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجا والخوف معقودان
في يديه قلت فكيف حكمه قال يرد الظالم ويعطي كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال
يتصور في القلوب فتغضي له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائي اليه واقبالي عليه وكانت الرسل تنزل
عندي فقال للترجمان ما الذي يقول الرومي قال يصف ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشيء فقال لي الترجمان انه يقول
ان ملكهم ذو اناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجرام قد كسى
رعيته جميل نعمته وقصرهم جميل نقمته تغيب عقوبته ثم يتراونه تراي الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت كلا
قد وسعهم عدله وردعتهم سطوته وكلمته فلا تمتهنه مزحة ولا تونسه غفلة اذا اعطى اوسع واذا عاقب اوجع
فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجي خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون
اجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها كان رعيته قطا فرفت عليه صقور صوائد فحدثت المامون بهذين الحديثين فقال
لي كم قيمتهما عندك قلت الفي درهم قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال القيمة كل امرء ما يحسن افتعرف احدا من الخطبا البلغا يحسن ان يصف احدا من خلفا الله الراشدين المهديين
بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد امرت لهما بعشرين الف دينار معجلة لهما واجعل العذر مادة بيني وبينهما على العود

فلولا حقوق الاسلام لرايت اعطاهما ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال الفضل بن سهل كان عندي
رسول ملك الروم وكان يحدثني عن اخبار الملك بقالها فاخا توقال اصابتنا سنة احتدم شواظها علينا بحرارة المصائب وصنوف
الافات ففزع الناس الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به فقالت له خاتون ايها الملك ان الحزم لا يخلو جديده ولا يهن عزمه وهو
دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجرا له عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك لفضل العجز عن الالتجا الى من
تزيين الاناة الى خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما احد اولى بحفظ الوصية من الموصي ولا بركوب
الدلالة من الدال ولا احسن الرعية من الراعي ولم تزل في نعمة لم تغير ها نقمة وفي رضى لم يكدره سخط الى ان جرى القدر
بما عمي عنه البصر وذهل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعدا ليه بشكر النعم وعذ به من
النقم فمتى تتسدد بنا ك ولا تجعلن الحجاب من التذلل للمعز المذل شركا بينك وبين رعيتك مستحق ذمو ما العاقبة ولكن
ونفسك بصرف القلوب الى الاعتراف لله بكنه القدرة وتبذيل الاخبات في الدعا بمحض الشكر له فان الملك ربما عاقب عبده
ليرجعه عن سي فعل الى صالح عمل ولينعته على ح وب مشكر يجوز به فضل اجر فارها الملك ان تقوم فيهم فسدد ربهم فهذا
فعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم قبول الوعظ في الاجر والنهي فحال عليهم الحول وما بينهم متنقلا نعمه
كان سلبهم وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف الملك لها بالفضل وقلدها الملك بعده وجمع الرعية على الطاعة
لها في المحبوب والمكروه فهذا فعل الله تعالى باعدائه وصنائع نعمه لما شكروه اعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجع
وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحدوه ويوحدونه لو صدقت نياتنا وصحت ضمائرنا وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك
بدمشق في خلافة هشام فوجد في جيبه لوح من ذهب فيه مكتوب اذا ذهب الوفا نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الحزن
واذا ظهرت الخيانات محقت البركات وقال ابو صالح وجه انوشروان رسولا الى الملك قد جمع على محاربته وامره ان يتعرف
سيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل اقوى من الجد والكذب اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل
فقال انوشروان رزقت الظفر به سر اليه وليكن عملك في محاربته بما هو عنده اضعف وارذل واوضع فانك منصور وهو
مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجمهر المزح افة الجد والكذب عدو الصدق والجور مفسد الملك
فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم
رستم وهو احد ملوك الفرس الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور مفسدة وقيل لبعض اصحاب اسفنديار رجل من الترك
افة الشدة التهيب وافة المنطق الحيا وافة كل شي الكذب وقيل لبعض الحكما ما نعمة الصدق قال الخلد في الدنيا قيل فما نعمة الكذب
قال موت عاجل قيل فما نعمة العدل قال ملك الابد قيل فما نعمة الجور قال ذل الحياة قال يونان ملك الهند الاسكندر وقد دخل
بلاده ما علامة الملك ودولته قال الجد في الامور قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضى بما
رزقت قال فما غمها قال الحرص قال فما الملك الثلاثة له وقال بزرجمهر ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن غمها فاما السرورة فالرضى بالقسم
والعمل بالطاعة في النعم وفي الاهتمام بالرزق لغد واما الغم فحرص مسرف وسوال مجحف وتمني ما لا يحصل ومر بعض الملوك
بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه في السوق فقال يا غلام ارفق به فقال الغلام يا ايها الملك في الرفق به مضرة
عليه قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخف حمله
ويطول اكله فاعجب الملك بكلامه وقال له قد امرت لك بالفي درهم قال رزق مقدور وواهب ماجور قال وقد امرت لك
باثبات اسمك في حشمي قال كفيت مونه ورزقت بمعونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال لن يعدم الفضل
من رزق العقل قال الرجل يصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها قال فاستوزره
فوجد ذا راي صائب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد تقدم به
في الشرق والغرب وبلغ منهما ما لم يبلغه احد قبله اكتب الي الفاظا موجزا ينفع ويردع فكتب اليه اذا استولت بك السلامة

يجدد ذكر العطب واذا هنتك العافية فحدث نفسك بالبلا واذا اطمان بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية
الامل فاذكر الموت فان احببت نفسك فلا تجعلن لها في الحياة الدنيا نصيبا قال ووعظ بعض الحكما ملكه فقال له ايها الملك
ان الدنيا دار عمل والاخرة دار ثواب ومن لا يقدم ما يحمد فيها من نفسه بحلاوة عيشه بترك الحياة الدنيا واعلم ان زمان الدنيا
بين البلا وامن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكون في حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضداده
ولا تجعل نفسك غرضا لسهام الهلكة فان الدهر عدو ابن ادم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذا فكرت في نفسك وعد
استغنيت عن الموعظة وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية اجل قريب في يد غيرك وسوق حثيث من الليل والنهار واذا
انتهت المدة حيل بينك وبين العدة فاحتل قبل المنع واكرم اجلك بحسن صحبة السابقين واذا انست بالسلامة فاستوحش
بالعطب فانها الغاية واذا فرحت بالعافية فاحزن للبلا فانه يكون الرجعة واذا انبسط بك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر
الاجل فهو الموعد واليه المورد وقال ابن الاعرابي حدثني رجل من اهل اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلا
والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف ولما ضرب انوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين المجوسية وانتقل
الى دين المسيح عليه السلام فوجد في منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر طباعا
في الناس فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازل فالطمانينة الى الدنيا حمق ولما تاب الله تعالى على النبي سليمن
عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية نزل البلا واذا تمت السلامة نجم العطب واذا تم الامن علا
الخوف وحفر حفير بفارس فوجد فيه لوح نحاس فيه اربعة اسطر محفورة اولها ايها المعافى ابشر بالبلا والثاني ايها السالم
توقع العطب والثالث ايها الامن خف هيبة الخوف والرابع ايها الموسر ليبعد عنك العسر ولما نزل ابو مسلم مدينة سمرقند
اتاه استمهد هاقان فقال له ايها الملك ان بالقندهار حجرا مدفونا فيه ثلاثة اسطر وجدت في الكتب ان سليمان بن داود عليهما
السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجد انك الذي تستخرجه وتعمل بما فيه فامر به فاخرج فاذا اول سطر منه الحزم انتهاز
الفرصة وترك الدنيا فيما يخاف عليه الفوت والسطر الثاني الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لا تبتغ الا
من ترك الاناة ولم يخش من لم يخف وكان ابو مسلم يقول لعلم جليل به تم هذه الدولة ان لم يزل الغدر يحول بيننا وبين الحذر ولم
يزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاغناه القدر عن الاستعانة بالحذر فقتله ابو جعفر المنصور ولما خرج ابو مسلم قيل له
ان بالحيرة نصرانيا قد اتت له مائتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فاتى به فلما نظر الشيخ الى ابي مسلم قال قد اصابتك الكآبة
ولم تبل في العناية وقد بلغت النهاية احرقت نفسك لمن سيسكت حسك وكانك قد عاينت رمسك فبكى ابو مسلم فقال لا تبك
فانك لم تؤت من حزم وثيق ولا من راي دقيق ولا من تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولكن ما استحكم لاحد امله الا اسرع في
تقريب اجله قال فما تراه يكون قال اذا تواطا الخليفتان على امر كان له التقدير في يدي من بطل معه التدبير فان دخلت الخراسان
سلمت واراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضي ووجه اليه من يحثه فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكانت هذه
دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ في الحذر والاحتيال في الهرب على ان لكل نفس غاية ولكل امر نهاية وقيل لجالينوس
وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد افكته العلة الا تتعالج فقال اذا كان الداء من السما بطل الدوا واذا قدر الرب بطل
حذر المربوب ونعم الدوا الاجل وبيس الدا الامل وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فراينا فيه صورة اسد
من حجر مكتوب عليه الحيلة خير من الشدة والتاني افضل من العجلة والجهل في الحرب اضر من العقل والتفكر في العاقبة
مادة الجزع وقال احمد بن سهل وجه ملك الروم الى هرون الرشيد بثلاثة اسياف مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب ايها
المقاتل احمل تغنم ولا تخف وعلى الثاني مكتوب التاني فيما يخاف عليه الفوات افضل من العجلة الى ادراك الامل وقال
الحسن بن سهل قرات في كتاب جاويدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والعجلة مع التاني والاسراف مع القصد
وقال الحضرمي على باب بغدان حجرا عليه مكتوب بالحميرية ايها الشديد احذر الحيلة ايها العجول احذر المتاني ايها المحارب

تايس

ليس من التفكر في العاقبة ايها الطالب موجودا لا انقطع الملك من بلوغه وكتب قيصر الى كسرى اخبرني باربعة اشيا لم اجد
من يعرفها واخالها عندك اخبرني ما عدو الشدة ومصيق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة عدو
الشدة والصبر مصيق الظفر والتاني مدرك والجود مفتاح الفقر وقال بعض الملوك لحكيم وقد اراد سفرا وقت في حل
من حكمتك اعمل بها في سفري فقال له اجعل التاني زمام مجالك وحيلتك رسول شدتك وعفوك ملك قدرتك وانا
ضامن لك قلوب رعيتك ان لم تحرجهم بالشدة عليهم او تبطرهم بالاحسان اليهم وقال الحضرمي علي قرات في كتاب جاويدان خرد
وهو من اجل كتاب للفرس الحيلة انفع من اقوى الشدة واقل التاني اجدى من اكثر العجلة والدولة رسول القضا المبرم واذا
استبد الانسان برايه عميت عليه المراشد وكان الخبر كان ابن بزرجمهر حامل القدر وضيع الحال نعمه المنطق فلما
لبزرجمهر خمس عشرة سنة حضر مجلس الملك وقد جلست الوزرا على كراسيهم والمرازبة حولهم في مجالسهم وتعجبا
الملك ثم قال الحمد لله المامول نعمه المرهوب نقمه الدال عليه الموتي الملك بسعوده في الفلك حتى رفع شانه وعظم
سلطانه وانار به البلاد واغاث به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير فرعا رعيته بفضل نعمته وحماها الموارد
واوردها المعشبات وذادها عن المهلكين والهما الرفق والدين انعاما من الله تعالى وتثبيتا لما في يديه واسال الله ان
يبارك له فيما اتاه ويجعله فيما استرعاه ويرفع قدره في السما وينشر ذكره تحت الما حتى لا يبقى له مساوي ولا يوجد له
فيها مداني واستوهب له حياة لا تنغيص فيها وقدرة لا حاسد عنها وملكا لا بوس فيه وعافية تدوم له البقا وتكثر له
النما وعز ابو منه من انقلاب رعيته او هجوم بلية فانه مولى الخير ودافع الشر فامر الملك ان يحشى فمه بثمين الجواهر ورفعه
ولم يدع حداثة سنه مع تبجيل كلامه ان استوزره وقلده خيره وشره فكان اول داخل واخر خارج وقال عمر بن عبد
العزيز نعم الله على العاقل نعمة بعد الاسلام افضل من مباينته هذه السفلة بالفهم والعقل ولو لم يكن هذا مما عرف
الله تعالى لاحباب الجهل الاترى ان الله تعالى خاطب ذوي النهى وذوي الالباب وذوي الابصار ويجب على ذوي
العلية ان يحمدوا الله تعالى على مباينتهم هذه السفلة بالعقول والافهام كما يحمدونه على جميع النعم وقيل لمروان بن محمد
وهو اخر ملوك بني امية ما الذي اصارك الى هذا قال الاستبداد برايي لما كثرت علي كتب نصر بن سيار ان امدد
بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والجند بما يظهر لي من فساد الدولة قبله
وهيهات من ان تنتقض علي خراسان فانتقضت دولتي من خراسان وقال الواقدي قال الفضل بن سهل لما دعي للمامون
في كور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك سرورا بمكانه من الخلافة ووجه ملك كابلستان شيخا يقال له دوبان
وكتب يذكر انه قد توجه بهدية ليس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا انبل ولا افخر منها فتعجب المامون وقال
سل الشيخ ما معه فسالته فقال ما معي شي اكثر من علمي فقلت فاي شي علمك قال راي ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع
قال فسر المامون بذلك فامر باكرامه وانزاله وكتمان امره فلما اجمع على التوجه الى العراق قال للاخيه قال لدوبان
ما ترى في التوجه الى العراق قال راي وثيق وحزم مصيب وملك قريب والسير ماض فاقض ما انت قاض قال له فمن نوجه
قال الفتى الاعور الطاهر الاحمل يسير ولا يعبر مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكم نوجه معه من الجند قال
اربعة الاف صوارم الاسياف لا تنتقص خيرا العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المامون بذلك ووجه بطاهر الى
الحسين قال في اي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يحجج لك الامر وينصرا الى النصر بنصر سريع وفتح ذريع وتفريق للجموع
والنصر له لا عليه ثم يرجع الامر اليك واليه فظفر طاهر وكان له النصر وقتل علي بن عيسى وزير الامين واستولى على
عسكره وحاز امواله فامر الملك لدوبان بماية الف درهم فلم يقبلها وقال ايها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك لانتقصك
مالك فلا تجعلن رد هديتي سخطا وسا قبل ما يفي بهذا المال ويزيد عليه قال المامون وما هو قال كتاب يوجد
بالعراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الافاق من كتب عظيم الفرس فيه شفا الصدور من صنوف الاداب بما ليس في

كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن اريب يوجد تحت ايوان بالمداين فيقال بالدرهان في وسط الايوان لا زيادة ولا نقصان
فاقلع الحجر واحفر المدر فاذا وصلت الى الساجة فاقلعها تجد الحاجة ولا يلزم لغيرها قبل ان يجب ضررها فارسل المامون
الى ايوان كسرى فحفروا في وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج اسود عليه قفل منه فحمل الى المامون فقال للذوبان
هذه بغيتك قال نعم ايها الملك قال خذها وانصرف فتكلم بلسانه ونفخ في القفل فانفتح فاخرج منه خرقة ديباج فنشرها
فسقط منها اوراق نحو مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فاخذ الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل
سهل فجئته فسالته فقال هذا كتاب جاويدان خرد تاليف بجودرز ملك ايرانشهر فطلبت منه شيئا فدفع الي ورقات
منه وتوجه الى الحضرين على ثم اخبرت المامون فقال احمل الي الورقات فحملتها اليه فقراها وقال هذا فيه الكلام لا ما
نحن فيه من لي السنتنا في نخوات اشداقنا ولولا ان العهد حبل طرفه بيد الله وطرفه بايدينا لاخذته منه ١٥

فصل من نوادر حكيم الفرس قال نصحني النصحا ووعظني الوعاظ شفقة ونصيحة وتاديبا فلم يعظني احد
مثل شيبي ولا نصحني مثل فكري ولقد استضات بنور الشمس والقمر فلم استضئ بشيء اضوى من نور قلبي وكنت عند الاحرار
والعبيد فلم يملكني احد ولا قهرني غير هواي وعاداني الاعدا فلم ار اعدا الي من نفسي اذا جهلت واحترزت لنفسي
بنفسي من الخلائق كلهم حذرا عليها وشفقة فوجدتها انفس الانفس لنفسها ورايت انه لا ياتيها الفساد الا من قبلها وزحمتني
المضايق فلم يزحمني مثل الخلق السوء ووقعت من ابعد البعدا واطول الطول فلم اقع في شيء اضر علي من لساني ووقفت
على الجمر ووطيت على الرمضا فلم ار نارا احر من غضبي اذا تمكن مني وطالبني الطلاب فلم يدركني مدرك مثل اساءتي ونظرت
ما الدا القاتل ومن اين ياتي فبصرته من معصية ربي سبحانه والتمست الراحة لنفسي فلم ار شيئا اروح لها من تركها ما لا
يعنيها وركبت البحار ورايت الاهوال فلم ار هولا مثل الوقوف على سلطان جاير وتوحشت في البرية والجبال فلم
ار اوحش من قرين السوء وعالجت السباع والضباع والذياب وعاشرتها وعاشرتني وغلبتها وغلبني صاحب الخلق السوء
واكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم اجد شيئا الذ من العافية والامن وتوسطت الشياطين والجان
والسباع فلم اجزع الا من الانسان السوء واكلت الصبر وشربت المر فلم ار شيئا امر من الفقر وشهدت الحروب
وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الاقران فلم ار قرنا اغلب من المراة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر
فلم ار حملا اثقل من الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم ار اذل من ذي فاقة وحاجة ورشقت
بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم ار انفذ من الكلام السوء ينفذ من فم مطالب بحق وعبرت السجن وشددت في الوثاق
وضربت بعمد الحديد فلم يهدمني مثل ما هدمني من الهم والغم والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوام للشدة
والعدة والنايبة فلم ار شيئا اخير من التكرم عليهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم ار اغنى من القنوع وتصدقت بالذخاير
فلم ار صدقة انفع من رد ذي ضلالة الى الهدى ورايت الوحدة والغربة والمذلة فلم ار اذل من مقاساة جار السوء وشيدت
البنيان لاعز به واذكر فلم ار شرفا ارفع من اصطناع المعروف ولبست الكسا الفاخرة فلم البس شيئا مثل الصلاح وطلبت
احسن الاشيا عند الناس فلم اجد شيئا احسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك وحباهم فلم اسر بشي اكثر من الخلاص منهم

فصل من حكم سابابوق الهندي من كتابه الذي يسماه منتحل الجواهر للملك بن قابيس الهندي يا بني الوالي نوع من
الزمان والحق تسلط الايام ولو من غلبه الدهر واعلم ان للاعمال جزا فاتق العواقب وللايام غدرات فكن على حذر
وللاقدار مغبات فاستعد لها والزمان منقلب لولد فاحذر دولته لئيم الكرم مخوف سطوته سريع الغير فلا
تامن دولته واعلم ان من لم يداو نفسه من سقام الايام في ايام حياته فما ابعده من الشفاء في دار لا دواء لها ومن اذل
حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير لنفسه ابان فضله وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط
حواسه وهي خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم

فكانت

فكانت عامة الرعية في اطراف البلاد ونواحي المملكة ابعد من الضبط فليبدا الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو احق
ان يبداه بالقهر من نفسه ثم يشرع في قهر حواسه الخمس لئن نفسها لو احق منهن دون صواحباتها تدنا ثاني على النفس النوبة
الحذرة فليبلغ اذا اجتمعت خمس الفس على واحدة واعلم ان لكل واحدة منهن شيئا ليس للاخرى فاقهرها اسلم من شرها واعما
هلك الحيوان بالشهوات الا ترى ان الفراش بحبه النور فيتمكن من حرها ويعجبه ضيا النار فيدنو منها فتحرقه والظبي على نفار
قلبه وشدة حرصه ينبعث للسماع الموافق الملحي فيذهل عن نفسه والذباب يرد المنبع الطيب الاراج فيطلب ما يقطع
من اغصان النيل الطيب رايحة فانه في طيب رايحة المسك فيلهيه طيب الرايحة عن الاحتراس من تحريك اذنه فيتوج في اصل
فيتبع عليه ضربه الاذن فيقتله والسمك في البحر يحمله لذة الطعم ان يبتلعه فيحصل الصنارة في جوفه فيكون فيه
حتفه وذكر هذا الحكيم ان خصالا معروفة تلك الاختلاطات ملوكا معدودين في الصيد مات فيه فبين الملك الاختلاط
في القمارات فيه فسد الملك والاختلاط في السكريات فيه هلاك الملك وشدة الحرص ما نتجه هبوب الملك والقضب
الخروج الملك في الطمع والميل الى المزح واللعب والملاعبة بوليس الا الثواني واخلق بجمال الملك ان يجتنبها الملو
واعلم ان الرعية تستطي الى الملك العادل استطالة اهل الجدب الى الغيث ويتعشون بطلعته عليهم كما تنعاش النبات
بالماء لذلك لا تطمع الرعية بالملك العادل الا تر نفعا منه بالغيث لان منفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك على
الدوام لا يتغير له وقت ويجب بالملك ان يشبه تصاريف تدبيره بطباع ثمانية اشيا منها الغيث والشمس والقمر
والريح والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره في اربعة اشهر من السنة ومنفعته جميع السنة كذلك
ينبغي للملك ان يعطي جنده واعوانه في الاربعة اشهر تقديرا لتتمة السنة فيجعل رفقهم ووضعهم في الحول الذي يستوفي
بمنزلة ما يسوي المطر بين كل اكمة شرفة وغايط مستقل ويعم كلا بما به عند حاجته ثم يستجبي الملك في ثمانية اشهر
حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما يجبي الشمس بحرها وحين تعلها ندا الغيث في الاربعة الاشهر الامطار واما شبه الريح
الريح لطيفة المداخل تسرح في جميع المنافذ حتى لا تبقى بمكان كذلك الملك ينبغي ان يتوج على قلوب الناس بجواسيسه
وعيونه لا يخفون عنه بشيء حتى يعرفونه ما يامرونه في بيوتهم واسواقهم وكالقمر اذا استهل اياه فاضا ويعتدل
نوره على الخلق وسر الناس بصنويه ينبغي ان يكون الملك ببهجته وزينته واشراقه في مجلسه وايناسه رعيته بشر
فلا يحبس شيئا دون موضع بعد له وكالارض في كتمان السر والاحتمال والصبر الامانة وكالنار على اهل الدعارة والفسا
وكعاقبة الموت في الثواب والعقاب يكون ثوابه لا يقصر عن الغاية حده ولا يتجاوزه وكالماء في لينه لمن لاينه وهدمه
واقلاعه عظيم الشجر لمن جاريه واعلم انه قد يحتاج السلطان من بين اراذل الناس والاعوان الى الحاجة اليهم من يستشنع
ويستكن كالحيات تكتنف بالصندل لكثرتها فيقتلها الصندل لطيب رايحته وبرده ويبسه وينتفع الصندل
بها لانها تحرسه من يريد قطعه ليكن فيك مع تلطفك تشديدا لئلا يجري عليك ان القمر يستضا بنوره ولكن
لم يكن الشمس يستظل من حرها ويكنها وقد قال العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ واجعل
لكل طبقة من اعدايك اشباههم من اعوانك يسوسونهم فانهم كالماء في الحوض لا حيلة في اخراجه بارفق من الماء الذي
هو من جنسه اذا عاديت رجلا فلا تعاد كل جنسه واستبق من دونه احدا فعسى تنتفع به فان السيف لا يقتل
من جبل الدرع الواقي ولا تطمع في الكذوب والمطبوع على الشر ان تعطفهم بالاحسان فانهم كالعرد كلما سمن بالطعام
والحلاوة والدسم ازداد وجهه قبحا قد يبرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يردع شعاع الشمس اذا كان واقيا
غاية الرامي من الناس ان يقتل بسهم واحد الكرمية عاقل من يقتل الجيش بامره والملك الشريف العاقل لا ينبغي
فيه قد يدع اصل النبي من انقطع اليه ولزمه كالجوهر المضي بنوره لا تطفيه عصوف الرياح من كان لا يولد
عليه في بقايه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ريح لينه ثم لا يلبث ان عصفت الرياح ان تطفا تدبير الملك

الحازم في سلطانه كما يتعاهد صاحب البستان بستانه بتجريح فحل عيدانه وشوك يتجرم فيحيط به على شجره وزرعه لبقيه
من الشرور والفساد كما ينبغي للملك اصل التكلمة والشوكة فيجعلهم في نواحيه وحدوده ردا للمملكة ولا يكون الملك اخذ
ما يكون امن ما يكون قلت وقد صدق الشاعر ۰ امنتم ريب المنون فنمتم ۰ رب خوف ممكن في امان ۰ ه ن
ه ان الاحرى ان لفرشان الملك انا متا المراة على فراشه رجلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباشراح الملك
قتلته امراة بخلخال مسموم ورد وفا الملك قتلته امراة بمديه خبتها في عقاصها واعلم ان العدو قد علم هلك موضع
الحوز منها لاتنا الامن وانما ترصد لك في حالات الامن والمواضع التي يظن ان العدو لا يمكن فيها فكل احذر ما يكون فيها
وسائر حكم هذا الباب قد قدمتها في تراجم كتابنا هذا **فصل** قال الحكيم لا ينبغي للملك ان يكون له اياما معلو
يظهر فيها فان في ذلك خصالا مذمومة منها انه قد يعوقه ذلك اليوم مسك منهم او بعض الكسل ولذة معتنية ن
فيلزمه الخروج على كره ومنها انه اذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لامر ما تطاولت الاعناق من الرعية وكثر
كلامهم وقالوا امرض او مات او اصابته آفة لتكسب العدو جراة وسرورا او يكسب الولي حبا وحزنا ومنها انه قد اعد
عدوه ليوم يتقيان فيه فلا ينبغي ان يكون الملك كبيرا لقصر فعند فساد الزمان وخبث الرعية وعن هذا قالت الحكما
اذا كان الجهل كثيرا الفقر كان نصيب الذنب **فصل** من نوادر العرب من حكم اكثم بن صيفي وهذا رجل كان له عقل
وعلم ومعرفة وتجربة فقد علق الناس عنه حكما لطيفة ما لعواقبه تصانيف فمن حكمه قال اذا فسدت بطانته كان كمن غص
بالماء افضل من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدا بمضرة نفسه العديم من احتاج الى لئيم من لم يعتبر فقد خسر ه
ما كل حين تقال ولا كل فرصة تنال لا جود فالمرء ليس له حيا قد شهر السلاح في بعض المزاح من فاز بالعهد فاز بالجهد د
الموت يدنو والمرء يلهو طول الغضب يورث الوصب رب عنق شر من رق من اصطنع قوما احتاج اليهم يوما
الكذب لهت والخلف مقت من لم يكفك اذاه لم [...] مساواته الحر يتقاضى بك نفسه واللئيم يستحسن تسويفه وخبثه
لن يانس من ليس له اخوان انت من رمنعك ان صحبت من هو دونك عليك بالمجاملة لمن لا تدوم له مواصله
في الحضار ميدوا الاختيار افسد كل حسب من ليس له ادب افضل الفعال صيانة العرض بالمال ليس من حاذر الجهول
بذي معقول ليس للجاهل مثل الرد من جالس الجهال فليستعد للقيل والقال ما اجاعنك اللسان مثل البيان ولا نفى
عنك البهتان مثل البرهان لم يسلم من الموت غني لماله ولا فقير لاقلاله اذا اردت طرد الحر فتسه الهوان كثرة
التعلل آية البخل كفر النعمة لوم وصحبة الاحمق شوم من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق لئيم المحض
النصيحة حسنة كانت او قبيحة رب سباب قد هاجه العتاب الصدود آية المقت سبب الحرمان التواني
من سال فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غايب يؤوب ان من الفساد اضاعة الزاد من حلم ساد
ومن تفهم ازداد لا ترغب فيمن يزهد فيك رب بعيد قريب من قرب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل الطريق
وعن الجار قبل الدار رغيفك خير من سمين غيرك من اجتنب الشر ادرك المعقل استر عورة اخيك لما تعلم فيك لا تكثر من
المزاح فتذهب هيبتك ولا من الضحك فتستخف بك من اكثر من شي عرف به كن بالحلم ناصرا المنة تهدم الصنيعة
نعم الشي الهدية بين يدي الحاجة ربما نصح غير الناصح وربما غش المنصح الكلام فيما لا يعنيك خير من السكوت والسكوت
عما يضرك خير من الكلام لا يغرنك من جاهل قرابة ولا جوار ولا [...] قريب ما يكون من النار قربا اقرب ما يكون
منه تلهبا ارفق اهل الدناءة تدركه المهد دع مجالسة اهل الريب على كل حال فانك ان تبلغ دينك لم تسلم من سوء
المقال الكرم شكر البلاء اللوم كفر النعمة اكرم الصنايع ملامة الصدور لن تسلم من الناس حتى تبلوا امنك عن عجم
الايمان لم تردد الرواية فيها الحزن مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة كثرة النوم امانة القلب شدة الحذر تدل
على ضعف اليقين محادثة الحمقا والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحمق الاعجاب بالمرء بعقله من لم يرفع الحاشية رفع

مونته من حرث من لا يفقد لمن يذم ما ينبه لاصحاب الفجور من قطع عليك الحديث فلا تحدثه فليس بصاحب ادب من عق
بالصدق جاز كذبه ومن عرفنا الكذب لم يجز صدقه من وصل من يحسده قوى عدوه واضر بنفسه اغتفر زلة صديقك
غضب من غير شي رضي من لا شي امن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل
العاقل من خاف ربه تعظمه كسل الفقير هلاكه شح الغني فضيحته من لم يتورع في كلامه اظهر فجوره كل شي لا يوافق
الاحمق فاعلم انه صواب اذا غلبتك امراتك فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالبهايم من طلب
ما عند البخيل مات جوعا جار الرجل الجواد كمجاورة البحر لا يخاف العطش وجار البخيل في المفازة هالك ان لم
تنتفع بمصادقة الاحيا فان اهل الفجور من عادى من فوقه ابغضه من عند الرزق فهو [...] ومن كثر
كلامه على المائدة غش بطنه وابغضه اصحابه العلم زين منفعة والجهل شين ومضرة الجاهل يستطيع الشر والعاقل
يمنع نفسه من الشر من لم يبرح في [...] فليس له نصيب في المروة اذا كان لك جار او صديق لا تنتفع به فعوض مثله
في الحايط فانه ان لم [...] الحايط واخف المونة العاقل يرغب في الادب والجاهل يهرب منه العاقل ذا آفته الادب لم العصمة
لا تستنطق من يكذبه العاقل يتهم رايه في نفسه والجاهل يتهم على جهله من لم يملك عقله لم يملك نفسه من اظهر
محاسنه ودفن مساويه كمل عقله من غلب هواه عقله افتضح من استشار عدوه فصديقه امر بقطيعته مصادقة
الكرام غنيمة ومصادقة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك التهمة فيرجع الى عدل النصيحة اذا انقطع رجاءك
عن صديقك فالحقه بعدوك من طلب مرضاة الاخوان بغير شي فليصادق اهل القبور العاقل ليس في مصادقته
مخادعه راس مال الاحمق الخديعة وفايدته الغضب والحكيم راس ماله الصمت وفايدته الحلم اذا حمل عليك الاحمق
فالبس سلاح الرفق واللطف صديق كل امرء عقله وعدو كل امرء حمقه من اراد نفسه عاقلا ارى له الناس جاهلا
من قنع بالدنيا لنا اظهر للناس [...] السكوت عن الاحمق جوابه السكوت يزين الاحمق والكلام يشينه من [...]
عليك بملبسه وبخلا بفضله فلا كثر الله في الناس مثله الجواد محبب والبخيل مبغض اذا حملتنا البخيل مونة ابدالك
الحرمان والعداوة البخيل يمنع ماعنده ويبخل على الجواد بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل للبخيل
صلته ورفع عنه مونته دامت له مودته ضيف البخيل امن من التخمة من طلب من لئيم حاجة كمن طلب السمك في المفازة
عدة الكريم نقد وعدة اللئيم تسويف الكريم يواسي اخوانه في دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك
انما الصديق الذي يبذل لك ما له عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند المغيب ويشفع عندا لرجا
اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينصحك في الصداقة فعاده من غشك في العداوة فلا تامنه من كان الناس عنده
سوا لم تكن له اصدق من صادق الاخوان بالمكر كافوه بالغدر من لم يواسي الاخوان فخذ ولته خل العدو ما منه
اياك ان تبغي في مودة من يحسدك فانه لا يقبل احاك من حسد النعل عليك لم يسمع حديثك الحاسد يفرح بزلتك
ويعيب صوابك اذا رايت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فغير عليه امورك من صبر على مودة الكاذب فهو
مثله كل شي شي ومودة الكاذب لاشي من يدرك بجهله فكافه بحلمك [...] والمروة طلاقة الوجه والثانيه
التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالي ما قال والورع يشاهد كلامه من شغل مشغولا [...] اظهر ثقله من
صبر على شغل سوء فقد نظر الى محنة عينه من لم يغلب الحزن بالصبر [...] من استطال على الناس بغير سلطان
فليصبر على الذل والهوان لا تحقر الفقير السري ولا ترغب في الغني الدني من تشبه بالسراة وغلبت عليه
الدناة فلا تكرمه من اغضبته انكرته من اغنيته اعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بعزيمة من صانع
بماله لم يحتشم من طلب حاجة من صاحب الكتاب [...] ومن عاد [...] الخروج [...] عليك بابعد وطي ببعض ولم
يدخل عليك فضيلته فلتهن عليك سبلته السفيه يقطع مودة لم تزل [...] لم يكن حمل المروة ثقيل

من سال الناس غنم خذلان الجار لوم و رجال البلا قليل احفظ اخوانك تذل اعداك ما اجمل الصبر على ما لا بد منه المحروم من طال تعبه وكان الغبن نشبه لا قوي اقوى من قوي على نفسه ولا عاجز اعجز ممن عجز عنه الخير في اهله غريب ما اضعف قوة من تغالبه من لا يغلب ٥

الباب الرابع والستون

يشتمل على حكم ماثورة نافعة

اعلم ايها المريد ان الله تعالى يمتحن انبياءه واصفياءه باعدائه ويضطرهم واحباءه الى اعدائه رفعة وتقريبا لانبيائه وتمحيصا لدرجات اوليائه وذخرا لهم عنده وزلفا لديه تعظيما لاقدارهم وتشريفا لمنازلهم ورفعا لدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى تعزية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لعظيم ما كان يلقاه من سطوات اعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تتهمنا في سيرتنا فيمن نحبه ونحبنا فالبلا على محبينا احدهما كفارة ذنب والاخر رفع درجة وتوفير اجر ولذلك كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل فالبلاء ان لا يكن تضعيف درجة وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة وعلو منزلة وبلا عقوبة لانه كريم واقتراف معصية لم تخلوا الحكمة ان يكون لحادث حكمة فلا رغبة عما انعم الله به منه او لسيئة عند اضاعة فلا … زاجر عنه فلاي ذلك كان نحو لها به المنة ووجبت لله به النعمة وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه اذا وقع في شي يكرهه يقول اللهم اجعله ادبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المومن في راس جبل لقيض الله له من يوذيه … ضاق صدره وحرج قلبه وساء خلقه من عدو اقلقه وحاسد يحسده طب نفسا وقر عينا واهنأ عيشا فانها دعوة الرسول لك بالايمان ولعدوك … تجح … امالك في الانبياء اسوة امالك في الصالحين قدوة فلو لم نلق الله عز وجل من الحسنات الا ما اقترفناه اختيارا لقينا الله تعالى بقليل من الحسنات ثقال من السيئات قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعد القوم بالنعم وقال بعض الحكماء الذي رايت ممن يحب فيما تكره اكثر مما رايت مما يحب فيما يحب وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين السجون قبور الاحيا وشماتة الحسد وتجربة الاصدق واسعد الناس من كان لعقله لديه … وكان لما عدته اهلا اغلب على الكريم من يدل اليه الشماتة … الناس عدة … مجي القدر يسبق الحذر من … شي حاق به من غير من يخل به الخلق قبيح المصايب مذاكرة الرجال بتقبيح الاباحة اقلها في طلب الحيلة الخروج من … جاني العقوبة على نفسه اعظم جرما عليه من المعاقب له عليها قرابة بغير منفعة بلية عظيمة النعمة منعه كفا لنفسك ما كرهته من غيرك الحمية ثوب … الجهل الانفة توام السفه … لم تعتب … العادة … لا يومن ازدحام الكلام مضلة الصواب … قبل سوء الظن والحاق السيئة اعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجا اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه … الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد بالرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان حدثت له نعمة … وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنا وان عضته فاقة … البلاء وان جهد به الجوع قعد به الضعف وان افرط في الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد افضل القوي بدهنه امر وردت في مقام خوف اشد الناس غما الذي يرى غيره في الموضع الذي هو به اولى ما اخذ الله على احد الا رفع عنه طاعته من العجب ان … من ابتغي رضاك واعجب من ذلك ان تسخط عليه … يشبه … علامة العلم العمل بالاعراض عند المنادمة لا تغار واحتى تروا لا تفخر واحتى تعلوا لا تانفوا حتى تظلموا … النفعا

براءة الساحة من لوم الحجة والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة … للاولين مواعظ الاخرين … يومن الحقد ما يوري النار القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غنا قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه عجبت لمن بلي باربع كيف يغفل عن اربع لمن ابتلي بالضر كيف يذهب عنه ان يقول مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين وعجبت لمن خاف … كيف يذهب عنه ان يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها عليه كيف يذهب عنه ان يقول ما شا الله لا قوة الا بالله والله تعالى يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله لا قوة الا بالله كذا سنة الله سبحانه بمن صدق في التجا اليه ولم يتوكل في مهماته الا عليه … ومنه لذا الموارد منجاة من مبالغة او قدوم غايب بعد ان جات باليأس منه الركايب واشر المصادر ظفر على قنوط الطبيعة مخالفة للمروة فاصبر لحق وجب عليك وان خالف هواك … المجلس الشريف بالرجل … اليقين راحة ورداء العمل … بالرجل المدبر … الياقوت واللولو في تيجان الملوك ما انور الهدى ما اظلم العمى ما اكرم التقى ما اخدع الهوى … التعب المنى ما اسرع البلى ما اجهل الصبي بالجود ان … للروح حظ الجسد والاحسان ان يهضم للجسد حظ الروح العدل ان تعطي كل واحد منهما حظه والشر ان تكف حظوظهما عنهما عدو يخاف الله فيما تكره خير من صديق لا تخافه فيما تحب من العجب ان نطالب في صحة كلامهم ما يقنعنا ونقبل … الى الله تعالى من غير بحث عن صحته لا ترد الباطل … ولكن احذر ان يصدع عليك بالحق فتشهد عليك عيناك عدوك من … الراغب فقير بعد رغبته الحق يعطي ويمنع … نوب الناس لتحتج عليهم واجتنب الذنوب لتقل حجتهم عليك الفراغ افضل عن الكلام … عجمة احرى للعليين … الحجة حاب العلية في كلامه وسو بينهم وبين السفلة في احكامك موت في عز خير من حياة في ذل الاكفاء من كل … ما ضاع امرء عرف قدر نفسه الدعة … يكون بعد التراضي العمل لو فارق الخير صاحبه حتى يفارقه خير الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة الحاسد يظهر وده في كلامه ويبغضه في افعاله … الصديق ومعنى العدو بالربا يفسد العلانية والعجب يفسد عمل السريرة اذا اكثرت … قلت الشهوة من عرف قدر نفسه كان نفسه كفى بالظفر شفيعا للذنب الى الحليم لسان الجاهل دليل حمقه لا ظفر مع بغي ولا صحة مع نهم ولا … مع كبر ولا حمد … من لم يعرف قدر نفسه كان لنفسه احق … العقل قطع ظهري اثنان … رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو الناس الى … بنسكه وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه من قوي هواه ضعف عزمه من ظهر غيظه قل كيده كفى بالظلم طاردا للنعمة وداعيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك مروته … تعقب عن الحكم عفو الراي خير من استكراه الفكر ما استنبط الصواب بمثل المشورة ولا حصنت النعمة بمثل المواساة من لم يومن بالقدر فقد كفر … فقد … ما اكتسب البغضا بمثل الكبر من استغنى بالله افتقر الناس اليه التقصير يحجل عن الصواب الافراط … الخطا ثلاث خصال … الا في كريم حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملامة … ما بقي ما مضى وكفى عبرا لذوي الالباب ما جربوا … ولا … الشبهة ظلمة لن يضيع امر صواب القول حتى يضيع صواب العمل خير الامور ما سر عاجله وحسنت عاقبته لا شرف مع سوء ادب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا محبة مع زهو باجالة الفكر يستخرج الراي المصيب وبحسن التاني يدرك المطالب وبالنصيحة تكثر المتواصلون الفاحشة عار الابد وعقوبة عند الشماتة تعقب الندامة من … قال الله تعالى ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا فقد المتفضلون هلك المحتاجون

رب صبابة غرست من لحظة وحرب جنيت من لفظة ما شاهد على غايب باذل من طرف على قلب شر المال ما لا ينفق منه افضل المال ما صين به العرض وبالحفظ لاشرف الاحترار الذي يكون سببا لفساد نفسه اذل من يفسد عدوه او دهر لا تعتز زود بعد ما لا النهوة … كل بعير على … اللسان وعلى المودة العيان … فاعلى من الا ولا كرم اعلى من التقوى ولا شفيع اغنى من التوبة اولى الناس بالمن من حافظ عليه الخير موضوع لمن اراده موفور لمن عمل به الرغبة مفتاح الطلب ومطية الحسن الحرص داعي الى الحرمان التفضل بالحسنة ينفي السيئة المكافاة بالسيئة دخول البغي ابق الى الحصن اصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود حق المذموم التانيب وحق المرحوم المعونة من الجهل والجهل اظهار الفرح عند المحزون المحزون … على الفرح وبتكرار المكتئب من طول السلامة … الدمات اعظم الناس … من لم يجعل الدنيا لنفسه قدرا ما احدث محدث بدعة الا ترك بها سنة عزايم الامور خيارها ومحدثاتها شرارها الملك يكتسب من الفاقه والعامة تنفق من تكسبه من افنى عمره في جمع المال مخافة العدم فقد اسلم نفسه للعدم

ومنه قول المتنبي

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي صنع الفقر

من لم يقدر على جمع الفضايل فليكن فضايله ترك الرذايل اذا لم تكن ملكا مطاعا فكن … استصلاح بعض العدو افضل من اهلاكه من سعادة المرء ان يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره خير الكتب ما اذا اعاد قاريه النظر فيه زاد حسنه او تفعل على جبر اثقل الاحمال من اتسعت مروته وقلت مقدرته استحي من الله بقدر قربه منك واطعه بقدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار واعمل للدنيا بقدر بقايك فيها واعمل للاخرة بقدر بقايك فيها الملك ينفق لكتبه والعامة تكتسب لتنفق الطاعة بقدر الفاقة تحصن زوال النعم اذا ازالها التجمل اولى الامور بك اوجبها عليك الدنيا العافية والشباب الصحة اذا اقبل الامر نشه واذا ادبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء والتصنع الصدقه من نعمة وابدا لمن تقول اذا اضر النوافل بالفرايض تركت النوافل وقدمنا الفرايض قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته من اطاع الواشي ضيع الصديق ومن جعل لنفسه حظا من حسن الظن روح عن قلبه شر مالك ما لزمك اثم مكتسبه وحرمت منفعة انفاقه رب مغبوط بليلة قامت بواكيه في اخرها لا ترج خير من لا يرجو خيرك ولا تامن جانب من لا يامن جانبك تارك الطلب ضجرا ارجا العوده من تاركه جودا ثمرات الشهوات الخاري الخصومة تمرض القلب اعم الحيا نفعا فقد الاخرار من استغنى الكفاه كفى الاحمد اخير مالك ما اغناك وخير منه ما وقى سوءلا الكريم صتيم ذنب اسد خير من راس كلب يجهه العير يغدى حافر الفرس من استبد برايه خفت وطاته على اعدايه انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك من امن الزمان خانه ومن تعزز عليه اهانه كما تحب ان يكون المراة امنوي من الناظر فيه فكذلك ينبغي ان يكون المؤدب خير ممن يؤدب من ترك ما يجمل به … لمن في الشر اسوة ولا في الحظ قدوة لن يكون لله ناصحا حتى يحب عدوك اذا اطاع الله في عداوتك على عداوته وتقلع عما عاداك عليه وتبغض وليا اذا عصى الله فيه والاك وتنزع عما والاك عليه لا تكن على الاساة اقوى منك على الاحسان الشقي من جمع لغيره وضن على نفسه شر اخلاق الكريم ان يمنع خيره من كانت الاخرة راس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت الدنيا راس ماله كانت الاخرة خسارته افضل العلم وقوف الرجل عند علمه افضل المال ما قضيت به الحقوق البدع نتاج محبوبة كلما علقت عليها الفاظا هي رجاء العامة امينة على ضلالة ورجا الخاصة يبنى على ثقة القليل من الكثير الملك كالكثير من غير عطا الملك زينة وسواد شرف وفي الاحمال … او ملكا اذا الدنيا السفير بطل التدبير احب الازمنة زمن لا يتميز فيه الصواب لا تنظروا الى الفضول مخفتهم العجز عن الحقوق لا خوان المقاع تؤدي والقلوب قوابل لتقي من احب

ان

ان يسمع اهيا لمن يظهر دهاه لا دليل اهدى من التوفيق لا اجلا البلا من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من اسا به الظن الحفظ قيد العلم المدارسة اذكى للفهم المقابسة احيا الفطنة استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتاليف والنصر بالتواضع لله والرحمة للخلق استقلال الكثير تعرض للتغيير ثلاثة اشيا تدل على عقول اربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها لم يحكم على العقول حاكم كالعبر ولم يحكم محكم كالتجربة من عاب سفلة فقد رفعه ومن عاب شريفا فقد وضع نفسه احق الناس ان يوتمن على الدنيا اهل الاخرة صح من صحت سرايره وسلم من سلمت ظواهره بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول يعرف قدر المرسل ملاك امور الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحصن اعراضكم الحلم اذا اعطيته ما لا حرمني فان منعتها اعطيتكما ارد الخير كثير كان الخارج منه اكثر حسرة وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الوقعة الاتيا على العمل اشد من العمل من التوقي ترك الافراط في التوقي ثورتنا الحرمة والذمام سنة في المروة كما ان زكاة التركة فريضة في الذمة لا تمدحن امرا باكثر من قدره فتكون مهينا لنفسك كذابا على غيرك لا تفرحن بسقطة عدوك فانك لا تدري متى يحدثها الزمان بك من الجفا الكلام في الامر الجسيم من غير مشاورة اكثر الناس مخادعة لنفسه في امر حسامه عند الكحبة وفي امر مروته عند الشهوة وفي امر دينه عند الشبهة المصايب بغياة العاقل المدبر ارجى من الاحمق المقبل اشرف الصنايع ما لم يكن مكافاة لمصنع ولا رجا لباق ارض النظير ثم كافه وابسط للمحلي ثم استمع منه لم يكن عقوبة ولا هدايه الا اوالها سابق وعنها ناكص احسانك الى اللئيم يبعثه على معاودة المسالة ليس يحفظ الاديب بان يكون فاعلا الخير انما يمتحن بان يكون تاركا للشر من صنع خيرا فاضعفه له والمحلا يجران يكون مثله الاخرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم كما تتبع الذباب لمواضع الغلة من الجسد ويدع صحيحه الظرف فتنة معه بعض الادب لا المواضع التي الالفاظ … عنها اهل الجلالة من المخلصين في باطن الدنيا والمتنزهين في ظاهرها الكتاب وسمعت القاضي ابا العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة يقول اول من نطق بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه اتي بسارق فقال له اسرقت قل لا فقال الرجل لا فقال له عمر انك نظيف جهل البلا الكلام (?) والعيال … للعالم ان يطلب بجاهل … رفعه الله عليه العقل افقر الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام والشراب اعظم الناس غما من تتابعت نعمه وبقيت شهوته وضاقت مقدرته قلة الغنا لجدا اليسار من معالجة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحيا عند الفضيحة والصبر عند النصيحة تمهلت عليه المعاصي كلها العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه من تعدم بجميل النية نصره التوفيق ان يكون لله ناصحا حتى يحب ان يكون له عدوا مطيعا اذا اطاع الله من اذى الناس بلا سلطان كان مصيره الى الهوان ما دخل ابليس فيك مخاطب لغيرك لجوابه وثوابه ساقط عنك المكر والخديعة في النار الاحداث تاتي من علامة يوتي الحذر المأكول البدن والموهوب المعاد والمحفوظ العدو ومن غضب على من لا يقدر على غمه عذب نفسه واشد غيظه اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك في تركك ما لا يعنيك دركها يعنيك من انكى الحيا لعدو وكان تريه انك لا تعاديه كل انت قريبا الاستغنا عن الشي خير من الاستغنا به ومن خير خبز ان تسمع بالمطر لا تخف ثمار ولعلا تعنى بما لا يبقى شر العيوب ما كان مصنا للعيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب ابلغ الرسل الكتب اول الامر بالنصفة وانا زعيم لك بالظفر من اراد ما لا تهدمه الايام فليصطنع المروة وليعمل فيما دروة الشرف رب امر له ما بعده من يسبق اليك كانه صعوه من شروط المروة التغابن للضعيف المروة تركه الريبة … الاستقصا بن القوي على الضعيف ان يكون ظلما … الغني من الضعيف ان يكون جودا … ابنوك … بطن عميق او له حكم واجر علم المحادثة على الطعام تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الحسبان لن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر على كثير مما تحب ذهاب البصر خير من كثرة النظر لا تعد الغنم غنما اذا ساق غنما

مع الراي الاول الكلام النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتزيل لما بعدها ليس مدح الرجل بما فيه تزكية انما الناس
في امر دنياه ولو بهمة امر دينه الغريب من فقد اخوانه ونظراه وان كان في وطنه الغريب من لا احد يوليه الغريب الفقير
الفقير الحمق الحقيق الغريب الاحمق الغريب من لا احد يوليه شيا ان لا يستحي العاقل منها المرض وذوا القرابة الفقير من كانت
سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها وسيطا بينك وبين احد علامة الاحرار ان من خالطهم لا يسلمهم
ومن تركهم لا يقصر بوا اثرهم عنه واما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن خالطهم ترك رشده البر لانه الصدق في الغضب
والجود في العسر والعفو عند القدرة من عتب على الزمان طالت معتبته ستشاق الكل بما استلاق اذا اصحب الادب
للرشاد وجد المراد ما عنق من الظلم من حكمه الجهل ولا ظفر بالعز من احتمل ما في المعصية من الذل ولا خرج من الدنيا من
جمع عقله الى الدنيا اخوا الظلما مريب المسالة احرا المكسبة ما خذ من اصل الجاه من كان من اصل الهوي ولا كان من اهل
من كان من اهل النقي من جاد عن سبيل الهدي من خرج الاحسان لا اتباع القضاة لم يجد شيا منه من دواعي الهلكة
المعرفة واعجب الى من يجرح اره وجهه ليصدم ولمن يرم امور الدنيا واموره في نفسه ثم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
من لم يكن معاكان علينا والساكت اخو الراضي الكاتب للعلم كمن لا علم له اوهو عند غيره اوثق فيه بالصواب المرء مخبو تحت لسانه
فيه كل امرء ما يحسن العلم بما في المصيبة من الثواب يخفي المصيبة شر من المصيبة سوء الخلف منها الحكمة ربيع القلوب
الخصومة تكشف العورة وتورث المعرة بلاء المومن من عافيته كالنار حريقها من نورها قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع
هلاكا من لم يرفع قدره عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه الذلة مع العلة بجوع احمر ولحناكل شي بها موت عاجل
خير من صنى اجل الغضب عند المناظرة معناه لحجة الاختصار اثبت للمتكلم واتم للسامع الكلب في الحاضرة ينبح
الضيف ويوجع الزابو وترد السايل والكلب في البادية يعين الصاحب وينذر بالضيف ويدفع السارق لا تغترن بقول
الجاهل ان في يدك لولوة وانت تعلم انها بعرة مثل الصلاة مع سائر العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان هلكت
سلم الكل وان اصيبت اصيب الكل الحب والبغض فيه طلب المطمع حزم وطلب ما لا يمكن عجز قد ينصر المنطوق من يعنى به
اذا فسد الزمان كسدت الفضايل وضرت ونفعت الرذايل ونفقت وصار خوف الموسر اكثر من خوف المعسر
لقد احيا عمارة القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد نفسه الواحدة بالعمل يحسن المنطوق وبالقوة يتم العمل الفكر
من اعظم الناس حسابا من قل ماله وكثر عياله الادب مع العقل كالشجرة المثمرة والعقل بلا ادب كالرجل العقيم الا التي
من القلب والقلب اقسى من الحجر وقد يثلم الماء في الحجر اذا كثر انحداره عليه اشد الحيا اخفا الفاقة اولى الناس بالا
ما لم يجري عليه حكم جاهل لم يبغ من يجهد ابيه ولم يفن من بقي اثره ولم يمت من خلد علمه وقد سبق المثل لم يرى الا
من يرى مثل ذلك كما انه قبيح اذا ركبنا الخيل ان نجري بها حيثما ارادت دون ان نديرها كذلك قبيح ان نجري البدن والنفس
حيث ارادت من الشهوات اشق الامور معرفة المرء بنفسه عايب المجتمع عليه محجوج ليس شي من البشر الا ودونه عقبة
من الصبر ضربا لا نسان عار باق ومن مطلوب قيل الحكيم هل للغضب مادة تحمه قال نعم ان يعلم الانسان انه لا ينبغي
ان يكون مطاعا ابدا ولا يجب ان يخدم ابدا ولا يجب ان يحتمل خطاوه ابدا ولا يجب ان يصبر عليه ابدا بل قد يطيع
ويخدم ويحتمل الخطا ويصبر على النوايب فاذا فعل ذلك لم يغضب وان غضب فقليل التعدي من وعظ بغيره والشقي
من وعظ بنفسه لا ينفع كثرة العلم لمن لا يعقل كما لا يغني ضوء الشمس عمن لا يبصر رضي بالذل من كشف ضره تركنا التورع والزهد
بنفسه من استشعر الطمع البدع لمخرج يسترها زخرفة الكلام وخدع المقال التاني في الدنيا بالاخوان وفي الاخرة بالا
صديق الرجل عقله وعدوه جهله من اجتمعت له النعمة ادت له الرغبة يحفظ الاحمق من كل شي الا من نفسه لا جود الا
بمال ولا صداقة الا بوفي ولا نعمة الا بورع العليل الذي يشتهي ارجي من الصحيح الذي لا يشتهي قلوب الرجال وحشية فمن
تالفها اقبلت عليه اجعلوا اخبايكم وبيوتكم امر ستر من الحلال اعقال الرجل اخلاه مسلاة للهم من لم يصلح على تدبير الله لم يصلح

علي

علي تدبير نفسه والاحلام فرح وهو كاذب والعامل بها كالمعتمد على الظل الزايل الدنيا دول فما كان لك منها اتاك وما كان
عليك لم تقدر على دفعه العافية خير من الداهية الكريم لا يستحي من اعطا القليل العفاف زينة الفقير الكرم حسن الفطنة
واللوم سوء التغافل اختلاف كلام المرء دليل على ميل الهوي به من حق النعمة ان يري اثرها من كان شبعه في الطعام لم يزل
جايعا ومن كان غناه في المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده بحوايجه الخلق لم يزل محروما ومن استعان في امره بغير الله لم يزل
مخذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من دونه ما تحسنه فلا تقل به لغيرك نوره
وعليك نوره والجبان المذلة في طلب ما يبقى على العز في طلب ما يبقى من خذ ركب كمن يشرك الشفيع جناح الطالب
اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق فانها لا تفني واذا ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى قال الشاعر

فانفق اذا ايسرت غير مقتر • وانفق على ما خيلت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والحظ مقبل • ولا البخل يبقي المال والحظ مدبر

ولغيره

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة • فلن ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها • فالشكر منها اذا ما ادبرت خلف

الغريب في كل مكان مظلوم من سلك المجالس للغبار لم يجد راكب القصد مجبا اللئيم يستعجل الفقر الذي منه هرب
ويفوته الكرم الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقرا ويحاسب في الاخرة حساب الاغنيا من بطل دليله بكبره وبيله
وقال علي رضي الله عنه من بطل فعل الله سطوته غيك خير من نصر غيرك ان تحب ان لا يغيوك ما تشتهي فاشته ما
يمكنك من فضلا سهل ومن اسرف وعرا القصد لخطا الحامر شر السير الحقحقة بوا لنفسك في المجالس مجلسا لا تعصر به
ولا تقام عنه اقلع الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك وازجر المسي باثابة المحسن لكي يرغب في الاحسان ان يجلك بك
مالك ما وعظك الخلاف فيدم الرائ خير الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله مكفور عند من اصبح مفترا على نفسه
بيسير التخالق خلقا بالاجتهاد والاعتياد الجرا الغصب في البنيان رهن على الخراب رب عاشق شارب الماقبل ريه ورب
انفع من الدحرم ادني من رجل من اسوء عيب الحلال تاقت نفسه الي الحرام من ذم الزمان لم يجد الاخوان وتقلب الحال
تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجمان ومن عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك ترجمان عقلك كتابك انطق
غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة كما اشتد الظلام حسن ضوء السراج الثنا باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن
الاستحقاق عي او حسد اولى الناس بالرحمة من احتاج اليه قومه من لم يبعد قدر البلية لم يرحم اهلها كما لا دابة
ما كرهته لغيرك مجالسة الاحمق غرر والقيام عنه ظفر لا تسل عما لم يكن فان في الذي قد كان شغل البخل جامع
للعيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء اذا صح القلب وصح العمل كان التوفيق احراز العواقب بالاجتهاد والاجتهاد
بضاعة التوفيق خير قايد كما ان لعدل التوفيق من ترفق في استتمام الحظ من البغية ادرك وبلغ مقاربة الناس في اخلاقهم
امان من غوايلهم لا تنظر الى الجد بالموضع الذي ينبه فيه زمانه وتكن انظر اليه بقيمته في الحقيقة فانه مكانة الطبيعي
بعد الناس سفرا من سافر في طلب اخ صالح ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة من البركة وقال داود عليه السلام ان كان
ترى من الجهل يغيظك اذا ابكر الجهل ويطول غمك قيل لابن رجم الرسالة لكم لا تعاتبون الجهلة قال لانا ما نريد من العميان ان يبصروا
العشق مرض نفس فارغة لا همة لها اجالة الفكرة واستخراج الفطنة تنبه الحياة بالندم وتتبع الندم بالامتلاع الاحمق بالرا
وكثرة الصديق بالتواضع واتم الحيا تنافعنا لاحرار من بذر عداوة حصد ندامة السنة للناس غنم وللرجال عقله
قال المسيح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه
عادة النوكي العجلة في غير وقت وجلوس فوق القدر اذا رفعنا الضرورة ارتفعنا المشورة قيل الحكيم اخرج الهم من قلبك

لبس بادني خلل من اعز بجاله تصرفي احب له اياكم وطلب الامور من غير وجوهها فيعييكم طلبها ولا تبذلوا حظا منها
هيبة الذل لا يورث الحسنة قيل لحكيم لاي شي تزوجت امراة ذميمة وانت وسيم قال اخترت من الشر اقله وقيل لحكيم
ما تقول في الزواج قال لذة شهر وهم دهر فتنة عالم الى البلبس خير من غواية الف جاهل تمنى المعاتب ولا تمنى المعاذير
الموالاة في الاسلام بمنزلة الحلف في الجاهلية سب الجاهل للحكما تشريفا لهم عند اهل الفضل لان الجاهل منسوب الى
فعله وكان الحكيم بما لم يحدث الجاهل كذلك الجاهل بما لم يسمع الحكمة اغنى الناس عن الحقد من عظم قدره عن المجازاة
الكبير لهمة من ارحا من كان عنف الناصح عنده الطف موقعا من ملق الكاشح ان كانت الجدود هي الحظوظ فما بال الحرص وان
كانت الامور ليست بدايتها فما بال الشرور وان كانت الدار غدارة فما بال الطمانينة وقال الشعبي ما راينا الله سبحانه
وتعالى اعطى عباده اجل من الحلم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجوه لشي من امر الدنيا ولا الاخرة
من لم تعرفوا الوثيقة في اروميته والديانة في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والمخافة عند ربه قال ابو عبيدة
بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا
قديما هناك حسن البنا بين مزارع وانهار واشجار فدخله فبينما هو يطوف اذ ابصر برقعة قد الصقت في صدره فامر

بقلعها فاذا فيها

هذه الابيات

أيا منزلا بالدير اصبح خاليا • تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم تسكنك بيض اوانس • ولم تتبختر في فناك حور
وابنا املاك عواشم سادة • صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس • وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقا ضراغم • وانهم يوما للنوال بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطن • وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لذة • وانت طريت والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك نزهة • وعيش بني مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحايب • عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكما فبكيتهم • بشجو ومثلي بالبكا جدير
فعزيت نفسي وهي نفس اذا جرى • لها ذكر قومي انة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم • لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بايس • ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان اليوم يتبعه غد • وان صروف الدايرات تدور

فلما قراها المتوكل ارتاع وتطير وقال اعوذ بالله من شر اقداره ثم دعا صاحب الدير فساله عمن كتبها فقال لا اعلم

وَامّا الكتب وصفاتها فتجل عن الوصف **ولقد احسن ابن الجهم** في قوله

سمير اذا جالسته كان مسليا • فوادك مما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة • وغير حسود او مصر على الحقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل • ولا خاين عهدا على قدم العهد
زمان ربيع في الزمان باسره • يريك روضا غضا او ورد الخد
ينور اذا يانا بورد بدايع • اختروا ولها لنفوس من الورد

وانشد بعض العجم

اذا ما خلا الناس في دورهم • بخمر سلافي وخود كعاب
وانسهم صاحبا النبالي • لغيرا لنداما وزهو الشباب
خلوت وصحبي كتب العلوم • وبيتي عروسي بين الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول • فدوروا على بذا الشراب
وما يجمع المرء في دهره • سوى العلم يجمعه للذهاب

ومن مليح ما ينشد في الكتب

اذا ما خلوت من المونسين • جعلت المونس لي دفتري
فلم اخل من شاعر محسن • ومن عالم صالح منذر
ومن حكم بين اثنا بجهاده • فوايد للناظر المفكر
وان ضاق صدري باسراره • واودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب • فلم احتشمه ولم احصر
وان عدت من ضجر بالهجا • وسب الخليفة لم احذر
ونادمته كريم المغيب • لندمانه طيب المحضر
فلم ارى يوما ماحييت • عليه نديما الى المحشر

وانشد ابن حزم لبعض الادبا

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا • واستبدوا بالراي دون الجليس

والبيت الثاني كاتبه

ووجدنا الكتاب خير نديم • ومعيد بالدين امين

وقد ختم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين ووافق الفراغ من كتابته في العشر الثالث
من شهر جمادى الاولى سنة ثلاث واربعين وتسعماية احسن الله عاقبته بخير
في عافية وما بعدها وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير
واليه المصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ومن فضله اسال وعليه اتوكل واليه المعول
وهو الواحد الاول
اللطيف
الخبير

هدية عبد الاعتاب العالية
وخادم الابواب الشامية
كاتب عبد القادر بن سنبكر
المنقلب الى رحمة الله
بمقاعد الدولة الشريفة
الى انقضا الدوران

انتقل الينا